

مكتبة روایات من السودان

# الخرطوم نفر

سامي حجازي

رواية بالعامية السودانية



أبو عبدو البغل



سلسلة روايات من السودان

# الخرطوم نفر

رواية

سامي حجازي

مومنت كتب رقمية™  
لندن 2014

Khartoum Nafar  
Sami Hegazi  
First Edition  
Copyright©2014  
Moment Digibooks Limited™  
United Kingdom  
All rights reserved

The views and opinions expressed by the author do  
not represent the views, beliefs or opinions of  
Moment Digibooks Ltd Enterprises and its  
employees.

[www.momentdigibooks.com](http://www.momentdigibooks.com)

[momet4books@gmail.com](mailto:momet4books@gmail.com)

<http://www.lulu.com/spotlight/momentdigibooksLtd>

<https://www.facebook.com/momentdigibooksLtd>

Tel=00447476259012

Cover design: Moment

Photograph: Na Gi

هذا الكتاب مبنى ومعنى على مسؤولية المؤلف ولا تتحمل مومنت كتب رقمية ولا  
العاملين بها ولا المنضويين تحتها أية تبعات تنجم عن ذلك.

## إهداء أول

إلى أُمي التي كافحت طويلا  
ولم تشتكي من طول الطريق..  
إلى أبي، طيب الله ثراه..  
إلى زوجتي العزيزة، وأبنائي الأعزاء  
كونوا كما أشتهي وأتمنى

## إهداء ثان

إلى كل الذين شجّعوني على النشر  
ودفعوا بهذا العمل ليرى النور  
محبتتي ومودتي التي تعلمون

## إهداء ثالث

إلى وطن يعشق الحرية وتعشقه  
كن بخير كما أحب



## الجزء الأول

عمّي إتسلّط على، ومقلّبنّي، يومو الأصر إنّي أمشي أقعد معاهو في الخرطوم. أنا الخرطوم دي كنت قايلها جِلّة (1) أكبر من جِلّة ناس حمدان صاحبي البقرا معاي في المدرسة. لأنّو حلتهم كانت كبيرة، أكبر بكثير من حلتنا. في حياتي غير الحلتين ديل أنا مما قمت من المعافرة والخمج ما شفت غيرهم. الخرطوم دي بسمع بيها سماع، أنا قايل بقطعولا بحر في الأول، تقوم بعد تعديهو كده تب تبقى مارقها في الجِلّة الكبيرة البسموها الخرطوم دي.

بسمع عنها قصص كثيرة، لما نقعد بالليل في طرف الفريق مع عبد الرحيم وحمدان والدخين. يقوماك الدخين يحكي لينا القصص، أصلو أبوهو كان سواق لوري بمشي الخرطوم كثير. أكان النصيحة ولا الكضب، الزول بحكي لينا عنها حاجات كثيرة تمحّن والله. بتذكّر تالت يوم من جيّة عمّي من الخرطوم، بعد ما قضّى مشاغلو في الجِلّة، وفتش سواقيهو وحوّاشاتو ونخيلو، وكان أبوي مافي برّة مع الزراعة، قام ناداني في الديوان:

- تعال يا جنا..

- أيوة يا عمّي!

- دحين إنت هسي مش تميت مدرستك؟

هي أصلو مدرسة واحدة في الجِلّة، تقرا فيها تكمل الأساس وخلص، مافي زول تاني بواصل قراية. علا حمدان بتاع فريق تحت قال مودينو جِلّة تاني لا غادي، قالوا يقرالم فيها الثانوي. علا ما بعرفو بعداك يستفيد شنو؟ كل أولاد فريقنا ينتهوا من القراية يقعوا في الزراعة. أصلو الحوّاشات دي من أيام المدرسة بنشتغل فيها عادي مع العصيري بعد المدرسة ما تنتهي. والمدرسة دي أكان ما الجبرية، ما كان خششونا ليها ذاتو، بقولوا بنتعلمنا فيها حاجة حاجتين بعدينك بتنفعنا.

- أيوة يا عمّي..

- طيب يا جنا، أنا حأسوقك معاي الخرطوم..
- وأعمل شنو في الخرطوم يا عمي؟..
- تواصل قرايتك يا ولد..
- قرايتي إنتهت يا عمي، خلاص خلّصت مدرسة!..
- لا يا ولد، إنت يا دوك إنتهيت من الأساس، لسة باقي ليك الثانوي والجامعة!..
- جامعة؟..
- وقال كدا وفكيت الضحكة، عمي إغاظ جدا ..
- يا ولدا!..
- نهرني نهرة واحدة خلى كل شعرة فوق راسي المدوقس ده تقيف براها،  
وجسمي ده إتنفض وإتهزّ كلو إتلوح من تحت لا فوق زي المفراكي في حلة (2)  
ملاح فرك. سكت ساكت. عمي ده ما شفت منو شي، لكن بقولو لَمَن يقوم عليهو  
بكفتك بأي شي قدّامو..
- أنا كلامي بضحك؟!..
- دنقرت خجلان وفي نفس الوكت مرعوب ولسة بتهزّ:
- لا يا عمي..
- عايز أعلمك وتطلع راجل وتنفع أهلك، تعملها لي ضحك؟. يا ولد ما تشد  
حليك شويّة وركّز معاي كويس.
- معلّش يا عمي!..
- هسي شوف، ما شاء الله أبوبكر الأكبر منك بشويّة ماشي تانية ثانوي،  
وأسماء بتّي خشت الجامعة. البنية شاطرة وبتقرا لا في كليّتن سمحي بالحيل،  
وعبد الرحمن ياهو القدرك وعازيك تقرا معاهو.
- خلاص يا عمي البتشفوفو، طيب وأبوي؟.. كيفن.. يـ
- قاطعني:
- لا أبوك خلّو علي، ما بيا با كلامي..
- إتدكّرت كل حكاوي الدخين عن الخرطوم.
- أكان كده!، مافي كلام يا عمي. القول قولك، يبقى يا الخرطوم جاك نفر!..

\*\*\*

نفر، نفرين ثلاثة، آخر ثلاثة أنفار، بص الجكو العامل زي كانون السرة، من جوة مرمّد ومن برّة مقشّرة بوهيتو، إتملا لعين أّمو. وأنا حاضن لي قفة وبقجي صغيروني تحت رجولي، وعاصر لي على عشرين ألف قريب مصراني. أّمي الله يديها العافية، ودّعنتني بالدموع وشيلتني قدر قدرتها. وفي النهاية عصرت على مصارييف البيت وطلّعت لي منها القريشات دي.

عيني وقعت على محمد أحمد التريالي واقف في القيف الشمالي، لقيتو ببرم في شنو وبعاين لي بعيون حمر زي الجمر. بدون ما أشعر إتضايرت على عمّي، محمد أحمد لا يوم الليلي كل ما أشوفو قلبي بضرب. أصلو زمان كنا عملنا فيهو مقلب في زمن الدميرة أنا والشلة، ولو ما ربنا لطف كان شافنا. وعندي إحساس إنو عارفنا ديل أنحنا، لكن بدور يكوس الأكيدة ساي الزول ده!

لفحتني ريحة عمّي من تحت الجلابية، شميت فيها ريحة أبوي لما يرجع من الحواشة، لكنها ما ريحة مخلوطة بالتراب زي كل مرة. فيها ريحة تانية حلوة، ما عندنا زيتها في الحلة، غلبني أعرفها، بشمّها فيهو طوّالي لما يجينا البلد، أو لمن يعلّق عراقيهو(3) في الديوان. يوم واحد ما شفتو بيتريخ بيها، عندنا نسوان الحلة بتلمن يعملن الريحة بالمناسبات، ومرات نغير ساكت. علا عمّي ريحتو دي ما بتشبهن، ريحة رجال رجال، لكن سمحتن بالحيل!

أها، وأنا في باص الجكو، كنت عايز ناس الحلة ديل كلهم يعرفوا أنا رايع الخرطوم. معاي عمّي مافي زولا يقدر يقول لي يا جنا يا مسخوت إنت المركبك البص ده شنو يا فقر؟. أصلو المرّة دي مافي شعلقة في سلّم البص زي كل مرة، تراني قاعد متوهضّ ومحكّر جوة.

- تر كدا يا ولدا!..

رفعت راسي، لقيت الحاجة سكيينة بت ضيف الله عايضة تقنب جمبي. بي جاي عمّي، وببي الناحية الثانية لي ست نفر، ترّيت في المقعد إتلصقت في عمّي أكثر، وعايّنت برّة هناك لقيت محمد أحمد التريالي لسّة بحمرّ لي، يا الله الزول ده مالو معاي هسي؟ لا بنحفلنا في ترعي، لا بنعملنا في متاريس، لا بنحش لينا في شيتن، طيب حكايتو شنو؟.

فجأتن، حاجة سكيينة وقعت من فوق على صفحتي لحدي ما زردتني وكتمت نفسي، لكن البغم دي ما قلتها، أقول كيفن وأب شنب داك يحدر لي من بعيد، وأنا لصق عمّي اللسة نهرتو بايطة معاي!

- إنت يا ود حليلة ماشي وين الليلي؟



عاينت للحاجة وعايّنت لعمّي، عمّي عمل نايم خالّتي للحاجة، وأنا بعرف الحاجة دي لو فتحت فيني نقّة تاني ما بتسكت. عندها كنتين صغيروني في نص الحِلّة، تلقّط فيهو خبارات الحِلّة كلها، الولدت منو، العندها سماية منو، الطلّقوها، العرّسوها، مافي شني بفوت عليها، الرجال بخافو منها، إتذكّرت هسي ليه أب شنب فكأنّي وقبل بعيد! الدخين مرة قال لي شاف الحاجة دي طالعة فوق حيّطت ناس فاطنة بت علي تلقّط في الخبارات.

- أنا.. أنا يا خالتي، ماشي الخرطوم..

- يخلخل ضرورك، هسي أنا قدر خالتي؟

خالتي شن جابها في العمر لحة سكيّنة؟ بس نقول شنو؟ أخير النسكت، لو الحاجة قبلت علي، يحلّني منّا الله، أها البص بدا يتحرك وصفيحو بقى يقطعق من جوّة زي المرق اليابس، بعد شويّة بقى يتهادى ويتمايل في القيزان والرملة زي بقرة ناس علوب في الطين. ومرة مرة التراب يجينا كاشح لا جوّة يقوم يغبرنا، ويتورّ علينا النفس، ولما حاجة سكيّنة تقح تتخجّ كلها مثل القرية، وأنا زي اللبن الرايب بتاعها. والمكنة دي مكوّنتن من الشيل الثقيل والعفش المستفّ زي القندول من فوق، ومكرّش من سخانة الجو، وصوت الكوز(4) المركّب الجكو في مكنتو يناعم في الخلا زي الساعي مع غنمو.

أنا يا دوب دبّت فيني الحماسة بتعات الشفع ديك، حسيت بالمغامرة وقلبي بدا يضرب دل.. دل، ومع الحماسة العايزة تطير، طبعاً عايز لي زولا أفتّها معاهو، وأبثو شجوني، ولواعج قليبي المشتهي السفر وشوفة الخرطوم. بس حاجات ما معانا، بالذات لو بتاعين خبارات زي حجة سكيّنة دي. قبلت منها لا غادي على عمّي وإديتها جمبتي إلتهرت خج. وقعت عيني على أب شنب، الكترابة! دحين الزول ده مسافر معانا؟ لقيتو قاعدلو فوق حفاظة مويي بين الكراسي، طنّشت حنانو وإعتبرتو ليك زيو وزى أي غريب، إتغايبت فيهو العرفة تب. نحن البص ده ما بتاع زول فينا، وترا مارقنا برّة الحِلّة دي كلها، تاني واحد من المتسلطين ديل عندو معاي نقّة مافي، و زول يقدر يفتح خشمو معاي وعمّي جمبي مافي، الحتة دي شريرة كيف. نفختني ليك كده، وخلتني أتبسّم براي زي نار القصب!

إتمايلت، وإتنحنت، عايّنت لي عمّي وجمبتي على بتاعت الشمارات إياها، وصوتي مارق زي الهمس، زي وشوشة الهوا لما يمر وسط البرسيم:

- إنت يا عمّي؟

- أها؟

- قالو الخرطوم دي كبيرتن..
- القال ليك منو؟..
- الدخين صاحبي، أصلو أبوهو..
- هنا إندخلت حاجة سكيّنة، المرة شكلها رامية أضانها، قبل ما تسمع الموضوع زي الناس، خشت إستملتو:
- الدخين ده!، أحياناً أنا منو، الولد ده أنا لو لميت فيهو!..
- شكلها عايزة تواصل في الموضع وتديهو توم وشمار وأهميات من طريقة عصّيرها على الكلمات، عاينت ليها مسافة، لقيت عمّي ذاتو كان بكحل ليها، بعد شويّة قبل منها لا غادي وطنشها ليك تاني نهائي. مع إنو الطنّيشة كيفتني في حناني، وريّحتني شديد، لأتو وش الحاجة إتكرفس وإتغفّص وإتلولو، ولّع وطفى، والشلوخ ديلاك قفلن وتاني فتحن، وكلمة "بس" مرقت منها بحرقّة شديدة. حسيت بيها ما طلّعت كل الجوّاه في اللحظة ديك. لكن تاني قبلت لا غادي بالمرّة كأننا ما جمبها ولا بتعرفنا، ومنها ومرقت برّة راسي وسفرتي نهائي!.
- يا عمّي، بدور أمشي جنيّة الحيوانات..
- إنت من زمنها؟..
- مشّت وين؟.. الحيوانات ماتت؟..
- لا ما ماتت، علا طلقوهم لينا في السهلة..
- كيفن؟..
- سكت تاني ما ردّ علي، وأنا ذاتي تاني ما إهتميت. سرحت بعيد بالشباك، كنا مرقناها برّة الحلّة، كل ما بص الجكو يهدّي في حفرة ولا مجرى، نقوماك نتعفّر زين بالتراب، يجينا كلو كابّي لينا جوّة. أها لمن يمشي كويس، ويقوم يكسر مرة يمين ومرة شمال، ألقالك البص ده عاملو شريطا طويل وعريض من التراب والفرناغة من ورانا، ياهو ده ذاتو البلحقنا مرة مرة ويكشّحنا بيهو الجكو.
- بعد نص ساعة كده، كنا خلاص ركبنا الزلط، وبقينا مقبلين جنوبا على الخرطوم، أنا عارف إتجاهها لا تحت، حدثوني بيها قبّال كده، بس ياهو أول مرة لي، مانني تاني خابر شي من هنا لا قدام. أول ما البص خلاص إستعدّل، أشوفلكم الناس الجوّة جت عليها إستعدلت كمان، كل زول بقى يرازي يدور يفتش للنوم زي الجداد الضاربو هيم. أول شي، عمّي طوّالي تكل راسو وغطى وشيهو بالعمة، شويتين وبقى يشخر. أها كمان حجة سكيّنة برضو إتلفّحت بالتوب وغطّت

وشّها، فضلت براي، لكن أنا ما عايز أنوم، بدور أنتفّرج في الشارع، ماني عايز شيتين يفوتني.

بس كمان النشي شنو؟ الشارع خلا، شيتين يعاينو فيهو بالغلط مافي. إلا ترا ياهو الشجر والمزارع المبارية النيل من الحلة لحدي هسي، مرات نقوم نقرب منها ومرات نبعد لامن تبقى لنا رهاب رهاب، ولما أقبل على الناحية الثانية شيتين يقع في العين غير حُجّار كبار مشتتة هنا وهناك مافي، واحد فيهم تامي ليهو جبل زي الناس مافي!.

أها أنا منتظر أشوف لي حاجة. لكن الشغلانية دي طولّت شديد، خباركم؟ الخرطوم دي وين يا ناس؟ كل ما أشوف طرف بيوت ولا حلة، أقول خلاص شكلنا وصلناها، لكن البص يروح معدي، وأدور أسأل زول، لكن مافي زول صاحي، الناس دي جت عليها تشخر لمن زهجت خلاص، والمناظر بقت لي شبه بعض، قمت غمّضت عيوني، تراني أنا ذاتي نعلان، لكن أنوم كيفن؟ غايتمو مرة أقبل جاي، ومرة أقبل جاي، في النهاية لقيت نفسي نمت وأنا ما جايب خبر.

أها قمت فجأة كده صحيت، أول شي ما عرفت نفسي وين. نسيت البص والسفر، نسيت كل شي، أتلفت.. أتلفت، ألقالكم البيوت غريبة ولصق بعض وشوارع وعربات وخلق..خلق، عمري ما شفت لي خلق قدر ديل، بس يوم الحشر، وجوطة وزحمة، يا ناس؟ النعلو دي ما الخرطوم بس؟.

كنت بتلفت زي الغنماية، قمت إنتبهت فجأة لحاجة سكية، لقيتها بتعاين لي وبتصرصر، قرّبت أضحك، عرفت ليك طوالي نفسي كنت نايم نوم ثقيل لمن مريّل، ووين؟ تراني كنت خاتي راسي فوق كتفها، بس أكلتها في حانها، فوتتها لي المرة دي كيفن ماني خابر!.

\*\*\*

هيي، أمانني يا الخرطوم ما واسعتن وكبيرتن؟ الخلق دي تدافر فوق بعض، أم دفسو محل ما تقبل، ناس تكورك تبيع، و واحدتين تانين ماسكين ليهم كيزان يضربوا بيها في باغات مليانة موية برد..برد، ريحة العوادم والغبار في الجو، والحمير الليلتهم مالا؟ كحيانني وتعباني، الحمار مدنقر متحسّر، بس التقول طالق فيهو إسهال، غالبهم يعلفوهن؟ خبارن؟.

عمّي مسك شنطة من إيد ومسك يدي من إيد، إدليّنا من البص وعلى أقرب عربية صفرا من العربات المرصوفة رص زي علب الصلصة في كنتين حاجة

سكينة، عمّي إتكل في الباب، وشو مع وش الزول البتاق من جوّة محل السواق، وباقي لي عندهم نضمي بعرفوهو براهيم، خليتهم في نضميهم وبقيت أعاين وأتلفت، الحيرة كتلتني والجو خنقني، بقيت بدور المخارجة علا أقبل على وين؟ الناس دي عايشة كيفن في الكتمة دي ودخان العربات في السما زي حفر الدخان. إتذكّرت نيمتنا البرقد تحت ضلها، ولا النخلات في الزراعة هنوك لما أقيل تحتهم ولا أعدي بيهن الهجير، يلفحك الهمبريب ده لامن تنعس وتاخلك غميضي تريحك جوّة عضامك، والقمر ييقوقي في فرع فوق راسك، و ود أبرق حايم جمب كريك يتعابط في عباطو ديك، ويا كافي البلا وحاييد المحن، شجرة ساي في الموقف ده مافي؟ نفضني صوت عمّي:

- تعال يا جنا أركب..

أدوني المقعد الورا كلو براي، فتحت الباب لقيت مكتوب فيهو "تاكسي"، رميت قفّتي وبقيتني قدّامي، قال كده وأتمطيت، كرعي كانن مخدرات وتعبانات من الكلوجة إليلت البص الهرانا هري الله يهراهو، حسيت فيهم باقي خدر، إتחסست صرّتي وفردت كرعيني وإستعدلت صفحتي العفّستها لي حاجة مشاط بتاعت الخبرات ديك. مع السموم داك حسيت ليك بنفسي عايز أنوم تاني ومانني قادر، جسمي كلو يضرب من التعب، يدغدغ فيني صوت التاكسي الهكر، يطلّعلو في أصوات غريبة، أصوات كتيرة مرّة عالية ومرّة واطية، ومرّة مرّة تسمع في الـ"كراج رج كع"، ولا كركرة كده طويلة ما تعرفها جاية من وين؟ وأشوف ليك بتاع التاكسي من ضهرو يعاقلو في شيتن تحت باين عليها شيتن قاسي تب، لأنو المعصعص(5) ده بقوم كلو وبقعد كلو، علا عمّي مستمتع معاهو في الونسه.

- قلت لي في زيادة في البنزين؟..

يرد عليهو بتاع التاكسي وأنا متابع:

- ومعاهها زيادة في الجازولين والسكرّ كمان..

- طيب لو الجازولين زاد معناها طوالي مصاريف الزراعة حتزيد، والمحاصيل

حتغلي..

طبعاً الجاز ده أنا بعرفلو تب، كنت بمشي بقيف كل يوم جمب البابور لما يدورو يدوروهو عشان أشوف المعافرة وأسمع صوتو وهو بقوم، بتكيّفني حركة المنفلة الليلتو، تلاقي الجماعة المعضّلين رابطين حبل طويل يلفوهو حولين طارتو الكبيرة ديك، وهاك يا شد، واحد إثنين تلاتة، وجرة واحدة لحدي ما يبدأ يتفتق، تف تف تف، أفضل كده لحدي ما يدور خلاص ويقوم براهيم، صوتو ده أنا كنت

بسمعو من وين و وين؟ إيك، من مسافة بعيدة خلاص، بالذات بالليل، طوَّالي  
نطيت على حيلي:

- آيَّا والله، لَمَن نكب الجاز، البابور ده فرد دويرة تاني ما بقیف إلا بعد ستة  
ساعات،

عمِّي حدر لي حدر غريبة ما فهمتو قاصد منها شنو، لكن بتاع التاكسي ظنيتو  
يا دوبك أتذكر إنو في بني آدم تاني قاعد في العربية دي ورا . قام مدّ يدو  
إستعدّل بيها مراية عربيتو الجوانية وعاین لي بعیونو الحمر دیک زی الزول  
السكران:

- إسمك منو يا شاب؟..

أح، يا دوب في واحد فطن لي وإحترمني وقدّر مكانتي، وقال لي كمان يا  
شاب! ترا كانوا شابکننا يا جنا، ویا فقر، ویا الشنو ما بعرفو داك! قمت  
إستعدلت كده في المقعد زي الزول المهم:

- إسمي حسين..

قلت إسمي بثقة ومبسوط من نفسي جنس إنبساطن، كده ساي بلا سبب،  
أكید بتاع التاكسي قال الزول ده مو هين تب، وبفهم كویس في شغلانية  
البابورات والجاز دي، الملاحظة الغربية لَمَن قبیل محتار فيها، عمِّي كان بناضم  
کویس، من متین لسانو إتغير؟ لسانو فجأة إتعوج کلو کلو، ونضمیهو بقى زي  
نضمي ناس الخرطوم ديل واحد!.

\*\*\*

الخرطوم للبعجها أول مرّة، ليها لون وطعم ورائحة ما بتتنسي تاني بسهولة،  
وده الحصل معاي وأنا خاشيها لأول مرة، كنت شغال أتلفت وأملا عيني وأتعجب.  
وصلنا بيت عمِّي مع العصيري نشيل ونزرع في أبواب التاكسي..دز..دز، الصوت  
ده تاني لا ورا سمعتو كتير وحفظتو عن ظهر قلب، وكل ما يجي زول من البلد  
بسمع صوت الأبواب دي، بعرفو طوَّالي ده تاكسي، واللبعي ده ياهو لبعيهم، ومنو  
البتلفهم لَمَن يصلوا ويلقوهو ملصق في باب التاكسي قبل ما ينزلوا عفشهم  
غيري؟ وقبل ما بتاع التاكسي ذاتو يفتح بابو بكون عفش البلد کلو إندلی في  
واطة الله دي، وأقوم أعتلو براي جوّة البيت، حرّم..حرّم، دي كانت کلماتي  
المفضّلة!.

إستقبلتنا مرت عمّي النعمة جنب الباب، سلّمت على سلام حلو خلاص،  
نكّرتني أُمي وخالاتي الحنان، وحسيت من البداية إني ما غريب:

- إزيك يا حسين، كبرت والله ما شاء الله تبارك الله، آخر مرة شفّتك فيها كنت صغير شديد..

ختّيت لمرت عمّي النعمة إبتسامة كبيرة وعريضة، وبقيت أتكوشم براي، ميلّت راسي وعايّنت وراها لا جوّة البيت، من قبيل نفسي أشوف البيوت المرصوفة بالطوب دي خنق فوق بعضها من جوّة بكون شكلها كيف؟ لما وقعت عيني على الحوش، وأنا بجلابيتي المغبرة والوسخانة ديك، حسيت ليك إنو في حاجة غلط، ياخ أنا ما بشبه الناس ديل، لكن طردت الفكرة طوّالي من راسي لما إتذكّرت أولاد عمّي، ياخ مشتاق عايز أشوفهم، أصلو ما جونا البلد قبال كده، تاوقت تاني، شفت الزهور في الأصايص، ونجيلة خدّرة في نصها في ممر، جنس ده ما قاعدين نشوفو إلا في صور المجلات، عمّتي صلّحت توبها، سلّمت على عمّي الكان حاسب بتاع التاكسي وخلاهو يمشي، دخلت قدامهم البيت اتلّقت زي الطيرة، الزول لما يكون جديد ظاهر وباين، والعجب لما يكون جاي من البلد كمان! هيء هيء، أمانني لكن ما عندي ليكم جنس قصص وحكاوي يا ناس الدخين، أرجوني بس خلّني النرجع ليكم!.

دخلنا ورا النعمة عمّتي في برنّدة باردة قدامها حويش صغيروني كلو مفروش بالأسمنت، عمّي إنبرش طوّالي في أول سرير وفكا ليهو أهة طويلة بتاعت تعب، حسيت بيها مرقت من جوّة عضامو، أتايلهو كان تعبان شديد خلاص، عمّي ده زول كاضم خالص ما بنضم كثير.

باين النعمة مرت عمّي دي زولتن طيبانة جد، حبيتها وش من جوّة قلبي، بعد شويتين جاتنا من غير التوب شايّلة ليها صينية فيها كبابي مُكان مليانات عصير أصفر، ضقتو لقيت طعمو حادق زي الليمون، لكنو أحلي و لذيد خلاص.

- يا عمّتي؟..

- أيوة يا حسين..

- إنتي العصير ده بسمّوهو شنو؟..

عمّتي ضحكت ضحكة حلوة مليانة طيبة:

- ده إسمو عصير تانج يا حسين..

جغمت منو جغمة تانية كبيرة وقرطعتها بمزاج:

- عليكم أمان الله لكن ما حلو خلاص التانجو ده..

ضحكوا فيني، ما أشتغلت بيهم، كنت خايف أتلّفت عليهم يقوم يروح مني طعم العصير، ولسّة الجفمة ما نزلت زي الناس، لقيت نفسي مرقت براي على حافة الكرسي الوهيز أب يدينا غلاد القاعد فيهو ماسك الكباية في يدي:

- يا عمّتي بدور أمشي قاعة الصداقة..

- وعايّز تمشي قاعة الصداقة ليه؟..

- الدخين صحبي قال لي لما تصل الخرطوم لازم تمشي قاعة الصداقة تشوف الهنود..

عمّتي ضحكت، وبقت تضحك من غير ما تقيف، عمّي كان بسمع في النضمي، عرفتو ليك برضو قاعد يضحك لكن بصوت مكتوم، لأنو السرير الراقد فيهو قعد يتّهز ويعمل ليهو في أصوات سكسكة غريبة، هو صحي الناس دي خبارا؟ مالا بتضحك فيني؟ لا ورا أنّ كنت بتذكّر اللحظات دي، وأتخيل منظري وأنا ماسك كباية العصير المنديّة وغاطس في الكرسي وعيوني مزغللة من التعب وغالبني النضم، لكن شفقة مني ساي وشلاقة، أنا ذاتي كنت بضحك.

\*\*\*

أول يوم كان يوم عجيب، طوّالي نسيت ليك البلد وحوّاشاتها، نسيت ليك الزراعة ومتاريسها، حراتتها وتعبها، بابوراتها وترعها، نسيت أصحابي وأسمارنا ومشاغباتنا وبراءاتنا، نسيت كل شي، بقيت في حماسة الخرطوم، البلد المليانة بيوت وخلق وعربات دي، باين فيها دريبات كوتارات بدورن يتقلقلن زين ويتجاب خبرن.

لاقيت أولاد عمّي قريب المغربية، عرفت لا ورا إنو ناس البيت ديل كلهم بهجّوا عادي ويتلمّوا متأخرين، بخلّوا بس عمّتي النعمة في البيت، كل زول بشوف ليهو دريبات تانية ومراتع لحديث الواطة ما تمغرب، فكّرت أنا حا أمشي وين؟ ومرتعي حيكون في شنو؟ علا أولاد العم ديل فيهم شي ما راكب عدلو، ربنا يكضب الشينة، كدي النصبر والصباح رباح النشوف آخرتها.

بعد صلاة العشاء أنا كنت في سابغ نومة، إترميت في السرير شبه مغبّي، ما قادر أفتح خشمي أتونس مع زول ولا عارف حصل تاني واري شنو، مع النّباه الأول فتّحت عيوني، قعدت مسافة أجمّع أنا وين؟ لقيت نفسي راقد في الحوش(6)، الجوامع دي فيها مكبرات صوت تخلع وتطير القلب وتقلّل من السرير

قل، إتلفتَ يمين شمال، الناس ديل ما لم ما بصحوا مع النبّاه؟ قلت يمكن نظامهم كده، يمكن مع النبّاه الثاني يقوموا يلحقوا الصلاة، فضلت أتقلبَ يمين شمال، النبّاه الثاني أذن، الناس دي خرايتيت بس، زول إتقلب على صفحة مافي، حليك آبوي، هسي زمانك كنت بتلف فوق راسنا تمحّطنا لو ما صحينا وقمنا على أباريقنا نشوف وضونا وصلاتنا بي وين.

حكمتو بالغة، في حلتنا عشان تمشي الزاوية دغش لازم تخت بطاريك الإشتراها ليك أبوك تحت العنقريب جمب العصاية، والإبريق قريب جمب فروة الصلاة بتاعت الحاج، أصلو البطارية دي ضروري ولازمة، بالذات لما تمشي تفتش الموية في الجداول بالليل، والعصاية عشان لو لم فيك كلب تعرف تقطعقوا زين.

أها لما تصحى تكابس في الضلام تشق طريقك على الزاوية تلقى أعمامك الكبار وعيالهم قدامك فرشوا المفارش فوق الرملة و وزّعوا الفوانيس والرتاين بالأطراف، تسمع مهمة الحجاج الكبار وطقيع حبات السبح، والتانين قاعدين صامتين أو بصلّوا في الرغبة، تحس بالنفس يخش خياشيمك ثقيل لكنو مبهج ومفرح ومنعش، تحس معاهو بالسعادة والنشاط. ومع الركعة الثانية تسمع شقشقة أول عصفور قريب من الزاوية، تعرف طوّالي فلق الصباح لاح مع بشاير ضو أزرق خافت مخلوط بلون الليل الصافي يملا في عيونك، وشغّال يشنت ويبعث في الضلام.

أما هنا، بالله مع تيسست المؤذن، أوف..أوف، تقول المذنتين عايزاتن يتلّبن ينظّن ليك في الحوش، نورهن براهو يجهر من بعيد يضوى الحوش كلو، وإزعاج الكلاب يصم الإضنين، يقطعوا قلبك يخلنك تلاوز تمشي الجامع ذاتو. ناس عمّي ديل ما عندهم عصي باين، لكن أكيد تلاقيهم بكونوا من ناس أبوعشرة وأبو خمسة والخرطوش، هسي أنا أعمل شنو مع الكلاب دي؟.

\*\*\*

- هي سجمي!.. حسين؟!..

وطوّالي طاخ، عمّتي ضربت صدرها بيدها اليمين، لقيت عيونها مقلّعة فوق حواجبينها، لما شفت منظر وشّها والحركة العملتها في صدرها بالصوت المرعب ده، خشتني خوفا، قلبي عمل فررر، قام فوق دق في حلقي ونزل تحت ركبي وقام



تاني علّق في حلقي لامن منعني النضم ذاتو، بصوت مخنوق وخايف ومخلوع  
سألّها:

- في شنو يا عمّتي، المات منو، في خبر من البلد؟..  
لما لقنتني أنا في وادي تاني غير واديها، صرّت لي وشيها وغرّت يديها في  
نصها وصوتها مرق حاد زي الحديّة:

- إنت يا ولد قاطع قلبنا عليك مالك؟ مشيت وين؟..  
- يا عمّتي في شنو؟ أنا حايم في الحلّة هني ما مشيت أي حتة!..  
- في الحلّة وين يعني؟ وطلعت متين من البيت؟ أنا صاحية من الساعة ستة  
وإنت مافي!..

- يا عمّتي أنا صحيت بدري مشيت الجامع، وبعد الجامع لفّيت في الحلّة..  
- عارف الساعة كم هسي؟..  
سكتّ شويّة أفكّر وبعين لو شيها اللسة صاري..  
- لأ!..

- الساعة تسعة ونص!، أنا إفتكرتك ضعتا ولا حصلت ليك مصيبة، هسي كنا  
نقول لأمك وأبوك شنو؟!..

إنتبهت إنو الجابني راجع أصلا كان جوع بطني.  
- معلّش يا عمّتي، أنا لقيت البيت كلو نايم مشيت أصلي، ولقّيت شويّة في  
الحلّة وأظني نسيت روحي..

- خلاص طيّب، خش جوة صحي أخوانك ديل عشان تشربوا الشاي..  
وأنا مخلوع جد جد:

- أصحّيهم؟ هم لسة نايمين؟!..

جيت مارق على الحوش، والسراير الثلاثة تحت الضل ضاربهم الهواء ولا عليك  
بيهم، كل واحد ولا واحدة متلفّح ببطانية ولا توب زي شوال البامية، بعد ما الخلعة  
مرقت من عمّتي ومزاجها راق، ولقيتها فرصة عمّي مافي برّة البيت. أبو السريع  
دخلت المطبخ لفحت لي حلّة ألومنيوم كبيرة ومعها يد كمشة جامدة، وكتلت ملف  
على أولاد عمّي وبّت عمّي النايمين، وقبل ما عمّتي تفهم الحاصل شنو، كنت بكل  
قوتي بضرب في حلّة من المقاس الكبير، "كش كشو كش" بس النوبة جاتكم، بالله  
الناس دي التقول قيامتها قامت، أولن بت عمّي أسماء خلعة ساي فرد نطة واحدة  
إتنفّضت ولقيتها إتلصقت في الحيطه زي الكديس، قرّبت أسألّها إنتي يعني

عايزة تطلعي راس البيت خربشة حاف كده ولا كيف مثلاً؟ لكن الضحك كاتلني وغالبني، وعمّتي وراي تضحك شرقانة من الضحك، عبد الرحمن عايز يبكي، أبوبكر الوحيد القام غضبان شال نعلاتو فناهن فيني، بعداك قام ساكيني لحدي ما شردت برّة خليت ليهو البيت.

\*\*\*

لمتنا بتاعت الشاي الصباح داك كانت لذيذة شديد، بقيت تاني أتكيف ليها خالص، رغم إني بقيت أشربو متأخر زيهم واحد، لكنّها كانت بتدكرني بالبلد، أولاد عمّي ما بشربو الشاي بالحليب، بشربو هو بلبن البدرة، بقولو اللّبن يعمل ليهم حساسية وما يستحملو ريحتو، دي كيف أنا ما عارفها، لكن ظنيتو بلدهم دي بتعمل حساسيات وإنتهابات كده كتيرة، أما أنا فأبى يقع لي الشى الزى دقيق الطاحونة ده نهائي، كمان قال بسموهو لبن بدرة، إنتو عينكم في اللبن ما تشربو إلا وهو معتدّ؟.

عمّي تاني بقى يرتب لي رطل لبن مخصوص، رغم إني ما بدور لبن البقر، بحب لبن الغنم بس، لكن نقول شنو؟ الجبرية، برضو أحسن لي من اللبن العامل زي الملح ملح ده. أسماء مدلّعنها بسوما، وأبوبكر مدلّعنو ببكوري، وعبد الرحمن بعبدو، إلا أنا ياني حسين، وزولا كده فكرّ يدلّعني مافي، يا ربي يكون إسم حسين ده ما بتدلّع ولا كيفن؟ لكن أنا ما برضو بدور أبقي خرطومى زيهم واحد وأدلّع كمان! سوما بقولوا شاطرة، دخلت صيدلة الخرطوم، ظنيتو جامعة الخرطوم دي ما بدخلوها إلا الشطّار، بس فايّتاني بالضعفة والنحافة بي غادي، تلبس ليها نضارات تحلف تقول العدسات واقفات براهن في هوا قدّام عيونها، هي كلها على بعض ممكن الهواء يشيلها، لونها رايق زي لون المنّقة في موسمها، وملامحها حلوة زي حلوة المولد، غايّتو مرات لما أزهج منها بقول ليها إيتارجى من قدّامي أحسن ليك يا القشة أم روح، لّكن لقيتها ما فاهمة القشة أم روح دي ذاتها هي شنو، إضطريت أقوم أشرحها ليها، قلت ليها القشة أم روح دي يا الغيبانة، حشرة عجيبة كده، ما بتعرفيها حشرة إلا تتحرك قدّامك فجأة، حتّين بعداك بقت تزعل مني بجدها. لكن بريدها شديد وزى العسل على قلبي، وهي كمان بتريدني ومستحيل ترجع من الجامعة ما تجيب لي معاها حاجة إن شاء الله حلوة مصاصة.

بكري سمين ومدغلب زي البطة، وشو أبيض ومدور زي صحن الطلس، لمن يمشي إلا يشيل نفس، كزھتو ليك حياتو، بس ما يغيظني إلا أشبكو ليك، يا تختخ يا تخة يا نفيخة يا سمين، نحن اليوم كلو في العيك والعاك، وحالة كر وفر، أخلاقو ضيقتن قاعدالو في طرف نخرتو، وأنا لايوقن، وصراحة عايز أعمل خير في الولد، لو كل يوم خليتو يجري وراي شويّة يمكن يخس ولا يضعف بدل السمنة الشينة دي.

أما عبدو ده فألذ زول في الدنيا، فردة ومنقرضة، ياهو زولي وحبيبي، ود عمّي وزميل دراستي، مقالينا كلها بنعملها مع بعض، أول ما جيتهم في البيت، صراحة الود كان ود ناس، لكن بعداك غايتو بقوا يقولو عليهو شرّامي وترّامي، والسبب كلو طبعاً من حسين، الود الرقيق الودود بتاع العيون المكسرة زي الزول القايم يادابو من النوم، والوشيش الوجيه ده، قالوا خربتو أنا وبقي مسخوت!.

\*\*\*

أول إسبوع بس، محّنت فيني عمّي ومرت عمّي، كل يوم والتاني جاينا زول داقني الباب، كل واحد يشتكي لي لعمّي:

- يا حاج أحمد، ولدكم الإسمو حسين ده أمس داقني ولدي لمن نزف دم من نخرينو..

عمّي بخلة:

- يا حسين، يا ود يا حسين، تعال هنا ده!..

وأنا أجي جاري:

- أيوة يا عمّي!..

- تعال هنا يا ولد، إنت صحي دقيت ود عمك برعي ده وكببتو دم من

نخرينو؟..

أنا أعاين لعمّي وأعاين لعم برعي:

- أيوة يا عمّي..

- ودقيتو ليه يا ولدا؟..

- يا عمّي حسام ده عمل ليهو حركة كده..

وقمت مثلت ليهم الحركة، عمّي بقى يتضاير، وعم برعي إتخلع.

- بعداك قمت خمشتو من رقبتو، وأديتو بنية في نخرتو.. و..

عمّي حس بالحرج وحب يلم الموضوع سريع، ويتفاهم براهو مع عمك برعي  
بعد ما أنا أمشي:

- خلاص يا ولد يلا غور..

ما حصل يوم جا إشتكاني زول لعمّي على الرغم من كترتهم لقاني غلطان،  
نهائي ما كنت قاعد أغلط في زول، وما حصل يوم عمّي لأمني كلو كلو، رغم إني  
مرات كثيرة بكون مكبهم دم، مرات مرات كده بحس تحت تحت، إنو عمّي بكون  
مبسوط. زي التراني بشوفها في عيونو لكن البغم دي ما بقولها، بس تلاقيهو  
صامت. بعد شويّة بقيت عامل ليهم رعب في الحلة، مافي مشكلة إلا وأنا طرف  
فيها، وفي كل مشكلة تحصل بقوم بدس اسم عبدو وبطلعو من الصورة عشان  
أبوهو ما يهبرو، وأشيل الشيلة براي.

إلا مرة كنت في الشارع وشفت ثلاثة شباب أكبر مني بشاغلو في سوما وهي  
نازلة من المواصلات وراجعة على البيت، مشيت نهرتهم، ولّن لقوني ليك قليلوني  
وصغبروني وزى الجربوع قعدوا يضحكو فيني ويستهزأوا بي.

سوما عارفاني أحرق وبنفعل سريع، بقت تهش فيني وتناديني عشان أتخرج

معاها:

- يا حسين تعال، يلا يا حسين، قلت ليك يلا أرح..

وأنا مع الشباب أشاتم فيهم والمغصة كاتلاني وعايذ أضراب، لّن كتروها قلت  
ليهم أبقوا رجال ومنتظروني.

"كااك" .. وفكّوا فيني ضحكة غيظة!. خليت سوما في الشارع وجريت البيت  
قدّامها، إتناولت لي عكاز كارب كنت مدكّنو للظروف وجيتهم قالب، سوما لما  
شافتني قالب بالعكاز قامت تسكلب، لكن السكلي ما عندها، سكلي حنين، دي  
السكلية ولا بلاش؟! نان ده هسي لو عندنا في البلد ما كان بمرق ليهو شافعن  
من وكرو ولا ست بيت من تكلّها(7)، وقامت كدا وجرت على البيت، وأنا لسه مشيت  
وكاري عصايتي بالأرض وعجاجتي وكتاحتي قايمة وعلى الشباب عدل، أهلنا  
قالوا لينا لو عكّت، أركب في العالي، وأنا عارف من قبيل طرف عكّازي ده مفترض  
ينزل وين!.

عاينت لأكبر واحد فيهم، فيهو نفخة وعاجباهو رحو، وعامل فيها الزعيم وكبير  
الصعاليق، وقايلني بلاوز ولا بكضّب ساي أو يمكن عايذ أهرش بس. إنتظروني  
واقفين في حتتهم، جيتهم طائر وقال كده ورفعت عصايتي فوق وأديتها نطة عشان  
تنزل مذبوبة من فوق، وطاخ، ناولت ليك زعيمهم عكّاز كارب جاتو الضربة مدنكة

في نص راصو، ثاني صاحبنا ما شفتو ليك إلا الكضمة الياها، وقلّب عويناتو كده مثل التور المضبوح، قامن دورن زي لساتك العربية لكن مقلّعات لا فوق، ومن طولو خرّ زي الجمل.

الإثنين التانيين الكانو متحنفشين، لما شافوا المنظر فكوا البيرك وجروا زي الترتيب، بقيت أنا بعين للشاب الفارش واطة ودمو بخر قدّامي، وأنا لسه غضبان ونفسي قايم وعيوني مولة زي الشرر:

- ثاني تشاغل بت عمّي؟..

وزي ما مقتنع، أشيل وألكر فيهو بالعكاز:

- ثاني تشاغل بت عمّي؟ وهم، كرور..

فجأة يدين جرتني من ورا أنا وعكازي الإثنين سوا، عمّي وسوما وبكري كلهم إتلموا حلقة حوليني، عمّي تكورك وسوما وشيها مخطوف وترجف زي القصبّة، بكري منطط عويناتو ويعاين لي بدهشة، إلا عبدو ماني شايفو في اللمة. بصوت حاد صرخت فيني عمّي:

- سجمي، سجمي، يا حسين. عملت شنو؟ كتلت ود الناس!..

في الساعة ديك يادابها خشتني خوفاً، عارف الشاب ما مات لكن فكّرت لو مات حيحصل شنو؟ حيسجنوني؟ حيعدموني؟ أبوي وناس البلد يقولوا على شنو؟ وأمّي؟ إيك، ما حتقّدهم ليك ثاني لحظة في البلد، حتكر الحلة كلها وتجييها الخرطوم.

\*\*\*

اللّمة ماشة تكبر كل مرة، والموضوع كبر، فجأة ظهر بوكس كحلي راكبين فيهو ناس البوليس لما بغبوني، مكتوب عليهو ثلاثة تسعات واضحة وكبيرة، نطّو منو ثلاثة عساكر كانوا راكبين ورا، ونزلوا الإثنين تانيين كانوا راكبين قدّام واحد منهم السوّاق، والثاني كان حاشر كابو تحت الشريط في كتفو وسأل:

- الحصل شنو يا جماعة؟ الزول ده الضربو منو؟ فيكم زول بعرف الشاب

ده؟..

الناس كلها صنت وسكتت، وفيهم الهز راسو يسوي في اللا، بعد شويّة كنا أنا والشاب في شهر البوكس. الشاب ممدّد تحت على ضهرو يقند، وأنا قاعد جمبو مربّع يديني فوق ركبي، وعسكري ورا ضهري حارسني وماسك العصاية بتاعتي، والإثنين التانيين قاعدين قدّامي عينهم ما نزلت مني لحظة:

- إنت يا جنا قدرت تضرب الزول الأكبر منك ده كيف؟ كدي أحكي لينا  
الحصل شنو؟..

وأنا ساكت ما عايز أرد.

- ما عايز ترد مش؟ بالله شوفوا الشويفع أب رويس ده! أصبر لينا لما نصل  
القسم، الليلة تشوف النجوم عز الصهر!..

كان تهديد العسكري واضح زي الشمس دي نصت نهار، ما عايزة ليها فهم،  
إتذكّرت قلة أدب الشباب مع سوما، ركبت في راسي زيادة، إلا سوما دي  
اليحصل يحصل، قايلني بخاف ولا بخاف؟.

نزّلوا الشاب اللسة مغبي في الحوادث مع عسكري، لقوا في جيبو بطاقة فيها  
عنوانو، شالوها معاهم، ومن هناك على القسم عدل. اليوم داك أول مرّة أعرف إنو  
القسم فيهو حبس، كنت قايل القسم ده بكون مكاتب وبس، يكون فيهو ترابيز كده  
يقعدّوا فيها الضباط، ويكونوا العساكر ديل مشدودين في إنتباه طوّالي، وكل ما  
يجي ضابط ماري يرفعوا ليهو يدينهم ويدقوا ليهم الواطة برجلينهم تحية عسكرية  
زي ما كنا بنعمل في البلد لما نلعب عساكر عساكر، وحتى لو قبضوا حرامي  
يدخل القسم في الأول عشان يسألوهو، حتين بعداك يودوهو السجن. أها كنت  
متخيل لمن نخش القسم حيقعدّونا في كراسي محترمين وحسيقوني موية، ولّمن  
يجيبوا الشاي للضابط يقول ليهم وين حق الزول ده؟ تاني لا في عسكري بقدر  
يسألك ولا في زول بهيشك.

لّمن نزلت من البوكس الواطة كانت مغربت وأنا لسة ما صليت، بي يميني  
عسكري وشمالي عسكري وفي واحد ماشي وراي، أظنهم متخيلّني حاقوم جاري  
ولا شي، الزول القبيل قال لي أصبر داك كان ماشي قدّامنا، شايل ليهو  
كلاشنكوف مدلدل بإهمال بي يدو اليمين، مكفّف أكمامو لحدي فوق الضراعات،  
نحيفونني زيبي لكن طويل وأكبر مني في السن، وعندو نفرة كده في المشية  
بعملها لمن يرفع رجلو اليمين زي الزول البرقص.

أول ما دخلنا القسم بقيت أتلّفت، أول مرّة أخش لي قسم بوليس في حياتي،  
أول شي جانبي إحساس ما مريح نهائي، ريحة القسم كريهتت تحس بي نفسك  
كأنك بتشم ريحة مجرمين مجرمين ولا شنوما عارف، حاجة كده ما بتقدر تنساها  
تاني، زي لما تمشي المستشفى تلقى نفسك حفظت ريحة المطهر، وتكره أي حنة  
تانية تشم فيها ريحة مطهر، بس ياهو نفس الشعور. مشينا دغري لحدي ما وقفنا  
قدّام تربيعة وسط لا هي كبيرة ولا هي صغيرة، مدقوق فوق ليها على الحيطه،

لوحة بالأبيض واللبنّي الفاتح، مكتوب فيها "البلاغات" بي خط عرض وشين، الزول البنقز ضغطني من كتفي قال لي أقيف هنا، خلاني واقف قدام البلاغات ومشيّ يسلم على صحبانو زي كأنو راجع من دافوري مع الفرد، قرقرة وونسة وضحك، وأنا أعاين ليهو لحدّي ما في النهاية شحد منهم سفة صعوط(8)، مسك السفة وتكلها.

فجأة سمعت حركة جمب المكتب، عاينت كان في باب حديد بي طبلة كبيرة، كنت لمحتو أول ما جيت خاشي، لكن ما لفت إنتباهي، أظن إفتكرت الحتة مخزن ولا حاجة بالذات مع الضلمة، أها لمن ركزت، أشوف ليك يدين ماسكة السيخ من جوة، بعد شويّة أشوف ليك جوز عيون، بسم الله!.

الناس البسملت منهم ديل بعد شويّة لقيت نفسي مجدوع في نصهم، لما عيوني بدت تتعود على الضلام زي الكديس، لأنو ناس القسم كانوا ما شغالين بالحتة دي تنور ولا تضلم، ما مهم، لقيت في ثلاثة أولاد قدرى تقريبا وتاني في أربعة، ثلاثة رجال كبار وشاب شكلو أكبر مني شويّة، أو صبي ما قادر أحد في الضلام، أها قمت سلّمت على أول ولد جمبي، عرفت إنو إسمو ليدو، أسئلتي ما وقفت لكن بعد شويّة الأسئلة قلبت ونسة، ونستنا هي الحاجة الوحيدة الكانت سمحة في الضلام داك!.

عرفت من ليدو إنو بسمّوهم الشماشة، والشماشة فيهم أولاد وبنات ومراّت شفّع صغار، ممكن إثنين يعرسوا بعض يجيبوا جنا، مرات يجيبو جنا بدون عرس ذاتو، ليدو قال لي: "بت زي ده ينوم مع ناس كتار". مشيت الموضوع لأنّي ما فهمت حاجة، أو ما عايز أفهم ذاتو طالمًا فيها نوم ولد مع بت، دي عيب ياخ!.

كانت حالتهم بتحنن، على الضوء البسيط الخاشي على غرفة الحبس بدل يقوم شارّد بإتجاه الحرية، كنت قادر أشوف هدومهم المقطّعة، وصحتهم التعبانة، أها قمت سألت ليدو الدخّلهم السجن شنو؟ يعني عملوا شنو؟ قال لي مرات بنخش السجن لأننا بنكون سرقنا، ومرات بنخشو لأنو الناس مرات ما بتدورنا. قلت ليهو ما بدوروكم كيف يعني؟ قال لي مرات بس يخافوا منّا، يقوموا يدو البوليس قروش عشان يطفّشنا، وسألنو إنتو ساكنين وين؟ قال لي في السوق.

في الأول كان التفاهم صعب مع ليدو، عندهم كلمات كده صعبة، وصعب تعرف معناها بسهولة مرات إلا تسأل، أول كلمة عرفتها كانت "الرّج"، ودي معناها الحبس، وتاني "الطارة" ودي معناها البوليس أو الكشّة، وتاني "المجازفة" وعندها

كم معني منها النشل أو المحاولة الخطرة، ونضميهم ده ذاتو لا ورا عرفت عندو اسم بقولولو "الرندوك".

لحدّي ما الساعة عملت إتناشر بالليل حتّين أخيرا عمّي قدر "يجازفني" يا قول ليدو ويمرقني من القسم، لقيت ناس الحلة ملمومين ومعاهم ناس كده ما بعرفهم، وقالوا كان في لة زيتها في المستشفى كان فيها ناس عمّي وناس من الحلة برضو ومن أهل الشاب المفلوق، ده كلو ما كنت شغال بيهو، كان همّي كلو أطلع ناس ليدو وصحبانو كيف من القسم؟ كنت وعدتو إنو ما حاخليهم وحأطلعهم من الحبس، بس كيف؟ إستأذنت من عمّي برّاحة ورجعت لمكتب الضباط أسأل منهم، كان في ضابط صغير أول مرة أشوفو مساهر مع العساكر في القسم، شكلو جا متأخر لأنو ما شفتو قبل كده، دقيت ليهو الباب، أشّر لي إتفضل، قمت طوالي سألّو ناس ليدو ديل أطلعهم كيف؟.

هو صراحة كان ظريف، أو يمكن بالو كان رايق، بدا يسألني في الأول إنت بتعرفهم من وين؟ وعرفتهم كيف؟ وحاجات زي دي، لكنو ما إتبايخ معاي زي ما العساكر كانوا بيتبايخو، عرفت إنو مفتوح فيهم بلاغات. وزي ناس ليدو ديل مافي زول بضمنهم في الغالب لحدّي ما يحولوهم الصباح لقسم ثاني تخصصو صبيان وأطفال صغار عندو إسم كده براهو، قلت ليهو طيب بعملو ليهم شنو هناك؟ قال لي ديلاك ناس متخصصين في الصغار ديل ويعرفوا يتعاملوا معاهم، المهم لو عايز أتصرّف وأخارجهم، مفترض أعمل الحاجة دي قبل الساعة إتناشر ظهر اليوم الثاني، سألّو السؤال الأهم، وهو المطلوب مني شنو؟ عاين لي مسافة، أظنو شكّ أقدر أفهمو، قال لي عندكم محامي في العائلة؟ قلت ليهو لا، قمت إتذكّرت فجأة إبراهيم المحامي في الحلة، قلت ليهو لكن عندنا محامي في الحلة، قال لي بس خلاص، أمشي أحكي ليهو الكلام القلتو ليك ده كلو وهو حيفهم ويعرف يعمل شنو!.

اليوم داك عمّي أول مرة يجلدني، هبرني هبر الجن، طلع مدكّن ليهو سوط عنج قديم قدم، أظنو ليهو عشرين سنة ما شاف شمس، وما شم ليهو ريحة زيت بالغلط، لّمن جلدو مكرّمش. قدر ما حاولت عمّتي تخش في النص تحامي لي، إلا عمّي كان بنهرها كل مرة تزح بعيد، لّمن الشغلانية سخنت معاي، بقيت أصرّخ بطول حسي. والغريبة زول من الجيران قال كدي النشوف الحاصل شنو مافي رغم إنها كانت واحدة ونص صباحا، ديل أصلو ما عليهم تكل. ولا ناس مروّة،



بكوري وعبدو واقفين بعيد يعاينوا في الجلد، ما راضين لكن ما قادرين يقولو شي،  
سوما واقفة جمبهم دموعها نازلة مطر من سكات.

\*\*\*

الحسنة الوحيدة من اليوم داك ولحدّي ما الإجازة إنتهت ودخلنا المدرسة،  
مافي زول تاني شاغل سوما نهائي، ولا في زول كان بقرب من عبديو برضو،  
ومافي زول بقل أدبو في الحلة على أولاد حاج أحمد، بالعكس يا زول آخر  
إحترامات، إحترامات كميات كده من الصغار والكبار، ولصقو ليك فيني كمية من  
الألقاب، مرّة حسّو، ومرّة الراستا، إنتو راسكم ما يجي إلا كده؟.

تاني يوم صحيت متأخر وقمت بعد تلتة من السرير، معسّم على الآخر  
وجسمي كلو كان بينتح من الألم، عمّي يدو ناشفة ياخ هبرني هبر الجن، ريحتي  
زيت زيت والملاية كلها مبقعة، لو ما عمّتي مسحّت جسمي كلو بزيت السمسم ما  
كان قدرت أنوم ذاتو، البيت صاني الجماعة كلهم مافيشين، سامع صوت كركبة  
من جهة المطبخ، دي أكيد عمّتي، لما مشيت أخذت لي دش وإتسوكت وجيت،  
لقيتها خنت لي صينية الشاي فيها ثيرموس وكباية وملعقة وسكرية وصندوق  
بسكويت، والملاية إتغيرت بملاية مكوية سيف تشيل هم تقعد ولا ترقد فيها تقوم  
تخرب المنظر.

ختيت ملعتين سكر وبديت أكب في شاي اللبن، أكيد اللباني جا الصباح زي  
عوايدو لكن المرّة دي ما صحيت بيهو، بتكون عمّتي إستلمت منو الرطل. إتخيلتو  
نقنق ليها زي كل مرة "رطل واحد بس؟ ما عايزين زيادة؟"، ما قادر يفهم الرطل  
الواحد ده ذاتو في تلتة، أها بديت أسوط في الكباية، عمّتي جات داخلة:

- صباح الخير..

- صباح النور عمّتي..

- أصبحت كيف؟..

- كويس أنا، مافي عوجة تب!..

نان هي العوجة دي تاني كيفنّها؟ قلتها في سري، لكن بدور أجامل عمّتي  
ساي لله.

- ما عايزاك تزعل من عمك يا حسين..

- مافي سبب يخيليني أزعل منو يا عمّتي، عمّي زي أبوي واحد..

إنبسطت كده من كلامي و وشيها فرهد بعد غمة حسيتها فيهو..

- بالمناسبة، سوما وصّنتني أصبّح عليك، كانت عايزة تنتظرك لما تصحى وتطمئن عليك، لكن عندها محاضرة صباحية مهمة ما قدرت تقعد..

- الله يخليها بت عمّي دي، دايمًا حنيّنة. لكن أقول ليك قول يا عمّتي؟ لو تاني لحق زول شاغلها والله برضو ما بسيبوهو.  
ضحكت بعفوية:

- دمّك حار يا حسين، لكن دي برضو حماقة منك، الولد ده كان ممكن يموت على يدك، المهم هسي عمك مرق من الصباح مشى يطمئن عليهم في المستشفى ويرجع..

كنت خلّصت الشاي بالبسكويت، قمت أستأذن منها:

- عمّتي!، ماشي مشوار قريب في الحِلّة وراجع..

- ماشي وين؟..

- لا قريب ما تخافي ما بتأخر، بس مشوار مهم لازم أعملو..  
رضت بعد تلتة، ما فكّنتني إلا بعد ما وعدتها ما أخش في أي مشكلة أو شكلة تاني. أديتها كلمتي وإتخارجت، كان في بالي أصحابي التلاتة المرزوعين في "الرج"!

\*\*\*

"كو..كو..كو"، دقيت باب الشارع بتاع ناس المحامي إبراهيم خيرى المعظمو يخیل لي حاجة كده زي البلاستيك الشفاف، بيتو على بعد شارعين من بيت ناس عمّي، بس قادر الله، البيت عبارة عن فيلا زي ما بقولوا أولاد الحِلّة من طابقين لونها أخضر فاتح تدي فيها ربك العجب، والحیطة من برّة عالية ماخدة نفس اللون.

صنّ، مافي حركة، تاني كررت الدقة، المرة دي ضرباتي كانت شديدة وقوية، جاني صوت زول جاي من جوّة بعربي مكسّر:

- أيوة، أيوة، مين؟..

والصوت مقرّب من الباب، سامع صوت برطعة نعلات.

- حسين..

- حسين مين؟..

بدا الباب يركب وإنفتحت ضلفة، ظهر زول عجوز أخضراني باين عليهو الغفير.

- السلام عليكم..

- وعليكم السلام، عايز شنو يا ولد؟..

- عايز إبراهيم..

- إبراهيم منو يا ولد؟ قول أستاذ إبراهيم، عم إبراهيم، إبراهيم ده قدرك ولا قاعد يلعب معاك في الشارع؟ بعدين ما شايف الجرس المعلق فوق ده؟..

يا الله أنا من اللماضة، هسي الزول ده أرد عليهو؟..

- خلاص ياخ عايز أستاذ إبراهيم..

- وعايزو لشنو؟..

أنا بزهج ونرفزة المرة دي:

- ياخ إنت مالك؟ قلت ليك عايزو، وعايزو ضروري جدا كمان، عندي ليهو وصية مهمة شديد..

فكرت في الحنك ده سريع وإلا ما حأتفك من لئامة الغفير دي وما حينادي لي المحامي، عاين لي من فوق لتحت زي الما مقتنع، لكن في النهاية قام حسم أمرو:

- خلاص إنتظر هنا..

خلاتني واقف قبلي ودخل على البيت، لكن كان خلى لي باب الشارع متاكي، عاينت جوة قلت في نفسي يا سلام!، بالله شوفوا الحديقة دي عاملة كيفن؟ منسقة بشكل مبالغ فيهو، ريحة النجيلة زي ريحة الدعاش، باين الغفير كان بسقي فيها لمن دقيت عليهو الباب، وعربية المحامي بتلمع من النضافة، وجمبها جردل وفوطة وبواقى موية على البلاط، طوالي سألت روعي، زي الغفير ده بياخد كم؟ بعد شوية الغفير جا راجع بيرطع تاني:

- تعال معاي..

بدون أي كلمة باريت الغفير لحدّي ما دخّلني صالون كبير عريض و وهيض، هدوء تام، جو بقولو عليهو شنو؟ جو فول مدنكل بالجبنة وزيت السمسم! خلّاني الغفير براى بعد ما أشّر لي على كنبه:

- إنتظر هنا..

قعدت على الكنبه، الجو ينّس، تراهو الصالون نص مضلم، لا تعرفو صالون ولا أوضت نوم، رفعت راسي عاينت للساعة المعلّقة في الحيطه، كانت عاملة عشرة

صباحا. بعد شويّة سمعت صوت نحنحة، وزول جاي على الصالون. لما ظهر المحامي، مثّلت الدور وعملت فيها الود خرطوموي وتفتيحة على الآخر، قلت في نفسي هسي لو عرفني جاي من البلد يمكن يطنّشني أو ما حيشتغل بي الشغلة. - إزيك يا إبني..

ياخي باين عليهو راجل لطيف و ظريف المحامي ده، إتذكّرت حواراي مع الغفير، قمت على حيلي وقبضت إيدو الممدودة شديد وسلّمت عليهو بحرارة. طبعا بعد ما ختيت لي إبتسامه حدّها الضرس، ما الود ظريف وكده: - السلام عليكم يا أستاذ إبراهيم!..

\*\*\*

بديت أرغي للمحامي بحماس، وأحكي ليهو عن تفاصيل الأولاد المساكين ديل، وأنا شغال ليهو.. "كان شفّتهم، كانوا حنّوا قلبك، ديل أولاد مساكين". وهو شغال لي "أيوة، أها، وبعدين؟ طيب! أيوا، لا كويس والله". خلاّني أرغي زين لحدّي ما كمّلت كلامي كلو، وبقيت قاعد أعاين ليهو أتبسّم زي نار القصب، أول سؤال سألني ليهو:

- هو بالله ده إنت الأمس عملت الشكّلة وحبسوك في القسم؟ يعني إنت ود ناس حاج أحمد الجاي من البلد صاح؟..

ياخي هسي الزول ده الجاب ليهو سيرة شكّلة ولا حبس منو؟ الناس دي خبارا مالا شمشارة كده؟ حتى ناس الفلل الكنت فاكرهم راقين، طلّعوا زينا واحد؟ ياخ كل الموضوع جيت أسألو بس يساعد لي صحباني وبس!.

غايتو بعد قعدة كده معاهو، لا كانت بالطويلة ولا هي بالقصيرة، حاجة بين بين، وكان هو في معظمها مستمع، في النهاية أخذ ليهو صنّة كده وعاين برّة في الغفير الحاييم في النجيلة قبل ما يقول لي:

- شوف يا إبني، المحامي الشاطر ما بقول بتغلبنني حتى لو ما عارف يحلّها كيف في نفس اللحظة، وموضوعك ده أبسط من بسيط، لكن هل عندك فكرة عن أتعاب المحامي؟ هل إنت جاهز تدفع؟..

كان زي البكلم نفسو في الأول، لكن لما جا في حتة "تدفع" طوّالي سألتو:

- أدفع شنو؟ قروش؟!..

- طبعا يا إبني..

نضميهو بقى لي كبار كبار، ويمكن يودرنني في الكلام، محامي شاطر وبتاع، كدي خلينا في المهم، قصة قروش دي ساهلة وقعت لي تب! بس دي ذاتها كانت رايحة علي، أنا هسي أجييب ليهو قروش من وين؟ أشحد مثلاً؟ لا..لا، دي أصلو ما بعملها أكان كسروا لي رقبتي دي، لكن قلت كدي النسأل من باب العلم:

- كم يا أستاذ؟..

- يعني، في الأول بنشيل منك شوية مصاريف للورق والخطابات الرسمية، غايثو كلها على بعض بتعمل ليها حوالي تلتمية لأربعمية جنيه كده!..

طبعاً ولا قلت ليهو البغم، كضمت وبخلقت عيوني وأنا بعاين ليهو، كيف؟ معقولة؟. هسي أجييب ليهو مبلغ زي ده من وين؟ لكن المشكلة ما عندي أي خيار تاني ولا زول غيرو، لازم أنحنكو يعني لازم أنحنكو، ما بقدر أخلي صحباني الجداد ديل محبوسين في "الرج".

في الأخير المحامي قبل بعد لجلجة ومحاحة، كان بيدخل لي بي هنا ويمرق لي من هنا، وأنا مرة أحنس ومرة أحنك ومرات الإتين نسكت نصنصن، تعبني جنس تعب، لكن في النهاية وصلت معاهاو لإتفاق.

قبيل لَم جيت دقيت الباب، كنت قايل الشغلانية ساهلة، حنك حنكين سنان سريعات مع تمثيلية بارعة، تقوم تقسم في المحامي وتشيل فيهو، لأ وكمان نقوم نشد عربيتو السنينة دي سوا نمشي نك الحلوين ديل مع بعض حنية وإنسانية ساي منو لله.

لكنو طلع محنك وهو الكسبان، وعشان يعمل لي الشغلانية دي، حأشغل ليهو جنانيني بالمجان لمدة شهرين، بالذات بعد ما عرفني جاي من البلد وود مزارعين وكده، طلعت أنا الداقس، لكن في النهاية صحباني حيكونوا حُرّين، وده هو الكان مهم بالنسبة لي في اللحظات ديك.

\*\*\*

- يا عمك ياخ..

واحد من فِردي الجدد شدّاني من قميصي من ورا، فرحت جنس فرح لما سمعت صوتو، إتلفت لقيتو ياهو ذاتو ليدو الما بغباني، بنفس هياتو وملابسو الوسخانات ديلاك، ورداهو المشرط وخرايط التراب من وشو لحدّي ساقينو وكرعينو الحفيانة تحت. دوشوني لحدّي ما لميت فيهم، لأ عشان ما أخاف الكضب هم اللّمو فيني، قدر ما باريت وصفهم الأدوني ليهو في الحبس نهائي ما لميت فيهم، حمت

السوق ده شارعين شارعين حولين وصفهم ما لميت فيهم، لمن شكيت في نفسي  
وقلت يمكن خايفين مني وتاني ما حيظروا ولا حاشوفهم:

- وين إنتو ياخ؟ دوختوني لي ساعة بفتش عليكم؟..

- وين يا أصلي، تعال أكتل معانا ملف من هنا..

كتلت معاهو الملف زي ما طلب، بعد شويّة دخلنا في زقاق ضيق بين عمارتين  
وأنا مباريهو، الزقاق ده ليه ما شفتو أنا؟ إنتهينا من الزقاق، كتل ليهو ملف تاني  
زي ما بقول، لقيت وراهو لحدّي ما فجأة لقيتو مافي، بسم الله! وقفت محتار  
أتلّفت، يعني بلغتو الواطة ولا كيفن؟ الود إختفى وين فجعتن؟ مرقني صوتو تاني  
من حيرتي، بعد ما طلّع راسو من تحت كبري في الشارع، أتاريهو محشور جوّة  
خور، إتلّفت يمين شمال، وتوش إنزغمت معاهو جوّة الخور!.

- ديشاك، ده شنو ده؟ وديل منو ديل يا ليدو؟..

كنت بسألو عن ستة محشورين معاهو تحت الكبري في خور مضلّم، بعد ما  
عيوني إتعوت الضلام، قدرت أميز فيهم صحبان ليدو الإثنين الكانو معانا في  
الحبس، أما الباقيين فكانوا ماخدين راحتهم على الآخر ما إشتغلوا بي الشغلة،  
كان فيهم بتين كمان.

- ديل الفرد يا أصلي..

- فردك؟ فرد يعني شنو، أهلك؟ أصحابك؟..

- نحنا كلنا أهل يا أصلي..

يلا، أصلي..أصلي، أصلو ما فارقة. لما رجعت البيت نص النهار، كان شكلي  
عجيب وكرعيني مخرخرات زي كرعين ليدو وصحبانو بالضبط، ويا دوب راسي بدا  
يرجع طبيعي بعد شفيط السّلس(9)، وماسكني صدا ع، عايز يشق لي  
راسي نصين ويطيّر نافوخي، الكويّسة إنو مافي زول بلاقيك نص النهار في  
البيت، وعمّتي بتكون نايمة زي الوكت ده، طوّالي إحترمت نفسي وإنقشطت في  
الحمام أخذت لي دش كارب طيّر لي الكوفير.

\*\*\*

حاجتين عملو لي دريبات وتخريّمات، جنينة المحامي، وفرد الخور البقو يثقوا  
فيني ثقة عمّيا، وإعتبروني واحد منهم، وكل ما ألقى طريقة بقيت أمشي ليهم  
شايل معاي حاجة، مرة عيش ناشف، مرة كسرة بايطة، بواقي الأكل. عمّتي بقت  
تستغرب لما لقنتني مهتمّي بمضايرة السفرة كل مرة، بعد شويّة بقى الموضوع

عادي، وكل ما تحن علي وتلكز سوما عشان تبدلني، كنت بصر شديد، أصلو دي فرقتني الوحيدة أشيل فيها بواقي الأكل قبل ما تترمي أو تمشي الكوشة.  
بس بعد جربت السلسيون زي ثلاثة أربعة مرات، وقفتو براى وإعتدلت ليهم، أصلو ما كان عاجبني من الأول، فكّرت أجربو ساي، وبرضو خليت الحشّير والنزول تحت الخور، بقيت لما أجيهم بقعد في ضل حيطه جمبهم، يقوموا يجمالوني وبمرقوا لي برّة، ونقعد نتونس، ألقى الناس بتعاين ليهم وتعاين لي معاهم بي نظرة غريبة، وأحياناً بإشمنزاز، ومرات ولا حتى بجيبو خبرنا، أو زي كأننا ما موجودين، نهائي ما كنت شغال ليك بيهم الشغلة، حريقة فيهم، وأصلاً ناس ليدو هم ذاتهم طبعي ما شغالين بالناس.

آخر أيام الصياغة والعطلة بقت زهّج وملل، كمّلت الحوامة واللف. ما كان مصبرني عليها إلا المدرسة البقت خلاص فينا وش، هي نفسها المدرسة الكنت في يوم من الأيام لا عامل ليها حساب ولا يحزنون لو لا عمّي وإصرارو، ولا قايل نفسي حأوصل وأخش الثانوي في يوم من الأيام، لكن بعد قعدتي باقي إجازتي في الخرطوم، بقت عادي ولا كأنو الزول ده ما كان حاريها، بقيت منتظرها زي وزي غيري الفّي سنّي.

حتى ناس بيتنا كلهم في الحلة الكانو متيقنين تخلص من الأساس يا جنا، وتشق دربك في الحواشات، ياها الراجياك، أبوك يظبط ليك حمارة كاربة تمشي بيها السوق الصباح تببع البرسيم، وتشوف حاجاتك الناقصة وتطلب الله، تتعلم الحساب ومسك القريشات، وحش الحواشات وتبقى مسؤول براك، تقلّب أرضك، وتنوّع زرعك حسب مواسمك، ترفع مويّتك وتختار تقاويك وتخزنها للموسم، ياها شغلانية الحلة كلها من الأزل، بالمسا تقوم تزوغ من أبوك تمشي النادي، تلعب كشتينة مع أولاد الحلة، تسرق كم سقّة صعوط من حقة عمك بخيت ولا سلامة الأطرش، لحدّي الساعة عشرة تجي قالب تشوف عنقريبك بي وين عشان تتخمد تنوم لي يوم ثاني جديد.

أظنو الحنين للبلد، لي يومين متذكّرها شديد، شادّاني، بقيت أخش من أوضة لأوضة، ماسكني قلق ما عارف أعمل شنو، بفكر يا ربي بلقى فرصة أنط سريع البلد وأرجع قبل المدرسة بيوم؟ المدرسة خلاص باقي عليها أيام بسيطة، عمّي برضى؟ أقول ليهو شنو؟ وأنا حايـم دخلت الصالون عدم شغلة، إلتفت يمين شمال، سوما قاعدة بتذاكر في ركن، البنية دي أصلو ما بتطمّن، الشي شنو؟ القرابة

القدر ده شين لزومها اللّمن يقدقوا ليها العينات دي؟ طيب ما ليها حق تلبسها نضارة؟!

عاينت وراها ركزت على المكتبة، كل مرة كنت بمر بيها مرور الكرام، شايفها زيها وزى الكنبة واحد، يعني عبارة عن قطعة أثاث بس ما أكثر، منها منظر ومنها لامة كتب عمّي الكثيرة دي، ما شايف فيها أي شي جاذب بالنسبة لي، وأنا كمان مالي ومال الكتب؟ هو أنا ناقص؟ بس مع الزهجة، لما عاينت للمكتبة قلت يمكن ألقى لي كتاب مصوّر ولا مجلة مصوّرة أقضي بيها وكت لحد الواطة ما تبرد، أقوم بعداك أمشي أدق لي كفر مع أولاد الحلة قبل ما أمشي على جنيّة أستاذ إبراهيم المحامي بالمرّة أديها طلة كمان قبل المغرب.

أول كتاب وقع في يدي كان إسمو موسم الهجرة إلي الشمال، قلبت ورقو فرر زي الكشتينة، وعازب أفننو أشوف لي شوفة غيرو لمن لقيتو ناشف بلا صور. عازب لي حاجة فيها فايده تكون مليانة صور، بس في آخر لحظة رن في نهاية راسي جرس، أنا سمعت الإسم ده وين قبل كده؟ قمت برّاحة مسكت الكتاب وبديت أقلب، شمار ساي مني وكده، بعد شويّة قمت جريت لي كرسي وقعدت أقلب فيهو، قبل ما أمسك الصفحة الأولى وأبدأ أقرأ. ما أدبت سوما أي إهتمام لما رفعت راسها تعالين لي بإستغراب، بعد شويّة الكرسي بقت لي قعدتو حارة ومملة وأنا منسجم مع الرواية، قمت مشيت الكنبة ورقدت فيها بمزاج وأنا مندمج بشكل غريب، والقصة كل ما ليها ماشة تشدني أكثر وأكثر، عوالم من الدهشة كانت بين السطور.

أنا عمري كلو بقرا كتب مدرسة بس، حتى كتب أبوي في مكتبتو الصغيرة الفيه كتب تفاسير وكتب دينية تانية ما بجي جمبها، والجرايد دي حدّي معاها اللفوفة، كان بالغت بلف لي فيها حاجة للزودة، يا لقيت فيها غرضا تاني، ولأنو قرايتي كانت بطئية، قضيت يومي داك لحدّي بالليل بقرا، ما عارف سوما مرقت متين، ينادوني للغدا، أتغدى وأرجع أقرأ، واصلت بحالتي دي لحدّي تاني يوم وتالت يوم ورابع يوم لمن خلّصت الكتاب في خامس يوم، الوحيدة الكانت مبسوبة مني للأخر هي عمّتي، والما كان مبسوط مني نهائي هو إبراهيم المحامي الجا دقّ لي الباب خامس يوم.

لكن المسألة دي كان ليها مفعول زي مفعول السحر في نفسي، حسيت بيها حاجة تانية خالص، زي كائي سافرت بعيد، بعيد، وجيت راجع تاني، وفي سفري



ده كنت بطير مرات وبحلّق بالخيال فوق السحاب، ويسرح بي لي مدن في حتات تانية بعيدة خلاص، القصّة فيها جاذبية عجيبة، الزول ده كتّابن، وحكّايّن! لكن ما بس كتابتو الشّيقة الكانت شادّاني، كنت بحس في وجه شبه، كنت بلقي حاجاتي جوّة القصّة دي، حتي النخلة جيب الشبّاك، كانت واقفة هناك صامدة شاهدة علي ولادتي، وأكيد هسي منتظراني أرجع، بس الأكيدة، ما عندنا زولا ممكن يمد يدو بالشبّاك يعبص في موية النيل، هو الفيضان بدينا فرقة؟ لكن ده الكان شادّيني ليها أكثر من أي شي تاني، أها التجربة دي كشفت لي نهم مدفون، جوع من نوع خاص، رغبة في القرابة، رغبة ملحة إنني أقرأ تاني وتالت ورابع، أصلو ما أقيف. من ديك ومكتبة عمّي جاها بلا، بقيت نادر ما أمشي أتسكّع بعيد منها، وهي ذاتها ما شاء الله تبارك الله، كان فيها كل الكتب المفترض إنني أقرأها من الأول، حسب إفتراضي بعداك. لكن أول شي عملتو، تميت المجموعة الكاملة بتاعت الطيب صالح، حتين قبلت على غيرو. لما فتحت المدرسة، كنت حاسي إنو تفكيري إتغير، قرايتي الخراجية كان ليها تأثير واضح وكبير، وبان تأثيرها وقتي.

\*\*\*

- يا حسين، أبوي بناديك..  
جاني صوت عبdo اللطخ من جهة المطبخ، أصلو ما ممكن يسييني مستمخ، كنت ماسك لي كتاب بقرا فيهو بمزاج، لكن خلاص طار لي:  
- حاضر يا عبdo جاي..  
علمت الصفحة الكنت بقرا فيها وقفلت الكتاب ولزيتو تحت المخدة. لقيت عمّي قاعدلو قعدة سمحي بالحيل مع عمّتي النعمة، تحس بيهم صحبان وفرد ياقول الفرد، كانوا يتبسّموا براهم، باين الونسة كانت دقاقة، خفت أقطعها ليهم من حالاتها. قدّامهم على التربيذة صينيّة صغيرة فيها كم فنجان جبنة، عمّي ماسك واحد مليان للنص قريب خشمو وبناضم في عمّتي، إضطريت قطعت عليهم ونستهم الرايقة دي:

- صباح الخير يا عمّي، صباح الخير عمّتي..  
إتلفتو على مبتسمين، ولسّة عمّي ماسك فنجانو:  
- صباح الخير يا حسين، أمشي ألبس عايزك تمشي معاي الدكان..

دي أول مرة عمّي يعزمني فيها معاهو للدكان، عارفو تاجر قديم ومشهور في السوق العربي، لكن ما حصل يوم مشيت ناحية دكانو ده نهائي ولا حتى فكّرت فيهو، بدون أي إعتراض مني:

- حاضر يا عمّي..

الشي شنو؟ إيه يا حسين، بقيت مهذب ومؤدّب و ود ناس، شي صباح الخير، وشي حاضر، لو إستمرّيت بالحالة دي ياني تاني ماني مارق إلا متمسّح ومتلّع كمان. أدّيت عمّتي نظرة إمتنان قبل ما أّتخرج، رجعت لسريري لفحت الكتاب من تحت المخذة وما نسيت أشد الملاية قبل ما أخت الكتاب في مكانو في المكتبة، أبو الذوق ذاتوا!

عمّتي دي بتحب النضافة والنظام شديد، وبتخلي البيت كلو يرقش براهو زي حلّة الألونيوم المجلّنها، صحيح تعبّتها أول أيام جدا، كنت سبهللي ومتعب بصورة ما عادية، قادر أّخيل. كنت بجدّع هديماتي ونعلاتي محل ما يكون، أّفنجط وأبرطع في السراير زي الشفع، بالأخص سراير الياي في الحوش، كانت بالنسبة لي عجيبة، لمّ نفضت لي كم ياي، إضطريت في النهاية أّمشي أّفتش لي زردية وأصلحهم بطريقتي قبل ما عمّتي تكتشفهم ويقوم نزعل مني.

ما ناسي أول يومين لي في الخرطوم لما جيت راجع قريب المغارب بعد ما عملت لي نبلة، لأ ما كده وبس، كمان علّمت أولاد الحلّة يعملو نبل، ومرقنا نكابس في شجر الحلّة ننيش في الطيور من طرف، مع الحماسة ديك جيت خاشي البيت بي براطيشي المليانة طين وتراب، وأي فرشّة في البيت جلبطتها بالطين وأنا شايل لي جوز طيور فرحان بيهم.

من ديك إتعلّمت لما تجي راجع البيت أول شي تمشي تستحمي وما تنسى تقلع نعلاتك برّة، وبرضو طيور في البيت ما معانا، والنبلة سلاح خطير ممنوع في البيت ده. كان في جنس قوانين وكبت حريات، طبعا الكلام ده كلو بعد تغسل الفرشات الجلبطها كلها برّة في الحوش، وتفرشها في سراير الحديد تحت الشمس.

عمّي لمّ جا مارق من باب البيت، لقاني منتظرو جمب باب العربية، فتح باب البوكس وقال لي أركب، في الطريق بقى يتونس معاي ويسألني عن أحوالي وقعدتي في الخرطوم، إستفدت منها شنو وهل أنا مشتاق للبلد ولا ما مشتاق ليها؟ أّتونّس معاي في كل شي إلا مشواري معاهو ده عايزني في الدكان ليه؟ ما قال لي عنو أي شي، وأنا ما سألتو.

لما وصلنا الدكان وفتحناهو سوا جا صبي شغال مع عمّي بقى ينقّض فيهو، الولد كان تقريبا قدرى أو أصغر منى بشويّة، عمّي قال ليهو عاين لى معاك للدكان أنا مارق وجاي، سألت نفسى الولد ده منو؟ وما دام عمّي محتاج لزول معاهو فى الدكان ليه ما بسوق واحد من أولادو خاصة وإنهم مؤجّزين؟. باريت عمّي، لفينا مربوع الدكاكين كلو بي ورا و وقفنا فى الدكان الثانى، برّة فى البرنّدة كان قاعد ترزى، لما شاف عمّي قام على حيلو وسلّم عليهو سلام معرفة:

- أهلا وسهلا يا حاج أحمد، كيف حالك وأحوالك وكيف العيال وأمهم؟..
- بخير يا آدم، كيفك إنت وكيف عيالك؟..
- بخير والله يا يا حاج، فضلة خيرك، الأخبار؟..
- كلو تمام والحمد لله، بس عايزك تجيه لى حسين ولدى ده..
- باين عم آدم الترزى كان بعرف أولاد عمّي كلهم، لأنو عاين لى بحيرة، قبل ما عمّي يفكّها ليهو:
- لا، حسين ده ود أخوي جانا من البلد ليهو فترة قاعد معانا..
- أها، أهلا وسهلا يا حسين يا ولدى، كيف البلد وناس البلد الطيبين؟ وكيف إجازتك فى الخرطوم؟..
- أنا همهمت بنضم كده أنا ذاتى مانى فارزو، عمّي واصل بدلى:
- حسين حيواصل قرايتو معانا هنا، عشان كده جيناك وعمايزك تشيل مقاسو وتظبّت ليهو لبستين للمدرسة..
- كان الإحتجاج واضح على وش عم آدم:
- لكن يا حاج أحمد زى ما شايف الحبل الوراي ده، دي كلها إلتزامات مدارس وجيتونى متأخرين شديد، خايف ما ألحقها ليهو قبل ما ينزل..
- معلش يا آدم يا أخوي، عارف جيناك متأخرين لكن عارفك برضو ما بتقصّر..
- إبتسم عم آدم، شكلو الكلام رىحو، يخيل لى العلاقة بيناتهم هو وعمّي قديمة ويعرفو بعض كويس من سنين، عم آدم رغم إنو ما عندو لى فرقة، لكن بكل أريحية وكأنو ما إحتج قبل شويّة، جاني شايلى المتر وبدا ياخذ لى فى المقاسات.
- خلاص يا حاج أحمد، أنا بحاول بأي طريقة ألحقها ليهو، خيرك واصل يا سيدي..

عمّي شكرو ورجعنا تاني بإتجاه الدكان. لما رجعنا، الود كان إنتهي من النقيض وبقي يمسخ في الأرضية، إنتظرناهو برّة لحدّي ما خلّص نضافتو والغبار راق شويّة حتّين بعدّاك دخلنا، خلانا دخلنا وإنسل برّاحة مرق. شويتين جا راجع شايل ليهو حفاظة موية نضيصة تنقط من برّة، ومعاها كوز ختّاهو من فوق ليها، وقلب تاني عايز يطلع برّة الدكان، وأنا متابعو ومركز معاها، والشمار خلاص كتلني، عايز أعرف ده منو المشغلو عمّي ده؟ هدومو بسيطة لكنّها نضيصة، ملامح وشيهو لطيفة وبتقول إنو ود رايق ومسكين، قبل ما يطلع برّة الدكان، عمّي ناداهو:

- تعال يا أمين سلّم على حسين أخوك ده..

يكون عمّي لاحظ لي مركز معاها؟ أمين جا راجع علينا..

- حسين ده ود أخوي يا أمين..

بدون أي تعبير، و وش جامد، مدّ أمين يدّو وسلّم علي بصوت مبجوح، صوت زي المارقلو من جركانة زيت فاضية، تاني قبل غادي وشتت بسرعة وخفة زي ود الغزال.

\*\*\*

دكان عمّي واسع فيهو تربيعة كبيرة زي المكتب بقعد وراها في كرسي وهيض بُنى جلدو باهت ومشقق، المكتب كلو مقبل على الشارع، وعلى يمينو مكيف موية مبردّ الجو وملطفو. الدكان الواسع ده كلو فاضي إلا من عينات مشتتة كده بتاعت بضاعة هنا وهناك، عرفت منو إنو ده دكان إجمالي، لكن عندو مخزن قريب فيهو البضاعة.

الدكان ما بفضي، حركة الناس البتخش وبتمرق كتيرة، ومعظمهم بعرفوا عمّي، ومرات كده صوتهم يعلا بالونسة والضحك، ومرات يتكلموا بصوت واطي، دحين النضمي الكثير ده كلو ما شفت لي زول فيهم مرقلو قريشات رصاهن فوق راس المكتب ده.

قدّام المكتب كرسيين أنا قاعد في واحد منهم، لما يجي أكثر من زول بضطر أقوم وأمشي أقعد في شوال هناك قريب الركن لحدّي ما يتخارجوا، والود أمين دايمًا قريب، في ناس معيّنين لمن يجوا عمّي بديهو إشارة، أمين فللي يجري يجيب الشاي ويجي.

لنّ جات الساعة عشرة ونص، عصافير بطني زغردت، ومصاريني عوّعت، قبل ما أنضم أمين كان شايل ليهو صحن كبير فيهو فول مجيه جنس جيّة، زيت

السَّمْسَم طافح بي فوق يقول يا ليل، والجَبَّة والطَّعْمِيَّة والبصل الأبيض، أْح  
خَلاني أَرِيْل، أَمِين ده الله يخليهو، بس التَّقُول شغال زي الساعة أَم زَمْبِرِك، أَكان  
قلت ليهو ولا ما قلت ليهو، عندو وزنَة ما بتجَلِّي. فَضَّينا راس المَكْتَب وقعدنا كلنا  
نضرب في صحن الفول المجيه وأَمِين ذاتو معنا، وكل ما يجي زول مارِّي، عَمِّي  
يناديهو يفطر معنا يقوم يعتذر ويواصل طريقو، عيوني إتملت دموع من حرورية  
الشَّطَة الخضرا، قالوا نوعها صعب خلاص مسمَّنها إعدام محمود محمد طه. زولا  
مثير للجدل، كنت محظوظ وقريت عنو ما إحتجت أَسأل هو مَنو.

إنتهينا من فطورنا، بعد شويَّة أَمِين جابلنا الشاي برضو براهو من غير زول  
يقول ليهو، بعد شربت الشاي مرقت بَرَّة الدكان، لقيت أَمِين قاعد في كرسي  
مطَّرَف جمب الباب، فركت يديني بَرَّاحَة بخبث، أَن أوان فلفلة الشمار وإحسان  
السحن، لَن قَرَّبَت منو كان عايز يقوم لي من الكرسي، أبيت نهائي، قلت ليهو  
أَقعد قبلك بس تُرْ لي جمبك، حَجَمنا الإِثنين قريبات من بعض، والإِثنين الكرسي  
بشيلنا.

- إنت من وين يا أَمِين؟..

بنفس الصوت الطالع من جركانة الزيت بتاع قبيل:

- أنا من مايو..

مايو دي سامع بيها بس إَتحاها على وين ماني خابر، لكن أَفتكر شيتين  
بعيدة كده، إَحرمت نفسي وتجاهلت جهلي وتابعت:

- بتقرا في المدرسة؟..

- أيوة..

- في سنة كم؟..

- نازل تامنة..

- يعني ممتحن السنة دي؟..

- أيوة..

وأنا لَسَة مواصل التحقيق وعايِز أَصل لراس الشمار والود تاعبني برد قدر  
السؤال بس:

- شغال مع عَمِّي من متين؟..

- دي السنة التالطة..

- تلاثة سنوات؟..

- أيوة..
- ولم فيك وين؟ ولا لميت فيهو كيف؟
- زمان عمّي الحاج قال لأمّي خلي ولدك يجي يشتغل معاي في الدكان..
- أمك؟..
- أيوة..
- عمّي بعرف أمك من وين؟ وإنتو قلت لي ساكنين وين؟ مايو؟..
- أيوة مايو، أمي بتعمل شاي في الشارع الثاني داك..
- قام أشرّ على إتجاه الشارع الثاني، إتحرجت أسألو الشاي ده بجيبو منها ولا لا..
- لكنو واصل براهو المرّة دي:
- لكن لما قال ليها الكلام ده كان قالوا ليها لما جانا في البيت ما هنا..
- في البيت؟..
- أيوة، عمّي الحاج بجينا البيت مرة في الشهر، بجيب لينا حاجات الشهر كلها ويشوف باقي أخواني وأخواتي الفي المدارس محتاجين لشنو، أمي بتقول ما مقصّر معانا، من بعد أبوي ما إتوفى ثاني ما خلّانا نحتاج لحاجة وبعاملنا زي أولادو!..
- أمين كان بقول في باقي كلامو ومدنقر راسو، تمتمت ليهو بصوت واطي:
- الله يرحمو..
- هنا ثاني غلبني النضم، إتاثرت شديد بكلامو، من ناحية حنّني ومن ناحية ثانية عمّي كبر في نظري، أنا متأكد أولادو ما عارفين القصّة دي، والله أعلم عمّتي عندها فكرة ولا لا!.

\*\*\*

يخيل لي عم آدم الترتزي إتقطعّ عشان يخلص لي هدمو المدرسة في مواعيدها، لمن قشّرت بيها اليوم دالك حسيت بإحساس مختلف، كان زول مبدّع بجد، عبّو أثاريهو كانت هدمو جاهزة من بدري، أما بكوري السمين ده زول قديم بس، هدمو كانت من السنة الفاتت، ما كان خاشي معانا في المولد، كلنا كنا شايلين شنت وكراسات وأقلام جديدة، وكمان معاها مصروف جيب، عمّي الله يخليهو، اليوم القليلها ساقنا كلنا بالعربية مشينا إشترينا حاجات المدرسة، وفي

الصباح وصلنا، بعد نزلنا عبدو قال لي أصلو أول يوم كده، نظامو معانا يوصلنا المدارس أول يوم بس، بعداك حنرجع بطريقتنا، وتاني كل يوم حنمشي ونرجع من المدرسة برانا.

المدرسة ما بعيدة من البيت، بتتمشي كداري بس عايزة الزول ينكرب ليها بدري شوية، لَم دخلت المدرسة بقيت أتلُفَت، المدرسة حكومية مشهورة وفيها كمية من الطلبة، كمية من الجوطة والإزعاج، الأولاد كلهم بعرفوا بعض ويبسلّموا على بعض بعد ما إتفرّقوا في فترة الإجازة. والداخلنها جداد زينا ديل تلاقهم يتلفّتوا يمين وشمال براهيم زي الذهب.

بعد يومين بس كسرت الحواجز، وبقيت أفرد في الطلبة من طرف، عبدو في الأول كان شاميني، ما قادر يسنجم رغم إنو أخوهو الأكبر منو في نفس المدرسة، بقي حاسي بي زي البعتو، وأنا ما شغال كتير ببكوري، لكن بعد شوية لَم إنتبهت لعبدو بقيت أجرو ليك معاي أعرّفو بالغصب على صحباني الجداد لحدّي ما إندمج معانا شوية شوية.

في ظرف إسبوع واحد عملت لي شلة محترمة، معارف خرطوميين كتارات، والمدرسة لامة، فيها جنس شي، فيهم نوعية من الأولاد تلقاهم لامعين براهيم زي الترت، أنا ما عارف لمعتهم دي خلقة، ولا من الغذا يا قول حبوبيتي، ولا الأولاد ديل بعملوا شي زي البنوت؟.

في الأول كنت كاشي منهم، أصلو من قمنا قالولنا الناشف ما ببقا طري، والبقا طري ما بNDAR، بعد قرّبت منهم شوية، لقيت فيهم أولاد قلبهم حار زي النار، عندهم راي زين وسمح بالحيل، اليشوفهم من برّة ما يشوفهم من جوّة، مع إنو فيهم كتيرين أخير تختا دربهم تب!.

وحتى الأساتذة بقوا يعرفوني ويفرزوني من بعيد، أكثر زول جايط في الفصول دي كنت أنا، وأول زول إتجلد في المدرسة دي كلها كنت أنا، من أول يومين كنت عملت لي مشكلة مع ولد متحنفش، شايفنا دقدق وصغار عايز يفرد فينا أنا وعبدو أخوي عضلاتو، طوالي ولا كضبت، نطيت في رقبتو وجبتو أرضا، بعد داك بقيت طالع من فوق ليهو ويناولو في البنج، في الأول حاول يسترجل وياكلها في حنانو ويقاوم، بعد شوية لَم لقاني مواصل في ضربو غلبو، وبقي يصرخ يفتش في المخارجة، ويعمل في الواي بأعلى صوتو، وأنا على الغتاة العلي كمان أصلو أبيت أرحمو، زي ديل إلا تديهم العين الحمرا من الأول، وقولة واي دي كويسة معاي لأنّها بتكسر عينو، تاني نهائي ما برفعها علي ولا على غيري.

بسبب المشكلة دي جلدوني في طابور الصباح قدام المدرسة كلها زي درس كده للطلبة بحضور الناظر، وبرضو لزوم هرشة للطلاب مع بداية السنة الجديدة، لكن منو البشتغل بيهم؟ يا زول خلم، أهم شي الزول يظبط سمعتو ويتحكر كويس في المدرسة أول بأول، الحاجات دي لا بعرف لها ناظر ولا مدرّس!.

\*\*\*

المدرسة كل ما ليها كانت ماشة معاي زي الحلاوة، بقيت أصحى ليها من بدري صحيان زول مشتاق عشان يلاقي شلتو، وأقوم أصحّي معاي الشباب الكسلانيين ديل عشان نقطع المشوار ونصل بدري، أخ لو بس كانت بدون أساتذة، كانت حتبقى حاجة إنتيكة، ديل عاملين كده زي الهم في القلب ياخ، التقول ما جايين يقرّونا، جايين مخصوص بس عشان يعكروا لنا دمنا ويكرهونا. كل يوم إختبار إختبار هرونا هري بإختباراتهم المسيخة دي، تلقاهم هسي مبسوطين شايقنا معذبّين بالقراية والهم، أوع بس يكونوا قاصدين بيرمجوا بينا عشان ما نلقى فرقة نتونس ولا ندق لنا كفر في الحلة مع العصريات!.

أها من إختبار لإختبار، لقينا نفسنا وش في إمتحانات الفترة، يا الله عديناها متشوقين للإجازة والنوم رغم إنها قصيرة، كنت منتظر الإجازة دي بفارغ الصبر عايز أنزل فيها البلد أمشي أشوف أمي وأبوي، صادفت الإجازة جيّة خالي عبدالقادر للخرطوم، أها لو في زول فردة جد جد، ياهو خالي ده، أصلو علاقتنا مع بعض زي الأصحاب رغم إنو أكبر مني بكثير، خالي كان وضعو كويس ومتعلم علام جامعي، بس ما بحب يجي الخرطوم كثير، كان قاري زراعة وعندو مشروع ممتاز جمب النيل، بعيد شويّة من حلتنا لكنو ما بحوجنا نقطع ليهو البحر.

ناس حلتنا كان بتكلموا كثير عن مشروعو، بقولوا مشروعو عموما يشبه زراعتنا في البلد لكنو عندو نظريات غريبة بطبقها براهو من راسو، شيتين ما وقعت ليهم في نافوخهم ده نهائي بس كمان الصراحة كان بحاول كثير يساعد ناس الحلة في تحسين زراعتهم، مرّات بالنصيحة ساي ومرّات يجيب ليهم أنواع غريبة من السماد ما بعرفوها ولا شافوها قبّال كده، كان معظمهم راسهم قوي وبرفضوها بفضاظة بقولوا زراعتنا دي ياها الورثناها من جدود أجدانا وبزرعها من يومنا ما ممكن نخليها أو نغيرها. والمّا برفضوا تلاقهم بجاملوهو ساي يقولوا ليهو خلاص تمام حنجرّب بعداك يشيلوا السماد ويمشوا يرموهو بعيد، خالي



أصلو ما كان بزعل منهم، والحلّة ضيّقة والخبارات بتصل، لما يجينا في الحلّة ويسمع عملوا شنوا في سمارو يقعد يضحك.

هم عينهم في إنتاجية خالي شكلها كيف وكل ما ليها ماشة لا قدام، وإنتاجو ماشي زايد، وعينات محاصيلو ما بتشبه الليلت محاصيلنا كلها على بعضها في الحلّة، حتى خضارو شكلو مختلف وطعمو مختلف، رغم كده حارنين وحالفين يمين ما يغيرو شي، لامن في النهاية قنع منهم وخلاهم بي راحتهم.

\*\*\*

رغم إنو المرة دي خالي إنقطع كثير من الخرطوم، وظنيتو لو ما الشديد القوي ما كان جا ذاتو، بعرفو كويس أنا، أصلو ما بحب الخرطوم، لكنو جا نزل مخصوص مع ناس عمي عشاني، وجا في وكث مناسب معاي شديد، عارفو زول تفتيحة ومقدد الخرطوم دي كويس وما حيقصر معاي نهائي، وفعلًا، قلّعت هدمو المدرسة من هنا، وجدعت الكتب والأقلام، وإتفرغت ليهو وبقيت مباريهو محل ما يقبل زي ضنبو.

الأيام القضاها في الخرطوم كلها كنت معاهو، كل ما نخلص من شغلانية يقول لي أها الليلة البرنامج وين؟ أول برنامج كان قاعة الصداقة، حلمي القديم، إتشعبطت ليهو في رقبته، قلت ليهو يا خالي بس القاعة، لازمن القاعة. هي الصراحة كانت تجربة مدهشة، أصلو ما إتصورتها كده، لامن تبقى داخل تلاقي نفسك في عالم تاني، قاعة كبيرة واسعة عمري ما شفت شيتن زيها، أول شي يضربك هوا لطيف لطافة ما عادية، وبارد، لا هو بشبه الدعاش ولا هو شبه جو الشتا. قعدت أجرجر منو النفس وار النفس زي البقرة البتدور تلد، الهواء مش بارد ومنعش وبس، لأ وكمان فيهو ريحة حلوة حلاة ما عادية، بعد تملا خياشيمك زين تقوم تحس بيهو وصل جلدك.

أها بعداك بقينا محشورين في صف ضيق فيهو كراسي قماش عجيبة، أول مرة أشوف زيها، وإنّت خاشي جمباي تلاقي الكراسي مرصوفة مصنوعة لا فوق في السما، إحترت في الأول يقعدوا فيها كيفن، صنننت أتلّفت في القاعة لحديّ ما شفت خالي سحب ليهو كرسي وقعد، قال لي مالك واقف؟ قلت ليهو لا مافي شي، كنت خلاص عرفت بعملوها كيف، جريت كرسي الجن أب ياايي وقعت.

قدّامي هنوك شايفلي شيتين يشبه المسرح بي ستاير وحيطة من جوّة بيضا واسعة، خالي قال لي القاعة دي بتشتغل مسرح وسينما، أول مرة أعرف إنها بتشتغل مسرح كنت قايلها سينما بس، فضل يشرح لي ويونس فيني لحدّي ما الأنوار طفت والسينما إشتغلت، الفيلم كان هندي زي ما وصوني، نص الفيلم كنت مسورح، من جوّة مبسوط وأتلفت في القاعة، أها بعداك من نص الفيلم بقيت أرجم زي القصة، الشئ شنو؟ بالله التقول حاشرنا جوّة تالجة، وإتزنقت بول لحدّي حلقي، صبرت على زنقتي ديك خجلت أحدث خالي، لما الفيلم إنتهي غلبي وقمت كلمتو، أول شئ أداني شكلة مدنكلة، قال لي تاني أوعك تحبس، بتضر كلوينك.

بعداك بقينا مرات نمشي مشاوير لأصحابو أو نمشي نتفسّح في شارع النيل، كنا بنشرب شاي الصباح في البيت، مصروفي بتاع رطل اللبن اليومي كان بكفينا الإتين، أما فطورنا وغدانا وعشاننا ذاتو مرات بصادف يكون برّة البيت، شفت حتات ومطاعم عجيبه، لو ما خالي ما كنت حتى سمعت بيها أو شفتها، لمن بقى خلاص على السفر، أها أخليهو؟ طوّالي كرتب شنطتي الصغيرة الإشتراها لي قبل كم يوم في حوامتنا، قال لي إنت بعد ده بقيت زول خرطومي خلاص، بقج شنو ولا قفاف شنو ليك؟ إنت بقيت زول شنط خلاص! كيفني بكلامو ده كيف، زي كيف شاي الصباح، حسيت بنفسي خلاص بقيت شبه ناس الخرطوم تب.

أها قمت رتبت هديماتي الجديدة والقديمة في الشنيطة، يا حليل البقجة والقفّة، وما نسيت طبعاً أشيل معاي كتابين كان واحد فيهم إشتريتو براي من مصروفي، والتاني إشتراهو لي خالي من مكتبة لمن كنا حايمين وقامت عيني وقعت عليهو وعجبني. والأهم، والزاد من حماسة السفارة دي رغم كل شوقي للبلد وناس البلد، إنو سايق معاي عبدو.

عبدو بعد تحانيس كتيرة وجرجير حتين رضى يمشي معاي البلد، قلت ليهو يا زول يلاكا أمراقاكا شويّة من الخرطوم دي، كنت بستقزو بقول ليهو إنت لمتين حتبقى زي السخلة تناطح جمب أمها؟ متين حتمرق من الخرطوم تشوف برّة في شنو؟ ما عايز تتعرّف على أهلك؟ حيفرحوا بيك شديد لمن تجيهم، أها غايتو بعد تلتلة رضى.

عمّي إقتنع أسوق معاي عبودي، أظنو شاف مباراتو لي ما كلها شر، فعلا هو إتغير كتير بعد مباراتو لي، لكن يخيل لي الأهم في نظرو عايزو يمشي معاي

البلد ويتعرّف على أهلو برضو، ما نسي يعصر لنا مصاريف للسفر، طبعا أنا وأخوي الكاشف عبدو.

\*\*\*

غلبني أقرأ كثير في الكتاب الشايلىو في يدِّي، كنت بضطر كل مرة أقفلو وأخت أصبع محل واقف، مرات أتونس مع خالي شويّة، ومرات يقلّني منو عبدو لمن يشوف ليهو حاجة فجأة يلفتني بصوت عالي، مسكين أول مرة يطلع برّة الخرطوم، إتذكرت حالي لمن طلعت أول مرّة من الحلة وماشي على الخرطوم، الحاجات دي كلها رغم إنو الطريق ناشف ناشف العيش البايث كلها غريبة عليه، وحتى لمن يصنّوا الإتنين ولا يقوموا يدقسوا، كنت بسرح براي أتأمل لحظة نصل، كان شاقيني الشوق للحلة وناس الحلة، وكاتلني الحنين خاصة لناس البيت والجيران وصحباني والفرد، الحشايش وريحة الخضار وضل الشجر وريحة الطمي وصوت الموية في الجداول، وريحة الأرض الناشفة لما تجيها الموية ترويهها، وأصوات العصافير والقمرى، وصنّة نص النهار ديك لمن يعكرها نهيق حمار، ولا يدور بابور فجأة يشق السكون، حتى مشتاق لريحة الروث، وقعدة الرملّة مع الشلة ساعة المغربية، والعموم في البحر ومقالب أولاد الحلة البريئة، و.. و.. إيك، أتاويهو شاقيني الشوق شق وما قال طق!

لما وصلنا، كان للسفرة طعم ولون تاني، يمين بص الجكو بقى لي أجمل من كل البصات والحافلات الركبتها في الخرطوم، ما فضل لي إلا أبوس صفيحو المصدّي لا يوم الليلى، كل التراب الخشا علينا اليوم داك كنت بقول ليهو حبابك والله، حبابك عشرة بلا كشرة، ما تراهو إنت ذاتك أنا فاقدك، صوت بوريهو العجيب البضربو كل ما يخش الحلة، بقى لي أجمل لحن وأجمل غنا زي غنا الطمبور الكنا نسمعو زمان، ولا يجيك شاقى نص الليل ومن هناك تعرفو، ده طمبور طيفور، ودي دقة أب راس، وصوت الكوز يناغم في القوز، إيك يا زمن، فيك المحن، كنت زي العايز أمرق من هدومي وأتجدّع بي عزّاقى ماهر وسخان زي وساخة زمان ديك الكنا ولا حتى بنجلها خبر، أقوم كده أمشي أتمرغ بيهو في الرملّة والتراب.

أعابن كل مرة لعبدو ألقاهو ممكون وصابر، بالذات لمن ركبنا بص الجكو، البص أبى يرحمو كلو كلو، كل مرة يكشف لك فيهو التراب الناعم، والمسكين يشيل ويقحق، ما فاضل ليهو إلا يمرق من هدومو، أقوم أضحك فيهو، يتغاض مني. قام

خالي أدا هو عَمّو يتلَفّج بيها من التراب، حتين المسكين راق شويّة، لكن عيونو بقت  
حمر زي الجمر، وزعلان زعل يعاين لي بحرقة وغيظ، لو ما خالي جمبنا متأكّد  
كان نبذني ما خلى لي جمبة أرقد عليها.

قالت أمي زين، وبكيت، أيّا بكيت لما هي بكت، إنتو ما عارفين أمي دي  
حنينة كيفن وقدر شنو؟ وأبوي الله يطوّل عمرو، والطول عمرو كان راكز، الليلة سلّم  
علي سلاما عمري ما شفت زيو، بعداك سلموا على خالي عبدالقادر وعبدو ود  
عمّي ودخلنا كلنا لا جوّة، شربنا عصيرنا، ورقدنا نرتاح شويّة، مهما كان شوقك  
للبلد، بص الجكو ما حيتغير أبدا، حيهدي حيك يعني حيهدي حيك!.

بعد إرتحنا شويّة وغيرنا هدومنا وإتغدينا، سقت عبديو أفسّحو في البلد عشان  
يتعرّف عليها، أول شي ركبتو حمارة كاربة، أخذ ليهو وقعة وقعتين جامدات وأنا  
أضحك فيهو، أخيرا قدر يتماسك شويّة ويطوّل على ضهرها من غير ما يقع، رغم  
الزمن القصير الفضل لحدّي المغربية كنت لفيت بيهو على كل معالم الحلة  
الرئيسية بما فيها الحواشات ومحل بنقيل ومحل نشرك للطيور والحتة البنزل منها  
على البحر. فرّجتو على البوابير والجداول وشاف الزراعة والنخل وأنواع الخضار،  
غايتو فهمّو حاجة.

بالمسا، لميتو بالشلة، إستقبلونا إستقبال حافل ولعبنا لينا ألعاب مخصوص  
عشانو كبرنامج ليهو، إتكيف للدين، وفي النهاية رقدنا في الرملة نتونس بعد ما  
هدّانا التعب، قعدنا نحكي في قصصنا ومقابلنا في الحلة زمان، عبديو كان  
بيسمع في قصصنا بإندهاش تام، لكنّو ما كان مندهش من القصص وبس، كان  
مندهش من كل شي، أولها من طبيعة حياتنا البلا كهرباء دي، وكمية النجوم الفّي  
سمانا لما بتشبه سما الخرطوم، حتى لما تقطع الكهرباء في الخرطوم ما بشوفها  
بالدقة والشفافية دي، والعجب الهمبريب، حاجة كده ما قادر يوصفها لينا رغم إننا  
كنا شايفنها عادي حتى بالنسبة لي أنا الجاي دابي من الخرطوم.

قبل ما ننكش نمشي نلوم، غشيتو النادي يتفرج على اللمة بتاعت ناس الحلة  
بالليل، وقبل ما نطلع من النادي مشيت سرقت لي سفة من حقة سلامة الأطرش،  
تكلتها بمزاج وجيت مارق، عبديو كان بعاين لي بكل إندهاش الدنيا:

- بتسف؟..

- أسمع يا كرور، الحاجات البتشفوني بعملها أوعك تكلم بيها زول، فاهم؟..

شايفو زي طنشي كده:

- بتسف من متين؟..

- عشان ما شفتني بكيس ولا حقة قايلني ما بسف؟..  
سكت ما قادر يعلّق. شايفو زي المصدوم..

- أسمع، أقول ليك حاجة؟ الحلة دي كلها بتسف، حتى الأولاد الشفتهم ديل  
كلهم بسفو، حلتنا دي غير الزراعة والكشتينة والصعوط فيها شنو تاني؟..

\*\*\*

رغم ده كلو، ما قدرت أستحمل أقعد في البلد أكثر من ثلاثة أيام، باين  
الخرطوم إستهوتني شديد، ما قايل نفسي حأشتاق أرجع ليها بالقدر ده أو  
السرعة دي، والشجعتني أكثر عبود أصلا كان تاني غلبو يتأقلم كلو مع جو  
البلد، بعد يومين بقى يحاحي لي زي العتود، وإتجرّس لي جرسه شديدة، وأنا  
نهائي ما حاولت ألاويهو، بقيت أعين ليهو وأتذكر ليالي الخرطوم المزجة وأقارنها  
بحياة البلد المصنّعة، يمكن لو جيت براي كان إتيقنت و والفت عادي، ما أظنها  
كانت حتفرق معاي كتير، لكن جرسه عبود خلّنتني أتشجع أرجع معاهو بداري  
وأتم اليومين الفضلو لي في الخرطوم.

رجعنا الخرطوم تاني، بعد ما شيلونا القفاف والخيرات بالكوم والردوم لينا  
ولناس عمّي، عبود عايز ينطط لما شاف حواشي الخرطوم من جديد، بقى لي زي  
العجل الفارق أمو يومين، يفنّجط وينطط ساي، أنا سألت روعي، وإنّت خبارك يا  
حسين ما فنّجطت زي عبود لمن خشيت الحلة؟.

عدت سنة أولي كلها بسرّاع، ما جدّ فيها جديد غير زيادة شعبيّتي، بقى  
عندي كمية كده من الفرد في المدرسة، ومشروع بتاع القراية الخارجية ماشي  
كويس خالص، وحسيت بروحي بقيت مثقف وأفكاري بقلت متبلورة وبعرف أتكلم  
أحسن وأتناقش كمان. ولكنتي بتاعت البلد بدت تتصلح شويّة شويّة، والكلام بدا  
يستعدّل زي كلام ناس الخرطوم ديل، الود ما خلاص قرّب ببقى خرطومى وكده،  
نظام خرطومى إلا شعرة أو شعرتين.

وهاك يا اللّفحي، ضيوف عمّي البجونا بقيت يستلمهم أنا وأنزل فيهم قد من  
طرف، والعجب العجّاب لو عمّي مافي أو متأخر، بفتّح ليهم المواضيع وأبرمج بيهم  
من مافي، لداحة شديدة. فيهم ناس بتضحك وتتنوس و حتى تستلطفني، كانوا  
بحسوا بي فعلا ود ظريف ودمي خفيف، وفيهم ناس بياخدوا الموضوع شخصي  
جدا جدا، والأعصاب بتبوظ والعروق بيتطاير، والغريبة عندي برود أعصاب ما  
إعتيادي إكتشفتموا من النقاشات دي، نهائي ما بعرف أنفعل مع أي زول في

حوار، ويعرف أنسحب إنسحاب تكتيكي في الوقت المناسب، شين لازمتمو الإنفعالات المهيبة دي؟.

كمّلنا سنتنا الأولى ونزلنا الإجازة الكبيرة، المرة دي كنت مرتب أموري كويس ما عايز أرجع البلد طوّالي، الإجازة طويلة وفي نفس الوقت، عندي مشاريعي الصغيرة في راسي، عندي فكرة لفة كاربة للخرتوم مؤجلة ليها زمن.

لكن بدت تحصل لي تغييرات ومفاجآت شخصية، كنت بلا حظ لروحي، بدت تظهر فيني علامات الرجولة، الموضوع ده كان حدث وإعلان هام ومهم بالنسبة لي بصورة ما إعتيادية، لحسن حظي كنت قريت كتير عن المراهقة، وزى كل حاجة جديدة وتحولات مرحلة بقيت خاتي بالي مع التغييرات دي، شعيرات كده مزعطة مشتتات بقن يقومون لي في سيقاني وصدري ويديني، وشعر شنيبات يا دويها منبّنة تقول راسمنهم لي بي كحل، وحبوب ضاربة كدة في الوش واحدين صغارات و واحدين كبارات، والأهم من ديل كلهم، جسمي فجأة بدا يطول، أي زول يلم فيني بعد زمن بدهشة يقول لي يا زول إنت بالغ ليك قناية؟ ياخ ما تقولوا ما شاء الله ياخ الله أكبر عليكم، بتدورو تطقوني عين مش؟ الشئ شنو؟ ساحير إنتو؟ زمان حاقرين بينا تقولو دقق، وهسي نطول ما عايزين تريحونا؟.

الأعجب من الفوق ديلاك كلهم طبعاً الصوت، ياخ مبالغة عديل، بس الراديو الحارق ليهو كم لمبة صوت، مرة صوتي ده يجيك نغمة واحدة، فجأتين يقعد يقطع براهو يطلع في العالي وينزل في الواطي، حاجة محرجة خلاص، ما تقدر تقول ليك كلمتين ورا بعض زي الناس، أو تعمل عليهو كونترول، ياهو إلا يطلع ضارب كده، كل ديل طبعاً مع إعجاب الواحد بجسمو شديد، كل مرة لما أكون براي أفك القميص أقعد أفنش في عضلاتي قدام المراية، بقيت أربّي فيهن زي الجريوات.

\*\*\*

من ضمن شلة المدرسة كان معانا ولد أخدراني إسمو أّتيم من الإشلاق، والإشلاق نفسو ما بعيد وما قريب منّا يعني زي جبة كده بالكرعين، أيام المدرسة الولد ده كان طوّالي بيعزمنّا أنا وعبدو نمشي معاهو البيت، كنا كل مرة بنعتذر ليهو. لكن وعدتو قلت ليهو أول أيام الإجازة تلقانا وش قدامك، وقد كان. بعد يومين من الإجازة قضيناهم كورة في الحلة ولف في الفارغة والمقدودة، قررت أّزور أّتيم وأقنعت عبو يمشي معاي، الود وعدناهو وتلبية الدعوة واجبة، أها ثاني يوم من الصباح دردقنا بإتجاه الإشلاق، بعد مشوار بتاع ربع ساعة لقينا

الإشلاق قدّامنا، وبيننا وبينو فسحة ميدان كورة، والإشلاق ذاتو مسوّرينو بسلك شايك مقدّد كلو، أول مرة أشوف إشلاق في حياتي، وتصوري للإشلاق كلو طلع ضارب، طلعت بيوت الإشلاق غريبة شديد ما وقعت لي من أول مرة، من برّة البيوت مبنية بالحيط زي كل البيوت لكن الغرف عبارة عن قساطي(10) طوب، أول مرة أشوف لي قطيّة بالطوب، بعد شويّة لقينا نفسنا جوّة الإشلاق بعد ما دخلنا بي فتحة زي البوابة كده.

البوابة عاملة زي حطة كبيرة فاتحة في السور قصاص شارع شاقبي الإشلاق النص بالنص، تلاقي البيوت فيهو مرصوصات صفين، صف واحد على يمينا والتاني على شمالنا، بتديك إحساس إنك خاشي حطة تانية برّة الخرطوم.

الساعة كانت عملت تسعة ونص صباحا، والشمس اليوم داك كانت حالفة علينا إلا تنفّخ من صباح الرحمن، عرقنا شرّ من المشوار والكّتاحة والشمس المصاقرانا محل ما نقبل دي، لحدّي ما ريحتنا بقت طير طير.

أول ما خشنا بالشارع الرئيسي البقسّم البيوت على إثنين، شوفنا الحليّة الصغبرونة دي فيها هرج ومرج غريب، أول شي مستفّة شفّع فل لعين أمها، ما بتفرز فيهم شافعين أخوان، جت عليهم شبه بعض، تاني في كم جلك كده قاعد قدّام باب بيتهم في كرسي تحت ضل شجرة ولا ضل لوري هكر ماسك عصاية وبعين في الشفّع، وفي حاجّة فارشة ليها طبلية، فيها شويّة حلاوة وفول حاجّات وتسالي وحفاطة فيها داندرمة باين.

واحد هناك شكلو ميكانيكي شغّال يعفرت في عربية حكومة، وواحد تاني بغسل في موتر باجاج، وأصوات النسوان من جوّة البيوت تلعلع، الحليّة الصغبروني دي كلها تنضم، والحيوانات، المافي شنو؟ من الجداد لحدّي الكلاب، جداد، بط، غنم، وحتى لحت لي ديك رومي، أبراج الحمام فوق البيوت، بقر، تيران، عجول، وفي شجرة ناطة بي حيطة شايف لي فيها قرد طلع مربوط مرة مرة بنطط فيها، ويدل جت عليهم أول ما دخلنا الحلّة صنّوا.

أول زول فرزنا ليك كان عمك جلك، مسك الكرسي زي العايز يطير وهو ببلق فينا، صلّح نضارتو المربوطة بي خيط غليد كويّس ورفع راسو وبقى يعاين لينا فاتح خشمو لحدّي الأضراس، أنا متأكد بكون ما فارز لينا شي بس شلاقة منو ساكت، حتى الغنم صنصنت يدورن يلوكن الشمار، الكانت بتجوغم ليها في كيس نايلون ولا كزاس إنجليزي ولا الكانت بتتحكك ليها في حيطة، كلهن بقن يعاينن

فيينا، حتى إنتو بتعرفوا تميزوا؟ والكلاب بقت تهوهو فيينا، أي شني حاييم هناك بقى مركز في الغربا ديل.

الشفع الغياطين خلوا لعبهم وختونا في النص وبقوا يلفوا حولينا صينية ويصرّخوا بأعلى صوت عندهم، عملونا لعبة، وأنا أشيل وأصرصر ليهم، "يا ود قنّب ساي! يا ود إتخدم، يا ود ما تبطل"، وكلو ما نفع فيهم، مافي زول فكّنا من البهدلة دي إلا الحجة البتبيع ورا الطبلية، بالله لما قالت يا أولاد بأعلى صوت، الأولاد ديل فررر، كل واحد شاف ليهو زقاق، حتى الغنم جفلت، قامت نادتنا:

- تعالوا يا أولاد، عايزين شنو؟..

رديت ليها أنا:

- بندور أّتيم..

صنت شويّة كده وقاعدة تعاين لينا بتركيز:

- إنتو بتقرو معاهاو في المدرسة؟..

- أيوة يا حجة..

قامت أشرت لي على باب زنك أخضر مهلهل:

- أمشي دق الباب داك..

- شكراً يا حجة..

شكرتها وأنا رامي عيني في الصينية الليتها، شايف لي جنيهات ورق وفكّة خمسينات تحت جريدة خاتة فوق ليها حلاوة وتسالي، نص التسالي مكشوف ونصو الثاني مفروز بأكياس صغيرة بالمقاسات، شكلو التسالي أب جنيه هو الأكثر، وشويّة فول حاجّات وترمس وحلاوة سمسمية وحلاوة فوفلية، حاجّات الفول والتسالي طوّالي بعملوا الحركة دي محل ما تمشي تلاقيهم بنفس المنظر، كنت لمن أمشي مع خالي شارع النيل بنقوم نشتري الفول والتسالي والترمس، والحاجة العجيبة اللقيتها عند ناس الخرطوم بالذات في شارع النيل هي البدة بتاعت الدوم والقفليز، دي ما مرت على قبل كده، عندنا في الحلة الدوم بتنشوا بالحجار من شجرتو طوّالي، ننزّلوا طري، وأحلى لمن يكون لسّة لين، أحسن من كدو لمن ينشف ويجهجه السنينات، بس طاعم ما زي بتاع الخرطوم ده ما عارفو بجيبوهو من وين؟ بس شجر الدوم عالي شديد وعايز ليهو خبرة وتنشين مضبوط، لأنو زاوية ميلانو صعبة. تلقى نفسك شبه مصنّع وعايز حجرك يمشي بكل قوّتو لا فوق، التنشين بالطريقة دي حار عدل كده يقوّس الظهر ويجب الفلايت والقطاع.



مشينا على إتجاه باب ناس أتيتم نطفط في المويات المكشوحة في الشارع،  
مويات حمّام ومويات صابون ومويات غسيل عدة، كل الأصناف، تبكي بس، وقفت  
قدّام الباب متشبح عشان ما أعفص الموية الإتكشحت فجأة قدّامي تحت الباب  
وجات مندفعة زي السيل بالمجرى جيب كرعيني، قبل ما أدق الباب لقيت أتيتم  
فتحو قدّامنا، قام نطط عويناتو الدقاق ديلاك لما شافنا، كان شايلو جردل لسّة  
ينقط، واضح إنو هو الكشح مويتمو قبل شويّة، ما صدق لما لقانا في وشو، قبل ما  
يقول بغم، طوّالي مديت يدي دفتولا جوة:

- زح يا كرور.

وبقيننا داخلين أسياد بيت!.

\*\*\*

بقينا أولاد إشلاق رسمي وشعبي، من تصبح لحدّي ما تمسّي تلقانا كاسرين  
ركب في الإشلاق، والساعدا أكثر إنو عمّي كان مسافر، ومرت عمّي مسكينة  
وطيبانة، بتتحكّ بسهولة، كل يوم ملصقين ليها حنك وبمشي فيها عادي، المهم  
راسها بقى خالي مشاكل، مما مرقت ليهم من الحلة تاني مافي زول جا وراي  
يخبّط ليهم الباب بسببي، ناس البيت أخيرا أضانهم بردت.

قدقدت بيوت الإشلاق ديك بيت بيت، وصاحبت ليك الجماعة هناك جت عليهم،  
نسوانهم على رجالهم على شفّعهم، بقيت مما أجي خاشي أول الحلة، أرفع يدي  
فوق وبأعلى صوتي:

- السلام عليكم!..

ولا سائل في رئيس الجمهورية ذاتو، الشفّع يجوني طايرين، وتسمع النسوان  
من جوة يكوركن هيّ حسّو جا، وأعمامك ما شفتوا الإنبساطة دي كيفن والضحك  
للضروس، هيّ، هيّ، أمانة ما عز، حتى الكلاب بقت بتعرفني وبترجاني من برّة  
الحلة، وترافقني لحدّي ما أبقى داخل تهز في ضنيباتها.

غنم الحلة ديل حفظتهم كلهم زي ما هم، غنماية غنماية، سخلة سخلة، عارف  
ياتا بتاعت ناس منو، وياتا القرّبت تلد، وياتا البتدورلها تيس، ولّن تقرب الولادة  
أول شي يقولوا ليهم نادولنا حسين، تلقاني منبرش في واطة الله دي أولدلهم في  
غنماياتهم، وحتى حيوية سعدية أم طبلية اللاقيناها أول مرة ديك وهارشة الحلة  
كلها رجالها على نسوانها على شفّعها، يا زول فرّدتها ليك بمزاج، فردة للطيش،  
بقيت مرة مرة أجيّب ليها معاي شويّة بضاعة من السوق، ومرات مرات لما أرجع

البيت مع العصيري ولا قبالات المغيرب بشويّة بكون شايل معاي جوز ولا جوزين حمام، والجيوب بكونن مليانات فول وتسالي، وعشان مرت عمّي ما تجهجهني كثير، بضبحهم قدّام خشم الباب وبمشي بشد الموية السخنة براي، وينتف ريشهم وينضف مصارينهم، حتّين بعداك بجيها:

- بالله يا عمّتي شوربة حمام من النوع الإنما..

أصلو كنت بموت في شوربة الحمام أنا!.

\*\*\*

قرّروا الشباب الحلوين في الإشلاق يعملوا رجّلة، رجّلة ساي كده بدون أي مناسبة، أنا طوّالي وافقت، عبدو غنج قال ما بمشي، قلت ليهو يا زول بي جازك أنا غايتو ماشي ماشي، قاموا عفوني ليك من الشير بإعتبار إنني لسّة ضيف عزيز وكده، ولأنّها كمان أول رجّلة في حياتي، رحبت بالفكرة شديد وإتحمست ليها جنس حماستن، عايز أشوف الرجل دي ذاتها شكلها كيف وعبرة عن شنو؟.

أها اليوم داك صحيت دغش الشمس لسّة ما شرقت زي الناس، قشرت قشرة اللي هي، وكمان أديتها ريحة وجلّطت شعري وسبسبتو، ويا الرجّلة جاك زول، اليوم داك شباب الإشلاق كلو إدفس في حافلتين سعة خمستاشر راكب، ورفعوا العدة فوق في سباتة العربات، لمة كده بتاعت أولاد وبنات أهل وأصدقاء من وين ووين، الناس دي كلها تضحك ومبسوطة وفرشة شديدة.

الحافلتين ما شالاتننا، كنا كتار شديد، والبنات أكثر من الأولاد، لما جينا نركب، ركبنا البنات في الأول، بقت المشكلة فينا نحن الأولاد، نركب وين؟ ولأني لسّة ضيف، الشباب حلفوا دينهم وإيمانهم إلا أركب أنا أول زول فيهم، إختاروا لي واحدة من الحافلات كان مسجلها يلعلع في السما، صوت واحدة كدة بتهنق "البابور جان، خلّو اليشتغل الشغل بالجاز، خلّو اليتحرق"، ياخ يحرق جازي أنا ده! هم يدفروا وأنا ألاوي وأرازي لا ورا:

- يا جماعة، كدي دقيقة، إستهدوا بالله، كدي أصبروا، أركب ليكم وين؟..

وهم ييشيلوا ويدفروا فيني، ما عارفيني بخجل قدر شنو من البنات:

- يا زول خش، خش ساي..

وأنا أشيل وأقاوم:

- يا ناس وين؟ مافي حتة ياخ!..

وأنا أعاين في أتيـم عايـزو ينجـدني، السَّـجـم يـتـبـسـم ساي عـاجـبا هو زرتي، هو فعلا مافي حـتـة، يعـني أقـعد ليهـم وبن مثـلا؟ البـنـوت كلهم حـاجـزاتـن المـقـاعـد، واحـدة من البنات لـمـا شـافـت المـنـاتـلـة والـجـهـجـه الحـاصـلـة، مـدّت يـدهـا جـبـدـتـني من كم قميصي، وبدون ما أشـعر لقيـت نفـسي مـحـشـور في نصهم، شيتن كده يـقـطـعـني ويـقـطـع سـنـيني، عـمـري ما حـسـيت ولا جـرّـبـت مـتـل التـلـصـق ده، ماني خـابـر الكـان بحـصـل لي في اللـحـظـات ديك، والليـلـة سـجـم أـمـك يا حـسـين، هـسـي نـان نـاس البـلـد لو شـافـوك في مـتـل مـوقـفـك ده يـقـولـوا عـلـيـك شـنـو؟ رـغـم التـخـجـل الفـينـي، جـوـاي كان في إنـبـسـاطـة شـيـطـانـيـة كـده، شـعـور لـذيـذ ودغـدغـة ما حـصـل خـبـرتـها قـبـل، البـنـوت ديل خـبـارن بـضـات كـده مـتـل الجـلي؟ يا دـوب كـده قـاعـد أـسـتـشـعـر في الـوـضـع الغـريـب جـوـاي بالـدس وبـحـريـة، قـومـي إنـتـي يا هـنـايـة اللـي بالـيـمـين، مـدّي يـدّك في نصي وأقـرـصـيني، وأنا ناطي لا فـوق عـلى السـقـف أـسـمـعـلكـم تـقـول لـجـارتـها، حـلـاتـو. وفـرد ضـحـكـة فـكـنّـها البـنـوت كلهم، يـقـطـعـكم ويـقـطـع سـنـينـكم يا خ، خـرابـات، اللـحـظـة العـايـز أقـوم عـلى حـيـلي أتـفـكـفـك أو أهـرب، قـام السـواق شـد العـربـيـة رجـعـني تـانـي وقـعـت قـبـلي في نصهم من جـديـد.

غايتو المتأكد منو أنا ما لاحق قاعـد زي الناس، قـبـلـت لا غـادي عـلى الباب زي الزول العايـز ينـط جـاري، وعـرقت عـرق الـيـوم داك، بـس صـبـت فيـني مـطـرة، أول مرـة أنا أتـلـحـم مع بنات غـريـبات عـلي في حـيـاتي، كـتـوفـي مع كـتـوفـهم ونـصـي مع نصهم، ورجولي مع رجولهم، والقـصـة باظت، أنا نـسـيت الرـجـلـة ونـسـيت الحـاصـل والزحمة ويـطـرـشـنـي الجـوـطـة ديك كلـها وحـتى البـت البـتـحـرق في الجـاز بـقـيت ما سـامـعـها، بـقـيت بـحـرق في جـازي بـراي، أنا في الـيـحـلـني من المـوقـف البـايـخ الإـتـخـتـيت فيـهو ده!

بـعـد ما الشـبـاب كلهم ركبوا وإتـوزـعوا عـلى العـربـات، المـشـنـوق لا فـوق، والمـسـحـوق، والمـتـشـعـبـط والمـحـشـور زيي واحد، حـتـين شـوـيـة نـزل مـني، بالذات لـمـن لقيـت أربـعة مـنـهم راکـبـين مـعاي أو بالأصـح مـحـشـورين مـعاي في نفس العـربـيـة ومـتـقـلّـيني.

البـنـوت بـدوا يـغـنّوا مع المسـجـل، ويـدقّوا في البـاغـات، والأربـعة المـعاي بـقوا يهـيـصّوا مـعاهم، وأنا ساكت ساي، ما عارف أندمـج مـعاهم كـيـفـن، لا بعـرف أغـنـي ولا غـناهم ده سمعت بيهـو قـبـال كـده، إـسـتـعـدلت شـوـيـة في قـعـدـتي، أصـلا قـبـيلـك كـنت مـتـحـسـس ومـقـبـل عـلى الباب، وهـسـي مـتـضـايـق وبـدور أريـح كـرـعـيني، يا دـوب قـدـرت أشـوف البـتـين الأنا قاعـد جـمـبـهن بي طـرف عـيني، بالذات الجـريـئة فيهن القـرـصـتـني

في نصي دي، أول ما إستعدلت، طوَّالي مدت لي يدها وبصوت عالي عشان أسمعها:

- سلاااام، أنا إسمي ندى.

قَبَلت عليها، عاينت ليها بخجل، النقول أنا القرصتها ما هي:

- أهلا وسهلا، أنا حسين.

هي لمحة بس، وخمَّت نَفْسِي، البنية شديدة ولضيضة، عويناتها كبار، وش مدور، ورموش كتل كتل، والشعر ده منعما هو ولا كيفن ما يعرف، مع إني كنت لسة متحسس، لكن سلامها ريحنى في حناني، وعرقى الكان شارى بدا يتبخر، وإتمنيها تتونس ما تسكت، وأنا قاعد جمبها زي اليوم مقبل قدام زي الفي حصة، متوتر وما عارف أنضم معاها كيفن، هسي الزول لو عايز يناضم البنوت ديل يقول ليهم شنو مثلا؟ تقول ليها كورة أمس كيف؟ ولا عندك نبلة؟ جربتى تصيدي قماري؟.

أها وكمان عشان الموضوع يستحمى أكثر، بعد ما نسيت، رجع لي إحساس الدغدغة الغريبة ديك تاني براهو، أكيد الشياطين إتفقوا يلزو لي كبيرهم الذي علمهم السحر في اللحظات ديك، لقيت ليك نفسي مركز معاها من جديد، أول مرة أميز ريحة الأنوثة في البنات، وأول مرة أحس بالأنوثة نفسها بالشكل الجديد والغريب علي ده، عمري كلو مع البنوت ديل كان قريباتي ولا غريبات علي، ما يفرزني منهم إلا كلمة ولد وبنت وبس، لكن الأحاسيس دي، شي جديد، حاجة ما طبيعية، حاجة بتمشي في جسمك زي خيوط الكهرباء لما تهابشك بشويش من غير ما تصقعك أو تجيب أهلك.

المهم هسي يا حسين ما تقعد تسورح مع الكهرباء دي، بتجيب أورك، كدي ركز شوية، ما تضيع الفرصة، طالما هي بدت معاك الونسة مفترض أوصل معاها مش؟ أها، طيب أقول شنو؟ أقول شنو؟ قمت إتلفت عليها فجأة:

- عمرك كم؟..

إتلفتت على مخلوعة لمن سمعت سؤالى، وعيونها الكبارات ديلاك وسعن زيادة بقن زي شاشة سينما قاعة الصداقة ديك، وسوداهن بقى لي زي مهرجين إثنين في فقرة رقيص مفتوح، وفجأة قوماك أضحكى بصوت عالي، أضحكى، وأضحكى، وأنا بقيت أتضاير لما الشباب بقوا يعاينوا لينا ولسة غناهم مدور، قام واحد منهم غمز لي، قبلت منو غادي وطنشتو، والبنية لسة بتضحك، بعديها قربت من أضانى شوية:

- إنت ما قالوا ليك ما تسأل بت تقول ليها عمرك كم؟!..

وتاني رجعت واصلت ضحك، أظن ضحكاتها الثانية دي بتكون بسبب شكلي البقي ملون وعجيب بسبب الحرج والزعل المكتوم الما قادر أمرقو ولا أعبر عنو، وإنتي؟ أضحكي يا سجم، وليه ما تضحكي؟ أكان الخروف الجمبك ده من هبالتو شين عرفو؟ صحي شن عرفني؟ لو كان موقف تاني ولا برانا كان سألتها ليه؟ أنا هسي في اليسكت البت الفضيحة دي.

رغم الموقف، بس برضو كانت خلّت في أضاني وشوشة عجيبة، حاجة كده رفعت الكهرا في جسمي كلو دفعة واحدة لئن كشييت وصوف جلدي قام من أضاني لحدّي فرد أصابعيني تحت، يقطع سنينك ياخ، أضاني قعدت ترجف براها لئن عوجت ليها رقبتني عشان تخدم.

لئن ندوية هدأت من الضحك، وإتجاوزت فكرة سؤالي المرحج، بقت تفتح لي في المواضيع في شكل أسئلة، وأنا أجابو مبسوط ماسكاني أم فريحية زي الشافع، المهم تتونس ياخ، ما مهم الموضوع يكون شنو، وأنا كل ما أعاين ليها، أغرق في عويناتها الكبار ديلاك، جوة، جوة، وأغرق، وأغرق، وتوقد جوة صدري نار ليها حمم، نار زي نار النقابة(11)، تحرق في قلبي الصغير.

والعوير يقعد يرقص فيها وعاجبو الكي والحريق. وكل ما الونسة تجر، كل ما أحس بالفة أكثر، إتمنيت العربية ما تقيف، والمشوار ما ينتهي، إن شاء الله الرحلة كلها تطرشق ما مهم، المهم ندوية ما تسكت، ولا تزح من جمبي ياخ، أتاها ونسة البنوت دي لذيدة خلاص وسمحي بالحيل!.

\*\*\*

لئن وصلنا الجنية، أنا ما كنت فاهم شي، كنت زي الحالم، أو الزول المدروخ كده، كنت زي في رحلة للمريخ وإنتهت بسراع، ولئن هبش السواق الفرامل، زي النزل بينا من السما ودق بينا سطح الأرض فجأة، لكن أول زول نط وتلبّ بالباب من عريبتنا كنت أنا، خفة شديدة خلاص، حاسي ليك بروحي وزن الريشة وقلبيبي طربان يضرب ساي، ما عايز أتلفت وراي أشوف وش زول تاني، بس ترا قلبيبي معلق مع البنية وبدورها تنزل وراي، وبدور نرجع نتونس تاني وتالت ورابع، ندوية دي بالرحلة وبالإشلاق وبكل شي، فيها حنان لذيد.

طلعت ندوية أشد بت في الحافلتين، ومن محاسن الصدف إنني أقعد جمبها، في لحظة ما في الطريق حسيت معاها بالأمان، إحساس غريب إنك ترتاح لبت،

بختلف عنو لما ترتاح لولد، بقيت أتبسّم براي، وهسي البت دي لازم أفردّها بأي طريقة، لازم أستفرد بيها باقي اليوم، شكلها حتقبض الجو، لا دي أكيدة، وقبل ما يظهر لي خازوق أخير أفتش لي طريقة!.

أول مرة أميل لي لبت، المشاعر كلها كانت متناقضة ومشتتة، مبعثرة ومتضاربة زي البلي كل حبة في إتجاه، وحسيت بروحي جبان وشجاعتي كلها خائرة ومنهارة، إتلحست وإنحشرت في جحر ضب وخذلتني، بس كيفن أعمل؟. دقشت على الجنّين لا جوة لحدّي ما إختفيت وأنا بفكر، عايز أتمالك أعصابي البايطة، وعايز أفكر في نفسي شويّة، بديت أهدأ وعرقني كان خلاص نشف، خلّيت الشباب وراي ينزّلوا في العفش وأنا ما شغال بزول، أنا في رويحتي دي، بفكر في الحصل مما إتحركنا من الإشلاق، لأول مرة أشعر بإنجذاب غريب نحو البنات، عمري ده كلو البنات ديل ما شغلتي بيهم، بالعكس زمان كنت بتضايق لمن يفكروا يلعبوا معنا.

ذكرياتي عن البنّوت في الحِلّة كلها ما فايّة مغتصن ومضايقتن لينا في لعبنا، ولأنهن ضعيفات وشكّيات ولسانن حاد، وما بتنفع معاهن الهرشة، الواحدة لو هبشتها ساي تسل فيك لسانها تلم فيك الحِلّة كلّها، وتلقى عندها أم سليطة، لمن تكوّع يدينها في نصها وتقول ليك هيبّي، تقول يا الله تحلّني، لكن مع ندويّة دي بالذات المسعلة مختلفة تب، بعدين شين جاب لي جاب؟ ديلك كانوا صغار زي السواسيو، أما ندويّة لو ما قدرني، حتكون أكبر مني بشويش كده!.

أكان من ناحية شبه، نهائي مافي شبه، بنّوت الخرطوم ديل نهائي ما بشبهن بنات حلتنا، جريئات وفيهم قوة عين، أما بناتنا في البلد حالن حال الغنيمات المخلوعات خلفه، الواحدة كان يا الله لاقاها شاب براها في السهلة وقام شاغلها ساي بعيد من عيون الناس، إن شاء الله عايز بس يرفعها روحها المعنوية، أم الحسين إتنفخت، تعالوا شوفو التّخجل، والبراءة والبسيمات ونطيط العوينات وكشحة الوشيش في التّلفّت، بعد شويّة يغطّونوا ليك بالطرحة حدو العيون بس، من جوة بدورن جنس النضم المعسول ده، ومن برّة تعملك فيها البت خجلاني، وزعلاني ومتضايقي، وأنا بكلّم ليك، وأنا بعمل ليك وبسوي ليك.

لكن زي ناس ندويّة ديل، الواحدة تحشرك في جمبعتها تدخلك في أضافرينك، وتعاين ليك جوة عويناتك الرقاق ديل لمن قلبك يتخفق من الرفرفة، لكن هي أمانة ما ندي، أنا شين كنت بعرف للبنّوت أكان ما ندي؟ أنا مما قعدتني جمبها بقيت تاني

مانبي واعي؁ ما فوَّقني من سرحتي ديك وأنا لسة داقش في الجنية إلا أحمد  
كدوس لما فجأة خت يدو في كتفي من ورا؁ حتين صحيت وإتلفت عاينت ليهو..  
- ماشي وين يا حسو؟..

- هه؟..

أتارينبي كنت لسة موَدّر شديد وما جايب خبر؁ سرحان سرحة من أمها.  
- يا زول إنت فارقت الجنية حقّتنا ومرقّتها في حقت الجيران!..  
أنا الوكت داك لا فاضي لكدوس ولا لي شبهو؁ لا فارز جنينتنا ولا جنية  
الجيران؁ أنا في نوّيتي دي؁ وعيون الغزال؁ الرّيلة.

فكّرت شوّية؁ لقيت نفسي بحلم وبتغزّل في صورة وهمية عملها راسي  
الفاضي ده؁ أنا البت شفت ليها شنو؟ حرّم أنا عيونها زي الناس ما كشّفت ليهن  
كويس؁ الباقي كلو تخجّل مني ومحاحاة وفتيش للمخارجة ساي!.

كدوس السّجم إتلايق فيني شديد؁ أنا عايز أنفرد بروحي شوّية؁ عايز أرتب  
الجوّاي وأشوف خباري مع البنية؁ وعاجباني سرحتي دي كيف! ما دايرة ليها أي  
تحشّر من أي زول! يمين زمان لمن كنت بسرح بالغنم وأدندن بأعاني الطمبور ما  
كنت بستمّتع قدر متعتي الهسي دي. ما لاحظت للسّجمان ده عندو برنامج في  
راسو لما تاني قام يعلّق:

- مالك عامل كده زي الضارب ليك سجارة؟..

ولأني طبعاً؁ يا حليلي؁ وارد من البلد؁ ما فاهم ضارب سجارة دي يعني شنو  
بالضبط؟ طوّالي بشلاقتي ديك ردّيت:

- وما لا السجارة؟..

أولاد الخرطوم الوهم ديل كمان قايلنا دقوسات للدرجة دي ولا شنو؟ قايلنا ما  
بنعرف للسّجاير؟ يا زول ها؁ نحنا بنشربها من زمن نمرقّلها في الخلا شايلين  
قش الكبريت بالدس في جيب العراقي ومعاها حتة من الورقة البشخطوها ديك؁  
نقطّعها من طرف علبة الكبريتة؁ ونمشي نجيب سيقان الخوص المجوّفة من جوّة  
مخصوص؁ والخوص ده ذاتو لو ما عملناهو سيجاير بنقوم نقلبو بحرفة شديدة  
لي ناي. أها؁ نقوم نكسّرو حتت حتت لمن نمللنا كم علبة برنجي فاضيي نكون  
لقّطناها من الجلة قبل؁ طبعاً ما بنشيل الكبريتة كلها عشان ما يكشفونا؁ هسي  
بقت السجارة بتسرح بالناس؟ ناس الخرطوم ديل خبارهم راسهم خفيف كده؟  
تاريهم ناس البلد مو هينين.

- وإنت السجّارة بتدوّخك يا كدوس؟..

ضحك فينّي ضحكة غيّاظة مشهور بيها، أكلتها في حناني.

- سجّارة شنو يا وهم! ما بتعرف السجّارة الخدرا؟..

أخذت لي صنّة صغيروني، قلبت عويناتي هنا وهناك، حسيت بجهلي، خبارك يا حسين، عامل فيها تفتيحة وفي سجّارة لونها أخضر ما شفتها قبل كده! السجّاير طلع أنواع يا عمّك! راسي ودّ وجاب، ودّ وجاب، الكلام أبا يتبلع لي، أخير النسأل:

- أها العادية شنو والخدرا شنو؟..

- تعال، بوريك هسي دي..

كدوس الملعون طير لي اللحظة الحلوة من راسي وشغلني، شدّاني معاهو في موضوع السجّارة الغريبة دي، قلت إلا أشوف النظرية شنو، كل يوم نكتشف لينا حاجة جديدة. أها، قمنا مشينا قعدنا تحت ضل شجرة كبيرة، أصلا كنا بعيدين شديد من الناس ومافي زول جايب خبرنا، تابعو بدقة شديدة، وكزّهتو بالأسئلة، غايتو صبر على جنس صبر، وباقي لي الزول ده متمرّس شديد، لأنّو شايفو ظابط الموضوع كويّس، وبلف الورقة دي بطريقة مغرية خلاص، تشهيك تجربّ طوّالي بعدو.

لو قال لي من الأول الموضوع بنقو كان فهمت الحاصل، ويمكن كان شردت منو، لكن ود الذين مقنع، بعداك لورا فهمت ليه كدوس ده مرات كده بتكون عيونو سرحانة نص نايم نص صاحي، وهو كلو كده ما على بعضو تلقاهو خاتي ليهو إبتسامه على المّاشي طول الوكت بمناسبة وبدون مناسبة، ما تفهم ذاتو معاهو الحاصل شنو، وكيف ممكن الزول يكون مبسوط طبيعي، أتاويهو بكون عايش في عالم ثاني وعندو جو براهو.

مع أول نفس حسيت بصدري وحلقي ولّعوا نار، نفسي إتحبس وإتكتّم قبلو بسبب ريحة الشّي العجيبة دي، الشّي ما بتشبه السجّارة العادية نهائي، ولا شجيراتنا الكنا بندق ليها الخلا ديك، ريحتها زي صفق النيم لما يتحرق، حاجة كده بس نار الله الموقدة، وريحة تكتّم النفس، عندها طعم كده كيف كيف في الحلق، خفت كدوس يضحك فيني، كتمت القحة، حاولت أطلع النفس بشويش من غير ما أقح، غلبني، راسي من أول كتمة طوّالي بدا يلف، وبطني طمّت فجأة، حسيت بنفسي عايز أستفرغ، كدوس الفقر مسكني من يدي وقال لي أقعد، أهم شي تكون مسترخي بتستكين بعد شويّة.



عاينت ليهو مسافة، الكلام باقي لي زي الجايني من نهاية صالونا في البيت هناك في البلد، الودّاني هناك شنو؟ غلبني النطق، الدروخة لذيدة ومغرية، غايتو أقنعني إنو الدوشة دي ما بتفوت إلا أواصل، قال لي ده حلها الوحيد، وإنو ما أشرب موية بس أكون قاعد ما أتحرك، هو أنا ذاتي قادر أتحرك؟ بعد شويّة شال مني السجارة وبقى يجبد فيها شويّة، تاني قام نصحني، قال لي خليك مرطبّ كده وإنتظرنني هنا! ما عارفو زاغ قدر شنو، ما كنت قادر أحس بالزمن كويس، حاسي بطشاش شديد، إتكيت في الشجرة الوري، ويدي بترجف تبحت براها في الواطة، تقتش في شنو ما عارفها.

فجأة لقيت كدوس جمبي، قال لي هاك، جا متين وكيف ما عارف، مد لي قطعة جوافة، قال لي ما تاكلها قطعة واحدة، مزمز بيها، بتريحك شويّة، وتاني أدّاني السجارة، وتاني بديت أجبد، جرّيت نفس طويل وإستمترت النعنشة من جديد وأنا في شبه غيبوبة.

يا زول، القصّة جرّت معاي وبقّت ظابطة تب، بقيت أجبد في الأنفاس وأنا حاسي ليك بنفسسي حاجة تانية، كل ما أخذ لي نفس وأديها صنّة، الدنيا دي بتاخذ ليها لفة كاملة وترجع تاني، ومرات أشوف الأشجار دي تطوطح كده براها، ومرات أشوفها تنقز لا فوق، ومرات تانية تقوم تجري مني وتطاقش براها قدّامي زي البتتعلم في المشي. إتكيفت ليك من روعي كيف، كيف ساي بدون أي سبب، في اللحظة ديك ما كان في أي شي في بالي إلا ندويّة، شكلها بعد ما ظبطت، قامت ربطت!.

\*\*\*

قوم كده بعد ما إستمثت زين، دردق على اللمة، خليت كدوس قاعد قبلو بعاين فوق شيتن معلق في الشجر يحدثني بيهو لكن ماني شايفو وماني خابرو، كل الشايفو الشجر الكثير البلعب معاي غميضة غميضة ده، أها لما وصلت الناس لقيتها كانت راقت والتستات بتاعت الساوند لسّة مدوّرة، والفنانة الجاينها شكلها يا دوبها عايزة تهنق، وأنا ما سائل في زول، مشيت من دربي طوّالي على ندويّة، مسكتها من يدها، وجريتها مع بداية الغنية، البت إخلعت، وبقّت تضحك بهستيريا.

غايتو قالوا لي اليوم داك ما بتعرف ترقص كلو كلو، أشتر شتارة ما عاديّة، الفنانة أول غنية بدت بيها كانت "الذكريات"، ندى تصفق برواقة ومخلوعة فيك،

وإنت شغال تعرض وتنطط، الغنا وندي في وادي، وإنت وفنجيظك في وادي ثاني خالص، قرّبت أقول ليهم الوادي الواحد ده؟ كنت أنا وندوية بس في راس جبل، برانا فوق ما معانا أي زول غير السحاب، والباقيين ديل جت عليهم تحت!.

السيجارة الملعونة ديك أدتني دفقة مجنونة وشجاعة مغشوشة، وغطت على خلجي، بقيت ما سائل في منظري ولا شكلي، الجراءة دي ولا شيتن ثاني؟ ياني زولها تب، إنتهت الغنية متين ولا كيف ما جايب ليها خبر، بالي كلو كان مع ندويتني اللسة مخلوعة فيني، وأنا مسورح وغرقان في عيونها، مع إحساس الخدار المسمم جسمي ما فارز مشاعرها من مشاعري، ولا ياني قادر أستوعب إنطباعاتها راضية ولا ما راضية، مبسوبة ولا متضايقة، متجاربة ولا بتجامل. الحاجة الوحيدة المركّز فيها إني مكنكش في يدها زي الخفّاش الخيف طريتو تشرد، وما شاعر بمقاومة تذكر منها، أول ما الربرة إنتهت والفنانة أخذت ليها صنة، إنتبهت إنو الجوقة دي كلها كانت بترقص في الدائرة، العربيتين بسلامتهم قاعدة تنفّر، والعجاجة قايمة فوق ريسينا، ونفسنا مكتوم وما شاعرين بالكتمة، والفرفرة دي كلها والطقيش والدفير ده كلو أنا ما حاسي بيهو، إلا أخيرا حسيت بالشّي اللين في يدي الثانية لما إنتبهت، لقيت باقي الجوّافة معقصة في يدي.

قمت بعداك جرّيت ندوية من يدها وشاقت بيها الناس لحدّي ما مرقناها برّة الدائرة، وندوية بتحاول تفتح ليها في مواضيع ولا تقول ليها في شيتن، إحتمال كانت محرّجة وعازية تمثّل فيها الموضوع عادي، لكن أنا ما مركز معاها نهائي، عايز بس أمرق بيها من الزحمة ديك، أفضل أنا وعيونها وبس، ثاني ما معانا أي زول.

خلينا الزحمة وناسها، الغنية الثانية كانت بدت طوالي، وأنا لسة ماسك ندوية من يدها وهي مرّة مرّة تضحك بخجل، هي بقيتي تخجلي؟ طيب ما أهو أنحنا كويسين! المهم لسة كاريها لحدّي ما لقيت لي ضل شجرة سميحوني كده، إتبّرطعت تحتو وجريتها معاي قعدت جمبي. وفي عيونك عالم ثاني، وحلاة السرحة فيك، وما عارف شنو، حسيت بنفسي عايز أغني ليها، والنضم غالبنّي، عويناتي تقال ما قادر أرفع جفونن، والعجب اللسان، كل ما أدور أنضم، زي البدفر لي في شوال بصل، اللسان ما بدور يمرق كلمة كلو كلو، النضم غلبني تب، الشّي شنو؟ خلّيت النضمي لندوية، البنية شديدة ولضيضة وما عندها عوجة، وباقي لي بتكون نقشت نومتي من قبيلك، وشكلها ما عندها ما مانع أتسطل ولا أتھطل، مسكت النضمي هي، إتكلمت كلامات كوتارات، شي في الحفلة، وشي في صاحباتا

ومرة تخزّم على الطبخ، ومرة تمرقها في لبسها وبرنامج الهديمات والكريمات والسهرة والحفلات، وباين علي كنت بتكوشم وبتبسم براي، والبت نضامتن، وأنا مستمتع، ومستمتع جيّد غصبا عني، الله لا كسبك يا كدوس.

\*\*\*

ما عارف اليوم داك إنتهي كيف في المزرعة، مرت علي حالة من الغيبوبة اللازمكانية، مما كانت ندوية في نضميها ولحدّي ما رجعنا الإشلاق راحت مني تفاصيل كثيرة في النص، بعد نومة عميقة قمت ناظمي من السرير ما فاهم أي شي، قمت بصدا ع عفيف عايز يشق راسي نصين، عاينت وراي وقداامي في شكل الأوضة ما فهمت شي، لكن الريحه الدخلت خياشيمي بتقول لي دي أكيد ريحة الإشلاق.

ركزت كويّس في أركان الأوضة في الضلام، شفت شماعة في الركن جمب دولا ب ضلفتين، وريحة الأرض تحت بتقول كانت مرشوشة ومرطبة، عرفت الأوضة في بيت ناس كدوس، بعد شوية الباب فتح، جهرني نور الحوش الجاي من ورا شبح، عرفتو كدوس طوالي، غطيت عيوني بطرف يدي وبعانين في شبح كدوس من تحت يدي، قبل ما أسألو طوالي هاجمني:

- وين يا فردة يا منقرضة! عارفك حتكون مصدّع هسي..

- ياخي إن شاء الله يقرضك فار، قول أمين!..

هو كدوس ده بعرف أي شي؟ هسي عرفني كيف مصدّع؟ إعترفت بيني وبين نفسي إنو زول خبرّة. قدرت أتعوب شوية شوية على الضوء، لقيتو شاييل لي بندول وموية في كباية قزاز، بلعت الحبوب على طول ولا كلمة، شربت الموية لحدّي آخر جفمة لأنني حسيت بنفسني عطشان شديد، قبلت عليه صاري وشي، مرق صوتي زي الطالعو من بير غريقة:

- دي عملية تعملها فيني يا مرض؟..

كدوس فك ضحككتو الغيطة ديك تاني، عايز ينفّث فيني ضحك ويحكّي لي عن شكلي وبهدلتي، لكن بالي كان بعيد في حة تانية، بالي بقى في البيت، الوكت إتأخر شديد، والواطة ليّلت، دي أول مرة أقعد في الإشلاق لحدّي الوكت ده، قمت مدروخ وهمي في التأخير والحنك حيكون شنو؟ وسامع لي من بعيد دقة دلوكّة.

- ماشي وين؟..

عاينت لكدوس بطرف عيني ما رديت عليه، عتبت برّة الأوضة وبقيت أعاين وأقلب في منظري من فوق لتحت، هدمم مكرفسة تحلف تقول مارقينها من خشم بقرة، وعليها أثار تراب كل الجهات، ونعلاتي التقول كانن مدفونات في سفاية رملة، والعجب كرعيني، زي الكنت بضقل بيهم في فرناغة، بهدلة شديدة، إتذكّرت ندوية فجأة، بديت أتذكّر تفاصيل اليوم الغريب ده زي الطشاش طشاش، من الصباح لحدي هسي بقى لي بعيد زي الكان أمس، أول شي كتلت ملف مع الحيطه ومشيت للمأسورة والحوض راس، كنت حافظ مكانهم كويس، إتشطفت زين، كدوس كان واقف وراي ساكت ساي ما قال ليهو كلمة تاني، الموية نعنشتني شوية، أخيرا نضم:

- دقيقة..

ما إتلفت عليه، لكن عرفتو إتحرك، مشى وجاني راجع شاييل ليهو مزيل عرق ومشيط صغيروني، إستحميت بالمزِيل إستحمام، لحدي ما طيرت بيهو ريحة العفنة الفيني، وسبست شعري بالمشيط ولسة حاسي وشي مليون تراب وطعمو في خشمي، الشغلانية دي ما بنفع معاها إلا دك بالليفة والصابون، وعازيالا دشًا كارب! أدبتو الحاجات في يدو:

- يلا، أنا ماشي..

وقبلت على الباب.

- ماشي وين؟..

إتغظت من سؤالو الغبي، أو البقى لي غبي في لحظتها، وأصلا أنا كنت مغبوط ومفروس منو ومن نفسي من البرنامج السخيف بتاع المزرعة والبهدة الإبتهدلتها، بزعة كده رديت عليهو:

- ماشي البيت يا كدوس يعني حاكون ماشي وين مثلاً؟..

- لا لا دقيقة، ندى دي من قبيل منتظارك تصحى، موصياني أول ما تصحى

عايزة تلاقك..

عيوني برقت براها فجأة في الضلام، أثاربهو شابكني من قبيل ماشي وين ماشي وين ويحاحي جمبي عايز يوصل لي وصية ندوية، حيلي كلو برد فجأة، والزلة طارت وإتبخرت، صوتي مرق مفضوح، وبكل حنية رديت:

- ندى؟..

ما إنتبهت لنفسي والكرور قعد يضحك فيني.

- أي ندى، مالك؟..

صرّيت ليهو وشي تاني وعملت فيها جادي، لكن الموضوع كان أصلا باظ وإنتهي، وما ظنيتو يشتري تمثيلتي، هي أصلا بقت ما فارقة، بيناتنا بقى فيها بنفو يعني بقت على ندى مثلاً؟ سألتو:

- أها، وين هي هسي؟..

- تعال معاي..

أخخ أنا من تعال معاي دي، تعال معاي دي بتجيب الكفوة، طلعا برّة البيت على إتجاه الدلوكة وغنا البنات، لما أبيت أخش جاتنى ندى مارقة برّة، تلمع تحت القمر، البنية اسم الله عليها، كانت إرتاحت وإستحمت، رطّبت وغيرت وبقت ترقش.

صراحة ونسة الضلام ديك كانت حلوة ورايقة، وبقينا نتاكي من حيطه لحيطة ومن خور لخور، والواطة ضلومة، وصوت صراصير حايمه بالليل داك، ومرة مرة يجيك صوت ضب شكلو بهلوان ناطي من ركن لركن، والبت ماشة جمبي مستكينة لي ومزاجها بقى راكب معاي عدلة وقلبة، وأنا بي وساختي وعفنتي، غير صوت الدلوكة المزعج وضحكات البنات والأولاد البجيك شاقى الليل مرة مرة، الجو ممكن يقولو عليهو رومانسي.

ونحنا لسة بنتمشى زي أحلي إثنين، مرة مرة أغوص أعفص لي حفرة صغيروني فيها باقي مويات مكشوحة، لكن بقت ما فارقة، اليوم كلو زي الواحد كان قاعدلو في حواشة، أجمل ما في الحفيرات ديك، كل ما ندوية تجي جمب واحدي تنكي في يدي وتاخذلها نطيطة صغيروني، يقوم قليبى الماسكا هو أم هلة هلة ينط معاها ويتقافز بأعجوبة.

مرقنا برّة الإشلاق شوية، برّة في الفسحة الكبيرة بتاعت الميدان، قعدنا مع بعض في طرف حجر كبير، النجوم واضحة فوق في السما، هنا كانت أوضح مما لما أكون في حوش البيت، أصلو ما بتذكّر يوم رفعت راسي في السما شفتها بالوضوح ده، وقمنا كبينا الحنان، من جميع الإتجاهات، والكلام بقى دقاق، فتيقو ليها وفتتو لي، وقلبي رفر، وبقا من جوّة دافي زي المآخذلو دش، والدم ده بقى يداق في عروقي زي النغم الجميل، في اللحظات ديك، حسيت إنو بقى عندي حبيبة.

اليوم داك بالليل شديد أول مرة مرت عمي تهيج فيني، أدتني شكله مدنكلة ليها ضل ومعاها تهديد ووعيد، "أصبر لي لما عمك يجي"، ما إهتميت بالموضع

كثير، كنت مبسوط وعايز أعيش مع القلب والحنان، ما عايز أعكر صفو اللحظة  
بسيرة جلد ولا سوط عنج يمَحَط فيني، وعشان ندوية، حبابو الجلد، تحت الدش  
كنت بغني ومبسوط، أتاها الخرطوم دي فيها عجائب ما بتنتهي!.

\*\*\*



## الجزء الثاني

أول أيام إجازة السنة الثانية وماشين سنة تالته، وعدت سوما أرجع بدري أحضر معاها عرس صاحبته سهى، كانت مصرة ما أمشي البلد إلا أحضر العرس في الأول، أصلها بتعز صاحبته شديد. سهى دي بعرفها كويس، بتجي لسوما كتير في البيت، ولما سوما تكون ماشة ليها بمشي معاها أتقلها، صحيح مشوار ضارب بالنسبة لي وما فيهو أي نوع من أنواع الإثارة، لكن مرات الزول يضغط على نفسو ويلغى برامجو عشان خاطرها، الكرور ناس عبدو وبكري ما بجاملوها، ولا بتقع ليهم مشاويرها، أما أنا، فكنت بشوف سوما دي أصلو مافي زيهما إثنين، وما بقدر أرفض ليها طلب.

أما مشاويرها المسائية برّة البيت، فدي ثابتة، بكون أنا المرافق الأساسي، لو مارقة مشوار، أي مشوار، أو ماشة السوق، أخوانها بزوغوا طوالي، ما شغالين بيها كتير، بتكون عليهم زي العبء، أما أنا، فبكون زي اللاعب الأساسي في ملعبها، وكمان بلعب معاها ضاغط أحياناً، بقوم مرات بكرّها عيشتها وبقى ليها في حلقها، جني وجن لطبخ الوش بالبدة والعجب أحمر الشلايف، وكثير كنت بقول ليها شوفي، أصلو أنا وإنّتي بلبستك المشلهة دي ما بنمرق سوا، وتجي عمّتي النعمة تأكد كلامي، تقوم تتأفف وترهج ومرات تحرد المشوار ذاتو، أقوم أمشي أحنسها لحدّي ما أجبر بخاطرها، تقوم تقول لي إنت حكّام شديد ! أفو؟ مش ياهو الشارع البرّة ده ولا شيتن تاني؟ أسأليني منو أنا ده! بعدينك المشاغل والله لا بنرضاهها لا بندورها، وهي عارفة كده كويس، فأحسن لا تجيبو لنفسها ولا تجيبوا ليها تجهجه باكانتا.

رغم ده كلو كانت مصرة إني أحضر العرس معاها وحتكون عايزة تطلع وتنزل كتير، بس كان لسّة العرس باقي ليهو زي إسبوعين، فقلت خلاص، أحسن أكسب الزمن أقضي إسبوع في البلد على الأقل، أصلو طوّلت منهم شديد، وغير كده، كمان راجيني كورس صيفي إستعداد لسنة تالته.



أها اليوم داك قررت نقوم نمشي زيارة إستباقية للعروس قبل ما أسافر، لزوم الصداقة بينها وبين صحبتها والواجب، وتشوف إستعدادات العروس وصلت وبين والذي منو، قلت ليها خير.

سهى دي نهائي ما كانت بتلفت إنتباهي، بت عادية جدا جدا في نظري، ندوية الجكستها في الإشلاق كانت بالنسبة ليها قمر لو جابت ليها مقارنة، المهم، بقيت كل ما تجي سيرة سهى أقيف محتار مع نفسي وأسألها كل مرة كيف وليه؟.

العقل الباطن ده مرات عندو شيتن كده بعرفو براهو، أها وأنا في غمرة غيبوبتي ديك بتاعت الإشلاق بعد الرحلة الما بتتنسي وجكيستي لندوية، في قمة إنفعالاتي وتضارب عواطف في سلم المراهقة، تجي تجربة لازمن يمر بيها أي مراهق، إحتشاد التجارب دي بتتخزن شكلها وتندفس في الرئيس المدوقس ده لحدّي ما تنفجر فجأة بالإحتلام وتعلن أول خطيئة في حياتك، وبكدا تبقى يا معلّم إتخطيت مرحلة الطفولة والصبا لمرحلة الرجولة وكده، وتتويج نهائي برضو للشنبيات والشعيرات القامن زمان ديلاك، ويكون صوتك خلاص بدل عامل زي الرادي الضارب لمبة صوت، بقي أقرب لصوت الرجال وشكلو النهائي المحتوصم بيهو.

أها ده كلو بحصل كيف؟ بسموها بت إبليس الله يلعنها المسخوطة، تكون نايم في أمان الله تقوم يوم تحيك في منامك وتعمل ليك حركات كده ما بتاعت بنات ناس كلو كلو، لحدّي ما تنتهي منك وتوديك التوج، تقوم مخلوع تلقى نفسك ودّرت خالص ولخبت الدنيا، تقوم خجلان لكن من جوة فرحان، خجلان من الحصل بدون إرادتك وبهدل هديماتك، وفرحان لأنك قطعت الزلط وبقيت ضكر بط، تضابير سريع وتفكر بإستعجاب الحصل شنو وحصل كيف؟.

حاجة كدة تفضل في الذاكرة ما بتتمحي بسهولة باقي العمر كلو، وتحس بيها كانت تجربة حقيقية حتى لو عمرك ما مريت بيها، بس الحاجة الوحيدة الما لاقى ليها تفسير ومحيرة ميتين أفكار، ليه سهى الما عندي معها شيتن ولا غرض؟ وليه ما بقت ندوية مثلا الكانت مدشدشة أيمان صليبي؟ أكيد دي وهمة من وهما إبليس وبتو الملعونة!.

أها من الوكت داك كل ما أشوف سهى تلقاني مرات أتخجل من نفسي براي بلا سبب، ومرات أسورح فيها وأفتش إجابة للسؤال، ليه سهى؟ إشمعني هي؟ قدر ما قلبت الموضوع في راسي ما لقيت ليهو تفسير، أصلو البت دي الشدة

ساي ما جاية بجمبها، شكلو العريس ده عندو حول في عويناتو، لكن ما مهم، وكلو قسم. ولو لا إختلاف النظر لبارت السلع.

أها المهم، رغم إنني حاولت مية مرة أشيل الفكرة من راسي لكن بت إبليس الملعونة خربت لي أفكارى، وطمست ذاكرتي للأبد، الذاكرة الوحيدة الما حتنسى بقت للزولة البتعرّها سوما وفي نفس الوكت هسي عروس، واللي ما عندي بيها أي شغلة ولا كان ممكن.

كنت بقلّب الموضوع ده في راسي شديد ونحنا ماشين على بيت العروس وتراني شايل همّ، يا الله حاسلم عليها كيف الليلة؟ يخربك يا حسين، مالك ومال الهم؟ لو حنست عبدو يمشي مع أختو ما كان أرحم ليك؟ بس لحسن الحظ لمن وصلنا البيت لقيت العروس حابسناها، قالوا لازم تنحبس قبل العرس، إتكيفت من الفكرة، مشيت إتجدعت في صالونهم أتونس مع ناس البيت والضيوف لمن دقست قبلي في الكرسي، سوما المرض من الساعة تمانية ونص مسا ما مرقت لي إلا حداشر ونص بالليل.

\*\*\*

مشية البلد للإجازة المرة دي مختلفة، سفرة شكلها حتكون رهيبة، كنت قررت أسوق معاي أتيّم، الود الأبنوسي أبو عيون دقاق ده، الود ده نهائي ما قصر معاي، دخلت حلتهم ودخلت بيتهم وبقيت ولدهم. "ماري"، أمو، لما حدثتها إنبسطة شديد وعيونها رقرقت من السعادة والفرح، كانت بتحبني شديد وحاسة إنو أتيّم بقى عندو أخو مش صاحب، بس لمحت مسحة قلق على وشيها، ما فهمتها في وكتها، وهي ما عبرت عنها.

أبوهو راجل عسكري قديم، رغم بساطتو إلا إنو تحس بيهو راجل حكيم، وبوزن الأمور بعقلو، ما صغير في السن لكن بنيتو الجسمانية بنية عسكري جد جد في عز شبابو، النوع الداسي عمرو في بطنو داك وبالعو، لما يخش في الكاكي تحس بهيبة العسكرية ويشهيك ليها، بزידها بنظراتو الثاقبة وكأنو بلبس شخصية تانية ما زي وبس، ببقى زول حازم ورسمي جدا جدا، حتى أنا بقيت لما ألقيهو في الزي العسكري، بتعامل معاهو برسمية شديدة وبالمختصر المفيد، أما لما ألقاهو في البيت لأبس هدوم بيت عادي، طوّالي باخذ راحتى على الآخر، تعال وهاك يا ونسة وضحك وقرقرة، سبحان الله، حاجة تحير، الأمة دي كل زول فيها عندو فهم براهو.

عبدو قدر ما حنستو يمشي معانا تاني البلد أبى لي كولو كولو، قلت ليهو ياخ معاي أتيم المرة دي، أرح خلينا نمشي نغير جو شويّة ونرجع، قال لي يا زول بي جازك، سفرت المرة الفاتت باين لسة ما طلعت من بالو، وما عندو أي رغبة يكررها تاني، بس حنستو حنيس ما دام ما ماشي معاي، ما يقصّر مع سوما، في الأول قعد يتلولو عايز يزوغ كالعادة، قلت ليهو أسمع يا كرور، أنا لو قاعد ما بجي أسألك وإنت عارفني كويس، لكن أنا مافي أصلو ما تقعد تنقنق لي، حتمشي معاها يعني حتمشي معاها، بعدين كلها إسبوعين وبجي أستلم منك الراية، وبالكتير حيكون مشوار ولا مشوارين لو بالغت، يبقى مافي داعي تبطيط لي، غايتو في النهاية رضى على مضض.

أما بكري ده فمويتو من يومو ما معانا، عندو نظام شلّو وأصحابو براهو، وشايفنا لسة شفّع ولا شنو ما عارف، كان فاكيها في رحو حبتين، شكلها من خسائر المراهقة برضو، ما حصل يوم كده قعدنا مع بعض قعدة زي الناس عشان نعرف حاجات بعض، من يومو غير السلام وكلمتين هنا وكلمتين هناك ما قاعدين نكترها، ما بقول بنكره بعض لكن بس ممكن أقول ما مقسمين شديد مع بعض، صراحة ما فضيت ليهو، زمان كان بغيظو وبطلّع عينو، دويرتو ساهلة خلاص، أخليهو يسكني الحوش كولو، لكن بعداك رخيّو وبقيت أنا ذاتي ما فاضي ليهو، بقت عندي مواضيعي براي الشاغلاني، عارف روحي لو فضيت يمكن أنظمو كويس وأنجمو.

ياها تاني ما فضلت غير سوما، وسوما دي فردة ومنقرضة، يوما ما أكيد حأسوقها البلد، بعدين سوما دي رايقة وهادئة، يعني ما حتعمل لي طابور قلق، لو قلت ليها نقعد شهر أنا متأكد حتقدها وتوالف البلد كمان، أصلها نفسها من زمان تمشي، لكن جامعتها دي شغالة كيف كيف ما عارف، نحنا نأجز هي تشتغل، هي تأجز نحنا نشتغل، مذكها لي قدّام لحدّي ما نشوف يحصل شنو!.

\*\*\*

اليوم داك صحيت مع النباه التاني، إتوضيت ولحقت الركعة الثانية في الجامع، رجعت إستحميت وجيت شلت شنطتي الكانت جاهزة ومرتبّة من أمس بالليل، نفسها الشنطة الإشتراها لي خالي في جيتو الزمان ديك، ختيت فيها فرشاة الأسنان في جيب برّاني، سنة يا أنا؟ بقيت ود مرتّب ومنظّم، ونضيف، بس

أبيت أجلّط شعري، الحركات دي ما بتنفع مع ناس الحِلّة، مش كفاية بقيت  
خرطومي بقميص وبنطلون؟ رفعت شنطتي وبقيت مارق.  
- حسين!..

جاني صوت عمّي من البردة جيب المطبخ، ما كنت متخيل حالأقيهو الصباح  
بدري في البيت، شفتو قبيل في الصف الأول في الجامع، أحياناً بعد الصلاة ما  
برجع طوّالي، بقعد شويّة مع شباب الحي، يا قروا شويّة قرآن لحدّي ما تشرق  
الشمس، يا قعدوا يتفأكروا في مصالح الحي.

- نعم عمّي..  
لما جيت عليه لقيت عمّتي النعمة برضو صاحبة، بس كانت مضارياها مني  
التلاجة، سلّمت عليها:

- صباح الخير يا عمّتي..  
- صباح النور حسين، أجي يا ولدي؟ مارق من غير ما تودعنا ولا تشرب  
الشاي؟..

أنا بشويّة خجل كده:  
- والله يا عمّتي معلّش، قلت ما أزعجكم الصباح، عشان كده ودّعتم بالليل،  
كان مفترض أمرق أبدر من كده شويّة..  
أصلاً كنت ناوي فعلاً أطلع أبدر من كده، أكسب زمني وأصل بيت ناس أتيتم  
بدري ونبقى مارقين على الموقف.

عمّي قاطعنا:

- كدي جر كرسيك ده وتعال، ما تشيل هم المشوار، حاوصلك الموقف..  
عاين لي مسافة قبل ما يواصل:

- إنت صحي صحبك أتيتم ماشي معاك البلد؟..  
رديت عليه وأنا بتبسّم بحماسة:

- أيوة يا عمّي..  
ما لامني لأني ما كلمتو، وفي نفس الوكت ما رد علي، صنصن مسافة كده،  
قام أدى عمّتي بعدها نظرة لمحت فيها مغزى، ما فهمتها، لكن جليّتها، قلت  
عادي!.

\*\*\*

أول ما خشينا الميدان الفاتح على ناس الإشلاق، عيني وقعت على أتييم الما بغباني، كان قاعدلو في حبرا برة في الميدان قريب من البيوت، شكلو منتظرنا مقبل علينا، أها أول ما لمحني جوّة العربية جرا على البيت، لما وصلنا لقيناه خاطف شنيطو واقف بيها قدام الباب مع أبوهو وأمو.

أبوهو كان لابس رسمي ومتحرّم ماشي على الشغل، أها طوالي خطر في بالي دي معناها سلام رسمي وكده، ونقوم نخش في الدور الجادي وحاجات بالشكل ده، لكن الغربية المرة دي سلم علينا سلام حلو، شكلو وداع ولدو لين قلبو ونسأهو الدور البخش فيهو كل مرة لما يكون لابس رسمي.

عمّي قعد يونس فيهم، في المسافة دي قمت خطفت شنطة أتييم من يدو، شلتها وختيتها في العربية، أتييم كان عايز يطير من الفرخ، أول مرة في حياتو يسافر، مسبوط جنس إنبساطة، فرحتو وإنبساطتو دي ذاتها فرحتتي وخلتتي أنفائل بالسفرة دي.

في طريقنا للموقف أتييم كان منشرح على الآخر، وعيونو بتلمع من الإنفعال زي الأطفال، لمن نزلنا من العربية، عمّي طوالي جاني مسكني من يدي زي العايز يمنعي أفر، وقام عصر لي قريشات، قدر ما حاولت أرفض أشيلها أو أتملص منها أبى، أداني ليها بنهرة كمان، أصلا كان معاي قروش أداني ليها خالي في واحدة من جياتو دكنتها للسفرة دي.

أها زيادة الخير خيرين زي ما بقولوا، وزى ما عمل معاي برضو عمل مع أتييم، برضو ألح ورفض لكن عمّي أصرّ، أصلا كنت ناوي أقطع ليهو معاي، يعني متكفل بسفرتو من الأول للآخر. لكن عمّي زول بعرف الواجب برضو، كتر خيرو. أها أصرّيت على عمّي إنو يقوم يمشي لأتو وراهو شغل، وحنقوم نتصرف نحنا برانا بطريقتنا، وفعلا قبل أخيرا، ودّعناهو وشلنا شنتنا مشينا على الأكشاك نشوف لينا تذكرتين في بص كويس.

أول ما قربنا على الكشك بتاع التذاكر، فجأة في زول سحيني من قميصي من ورا، إتلفت سريع، كانت مفاجأة، ألقى ليك ليدو واقف وراي يتبسّم.

- وين يا أصلي..

- أوه ليدو؟ إيه المفاجأة دي؟..

سلمت عليهو وأنا ذاتي بتبسّم، قمت سألتو بإستغراب:

- إنت يا زول الجابك هنا شنو؟..

قام ضحك بعفوية ظهّرت لي سنونو الصفراء المائلة على البني ديك من أتر شقيط السلس، كانت عيونو ذاتها فاضحاهو، بتقول عليهو مسلس للنيفة:

- أي حنة فيها مجازفات بنمشيها، لكن ما نقدر نقعد هنا كتير..

- وليه؟..

- المربع ده مكرتن..

- مكرتن كيف يعني؟..

- يعني ماسكنو ناس تانيين ما نحنا، زي ما نحنا ماسكين مربع الخور في

السوق هم ماسكين المربع ده..

- أها، طيب كويس فهمتك!..

بعد عشرة ونسة والسؤال من باقي الفرد والذي منو، إنسحب مني برّاحة وخالني مع أتيّم الكان في عيونو مية سؤال، فعلا عايز يفتح خشمو ويسأل بس قلت ليهو صنصن يا عمك، بشرح ليك قدّام.

\*\*\*

أها البصات ذاتها بقت كل ما ليها ماشة في حداثة، البص الركبناهو كان مجيّه جنس جبهة، نضيف وكراسيهو نضيفه ومعطرّنو وفيهو شاشات تلفزيون، وقالولنا كمان فيهو وجبات وبارد، ده الكلام!، حجزنا كرسيين مع بعض أنا وحبيبي أتيّم وبقينا منتظرين البص يتملي ونشتت، شكلو قرّب يتملي لأننا لمّنا ركبنا ما لقينا إلا كرسيين قريبات نهاية البص ورا، كنا بالجمبة اليمين المقبلة على الكشك، في ركبّاج حازرين وفي ركبّاج زيّنا كده بجوا يقطعوا تذاكرهم وكتي.

أها في اللحظات ديك شايف لي راجل ومرتو، أكيد السميحوني الملاحظة المعاهم دي بتّهم، يقطع سنينك يا حسين، بقيت ما راکب عدلك، كل ما تشوف ليك بت تعالين ليها بنظرات تانية، الحصل عليك شنو؟.

الحاجات دي زمان ما كنت بنتبه ليها، هسي يقطع عويناتي الرمذانات دي، بقيت أشوف تفاصيل ما كنت بخلي ليها بالي، الشكل، اللبس، الحلاوة، القوام، وأكثر حاجة بتكسرّ ضلوعي وبتنتف ريشي هي العيون، وقلبي بقى رهيفوني وما يستحمل، بس ما أشوف لي بت سمحة، بقت تمسكني أم هلة هلة، ويقعد قلبي ييرفرف براهو ويتحت زي ورق الشجر، أها وكمان لو بقت عيونها بقاق ومن النوع العجيب داكا، تراها غرّزت في قلبي سهم تدخلو من هنا وتمرقوا بي غادي.

قال كده وسرحت مع البنية، أها وأنا بعين ليهم وبعين في شنطهم، إنتبهت لمن المرأة بقت تكورك فجأة وحصلت جوفة ، حاولت أركز أحاول أفهم الحاصل شنو، من شكلهم وشكل الكلام البصلنا ورا قزاز البص، زي الفهمت إنو المرأة فقدت شنطة اليد حقتها، الرجل إتجهجه وبقي يتلفت وما عارف يتصرف كيف، والبنية السميحوني مربعة يدينها ومقلعة عويناتها ومخلوعة، ساكنة ساي ما عارفة برضو تتصرف، الوحيدة الجايطة وبتلعلع هي المرأة.

- أتيتم..

- أيوة..

- إنتظرنى هنا، ما تمشي أي حة..

عاين لي بإستغراب:

- ماشي وين؟..

- بس إنتظرنى..

قمت سريع نطيت من مقعدي ومشيت بسرعة على باب البص، لما وصلت الباب نزلت براحة لحدي ما إتأكدت إنو الرجل لمحني وأنا نازل من البص، بس خفتو يكون سرحان ساي وما مركز، المهم قمت مشيت عليهم وطوالي سلمت على الرجل، المرأة كانت لسة بتكورك، شكلو شنطتها فيها حاجات مهمة، "شنطتي..شنطتي"، طنشتها، لكن طبعاً ما قدرت أطنش البنية، أديتها نظرة كده سريعة بتاعت تقصّي، واللييلة، واللييلة، البت شايلة ليها عيون، أماك، ده الهناي البعمل هناي ذاتو، إتربكت ومسكتني رجفة مسكتها سريع قبل ما تفضحني، وبسراع قبّلت على الرجل وسألتو:

- فقدتو شنو؟..

- شنطة يد..

سكت وعملت فيها بفكر، ما عايز كمان شكلي يبقى زي الحشرنجي، هو ذاتو كان بعد ما رد على قبّل مني لا غادي، شكلو لسة محتار ويفكر يعمل شنو، يمشي البوليس ولا كيف؟ بالذات وهو على وش سفر، قمت نفضتو من حيرتو:

- أسمعني..

رد على وذهنو شارد:

- نعم..

- أنا عندي محاولة، إحتمال أقدر أرجع ليكم شنطتكم..

إتفاجاً قَبْلَ علي بجسمو كلو وعاین لي بإستغراب، قلت أحسن أَلحقو سریع  
قبل ما یظن فیني الظنون:

- هی محاولة..

- کیف؟..

قمت ختیت لی إبتسامة لذیذة كده:

- کیف دی خلیها علی، إنتو مسافرین بالبص ده؟..

قمت أَشَرَّتَ علی بصنا.

- آیوة..

قلت فی نفسی الحمد لله، أهو الواحد برضو لازم یعمل لنفسو ساتر فی  
الأول:

- أنا برضو مسافر فیهو، أدینی عشرة دقایق ربع ساعة وبرجع بنتیجة إن  
شاء الله..

بتاعین كشك التذاكر كانوا بسمعوا فی كلامنا، قَبَلْتُ علیهم مع نهاية كلامی،  
یعنی الكلام ده لیکم برضو ما تعملوهو توم وشمار ساي وتحركوا البص  
وتضیعونی، ما علقوا بی شی وأنا ما سألتهم، قام الراجل لحقنی متشكك قبل ما  
أتحرك:

- عایز تعمل شنو بالضبط؟ أنا شایف أحسن بس نفتح بلاغ وننتظر البولیس  
یقول شنو!..

سریع ردیت علیهو وأنا مشتت:

- لا لا، ما تفتح بلاغ ولا حاجة، قبل ما تفکر تعمل أي حاجة إنظرنی، أدینی  
دقایق بس!..

\*\*\*

ما كنت عارف ذاتی أقبل علی وین، أول هم كنت عایز أختفی من الراجل  
ومرتو القامت سكتت بعد سمعت كلامی وبقت متابعانی، طنشت البت البتشدہ  
دی، أبیت ما أعاین لیها تانی، ما عایزها تجوط لی حساباتی وترکیزی، كفاية  
القلب اللسة برفر زی اللستر ده، لكن حاسی بیها متابعانی بنظراتها وبی  
عیونها الزی الجلل الموقدة نار، شاقعة بیها ضهری من ورا لحدی صدري، لكن  
نظراتها خلّتني أحس بالزهو، وبالبطولة، قمت كمان أدیتها كوز، شدّیت ضهری



كده وفردت لي عضلات من مافي، عاد نمرقها من وين العضلات دي؟ من الجسم الكحيان والمعصص ده؟ كان ماليني إعتقاد جاني من وين ما عارفو، إنو البنات بحبن الأولاد المفتلين، وأنا لحظتها كنت أتوق أكون في زمرة المفتلين.

المهم، بعد ما إطمأنيت إني بقيت بعيد من نظرهم، وقفت وبقيت أتلفت في الموقف، بفتش على حاجة معيئة، حددت إتجاهي ومشيت، فعلا تحت شجرة نيم كبيرة في طرف الموقف كان في شلة كبيرة من الأولاد والبنات الشماسة متكّلين، ولحسن حظي لمحت ليدو، فكّرت أقيف بعيد ما أصلهم تحت شجرتهم، فعلا من بعيد رفعت صوتي وناديت على ليدو:

- ليدو.. ليدو..

أول ما لمحني جاني طائر يجري ويتبسّم زي عوايدو، ما ضيعت زمن:

- ليدو، عاين لي جاي وركز معاي كويس..

كنت خايفو يكون مطشش بسبب السليسيون..

- أيوة، مركزين معاك يا مؤلم "معلم"..

- أسمعني، في شنطة يد إتبنت من قدام كشك تذاكر هناك..

قمت أشرت ليهو بإتجاه الكشك قبل ما أوصل:

- وعازيك ترجّعها لي هسي دي..

- شنطة كبيرة؟..

- لأ يا ليدو، شنطة يد، جزلان بتاع نسوان، فهمتني؟..

- أيوا، "مضبغة" يعني؟..

نطق المضبغة (12) "مضبغة"، بس حيرني، ما عرفت نكت كلمة المضبغة دي من

وين؟ ما كنت قايلهم بعرفوها:

- بس ياها ذاتها، فهمتا؟..

- أيوة فهمتا، لونها شنو؟..

- والله ما عارف يا ليدو، لكن هي واحدة بس الإتبنت، جيبها لي سريع قبل

ما نسافر..

- خلاص "تيب"، إنتظرنني هنا..

فضلت واقف في محلي وليدو رجع جرى على الشجرة وأنا متابعو بنظري، وقف شويّة وسط فردو، وشويتين كلهم قاموا وإنتشتوا في الموقف، ما عرفت أتابع منو ولا منو لحدّي ما كلهم إختقوا وسط الناس..

فضلت واقف منتظر زي عشرة دقايق، بعد شويّة شايف ليدو جاي طائر، وراهو ثلاثة من شلّتو، شايل ليهو شيتين أحمر كده باين عليها ياهو شنطة اليد، قلبي إنطرب، بس فجأة إنقبض، في مشكلة، ليدو وشيهو كان مليان دم!.

- ليدو مالك؟..

وهو لسّة بياخد في نفسو، وما شغال بالدم النازل من وشيهو قدر ما هو فرحان بالانتصار ومبتسم:

- المؤلّين "المعلّمين" ديل أبوا يدونا ليها بأخوي وأخوك..

- يا زول؟ أها والحصل شنو؟..

- قلت ليهم لو ما رجّعناها كلنا حيدخلونا الرج..

- طيب، أها؟..

- نصهم كان موافق، لكن النص الثاني قال ما يرجعها كلها إلا ينبل من الفيهو..

- أها!..

- أنا كمان أبيت ليهم، وقلبناها أضل "عضلات"..

- يا الله، معلّش يا ليدو ياخ، أنا أسف!..

- ليدو يجيب الإتنبل، لكن تاني مافي لينا قعاد هنا..

حسيت بالأسف على ليدو، وكأني إتسببت في طردو من عملو، مش من حياة هي أصلا علي هامش حياة الناس في أطراف السوق.

- متأسف والله يا ليدو..

رد على أسفي بإبتسامة ولا مبالاة، في اللحظات ديك شلّتو كلّها كانت إتلمت حولينو، واحدة من البنات المعاهو مسحت ليهو الدم النازل بطرف كمّها رغم وساختو. في سر غريب وعجيب بيناتهم، عندهم ولاء وإرتباط ببعض ما شفت زيو، حاجاتهم نادرة، وأنا معتبرني واحد منهم، بتعاملوا معاي بدون أي توجس أو تحسس، ما زي بقية الناس البعتبروهم غرباء ومنبوذين.

جرّيت ليدو على جمبة وقطعت فيهو خمسيناية، عايز يطير من الفرّح، قرّب يهجم على يشيليني فوق لو ما رجعت لي ورا سريع وثبتو بيدي وأنا بضحك من الفكرة، مشى فرّجها على الباقيين، كلهم هلاوا وجروا برّة الموقف، شكلهم راجعين خلاص أراضيهم، كنت عارف الخمسين الشايفنها كتيرة دي، ويمكن ما مسكوها

في يدهم بالحلال قبّال كده، ما بتساوى عندي قدر الأسف الكنت حاسي بيهو في اللحظات ديك، لكن على الأقل قدرت أفرحهم ودي كانت براها بالدنيا .  
عاينت للشنطة في يدي، منظرها وأنا شايها بلونها الأحمر الفاقع كان غريب وشاذ، والناس بدت تعين لي شذرا، سريع رجعت باتجاه البص، كانت مرّت زي خمستاشر دقيقة.

\*\*\*

بالله المرأة لمن شافتني شاي شنطتها عايزة تزغرد، فرحت فرح ما عادي، إبتسامتها من الضرس للضرس، أها أخيرا هلت إبتسامة مفردة في وش البت الملاحظة، أخ أنا، أحب الما كده ذاتو، ناس الكثك بقوا يتبسّموا، شكلهم كانوا مخرجين بطريقة ما، وسواق البص كان خلاص وصل الحد، يشيل ويضرب في البوري ويدوس في الأبنصات ويرقص في البص من جمبة لجمبة زي رقيص العروس، حركة القلق دي بعملوها كتيرين بالأخص ناس المواصلات قبل ما يتحركوا من الموقف، كل السواقين ديل في النهاية طينتهم واحدة، نفس الطبايع، بص الجكو هناك في البلد برضو بقعد يتراقص كده قبل ما يتحرك، بس داك حركة لا ورا ولا قدام، لو حاول جمبة جمبة زي ديل أكيد حيتفرتق حتة حتة! .  
أها، المشكلة بقت في الرجل الشبكة، شكلو ما عايز يعدّي الموضوع، بدا يسأل تاني بتشكك:

- لقيتها وين؟ لميت فيها كيف؟ ..

كنت مديت الشنطة للمرأة القامت خطفتها خطف، فكّرت سريع، أي إجابة غير مباشرة حتزيد شكوكو وما حينزلني من راسو، فكّرت أتكلم بطريقة توحى ليهو إني أكبر من سني:

- شوف بكل بساطة، أي سوق أو موقف عام أو حتة فيها لمة كتيرة بتاعت ناس، عندها ناسها المتخصصين فيها من الحرامية، وغير الحرامية في شماسة، والشماسة ديل ما بتفوت عليهم أي حاجة تحصل في منطقة هم قاعدين فيها، وهم ذاتهم الساعدوني أرجع ليكم الشنطة..

وعشان أتفكك من الرجل إتلفت على المرأة وسألتها:

- أها، إن شاء الله تامة؟ فيها أي حاجة ناقصة؟ ..

الوكت داك كانت لسّة بتقلب جواها حتة حتة.

- الله يباركك يا ولدي، الحمد لله كل شي في محلو، القروش، خاتم الذهب، البطاقات، الموبايل، ال ..، لأكلو تمام!..

إحتمال كانت عايزة تقول المراية ولا الكريما ولا مصيبة تانية قامت مسكت نفسها في آخر لحظة، يلا، ما علينا. الرجل أخيرا قلبو إرتاح وإطمأن شويّة، رغم إنو عيونو كانت بتقول لسّة عندو باقي أسئلة كتيرة عايز يسألها، لكن في سؤال غلبو كلو كلو:

- عندك علاقة بالمباحث؟..

قمت ضحكت ضحكة لذيدة أنا ذاتي كيفتني:

- عليك الله يا عم أنا هسي شلكي ده شكل زول عندو علاقة بالمباحث؟ لا أبدا، أنا طالب ثانوي في إجازة وماشي سنة تالته يادوب كمان!..

أنهيت اللقاء بنظرة خطافية لبنيتهم السميحوني المظلطي، لقيتها بتتكوشم وتتبسّم، ديني أنا وفرحتي، أكيد بتكون شايفاني هسي بطل، أو دون جوان، وإحتمال تكون سورحت بي وركبتني هناي، قصدي بتاع، أقصد حصان أبيض، ولبستني بدلة بيضا زي بتاعت الحكيم العندنا في الحلة زمان، وأكون جاري، وجاري، وجاري، وهي منتظراني ولايسالا فستانا أبيض برضو، وفاكة شعرها لا ورا شايلو الهوا، وأقوم أقربّ منها بحصاني الأبيض من غير ما أرخي سرعتي، وجبّ جبّ أقوم أخطفها بعضلاتي المفتولة ديك، وأطوِّحها فوق في الهوا قبل ما أجدعها وراي في الحصان، بعداك نقوم جارين كريك، كريك، كريك، هو الفارس ده بجي من وين الله أعلم، ويمشي بيها وين الله أعلم، القصّة كلها بتبدا هنا وتنتهي هنا.

بادلت البنوّة إبتسامة الود بواحدة زيتها، من قريب بلا شك البت ملهبة، مؤلّعة نار بلا منقد، الجسم ده ناعم واللون خمري، أكان مديت يدك يخيّل لي جلدّها ده حينقط عسل براهو، قادر الله في خلقوا إنتدكرت بنوّننا في الحلة، الغبيانات يقومن من النوم مغبّشات ومنكّشات، لا بعرفن يتجيهن ولا شغلتن، كل همهن يطلبن الغنم ويلملن الحطب ويوقدن النار ويرمن القراصة ويعوسن كسرتن، الواحدة لو خلاص شافت روحها تقع البحر، تنزل بي هديماتها جملبغ وتاخذلها عويمي وتبقى مارقي.

نفضت روحي من أحلام اليقظة، وبقيت طالع على البص، بوراي طوّالي كان عمك ومرتو والبنوّة المظلطة، لَمَن قعدت كنت لسّة بتبسّم، أتيّم عايز يفتح خشمو، كتمت نفسو سريع:

- ولا كلمة..

بقيت شغال ليك في المسكين قهر وهجر بس، لكن أعمل شنو أنا؟ بدور أسورح مع البنية، أنا كنت لسّة مع الخشيم الباسم، والعيون البقاق، والرموش الكتل كتل، البتدي فيها ريك العجب دي.  
رجعت بخيالي محل ما كنت واقف قبيل، رجعت أسأل نفسي، يا ربي؟ أها الفارس بعد يخطفها ويردّفها معاها في حصانو اللبيض. أها، بدور يمشي بيها وين؟ هسي عليكم الله زي البنية دي يمشوا بيها وين؟.

\*\*\*

أُتيم ذُكرني بسفرة عبدو معاي أول مرة، نفس الملامح والشبه، كنت أديتو الشبّاك خليتو يتقرّج، فيني شنو ماني عارف، المهم قال عايز يتقرّج، كرّهني بالأسئلة، البلد شكلها كيف؟ والمحطات الحتلاقينا شنو؟ حقيف وين؟ وشندي على بعد كم؟ وعطبرة على بعد كم؟ وحنصل متين؟ رغم ده إندحت معاها وجاوبتو، كانت عاجباني فرحتو وإثارته دي لله لله، بعداك قعدت أمهد ليهو جو البلد، وأشكرها ليهو، وأوري فيهو البرامج الموعدو بيها مع أولاد حلتنا ناس عبد الرحيم وحمدان والدخين، غايتهو شغلني من الطيران الثقيل الكنت مسورح فيهو، أصلو البنية ذاتها من حتتي ما كانت بتتشاف.

إستمرينا نتونس كده لَمَن بدوا يوزعولنا في الحلاوة والبارد، بعداك جابولنا سندوتشات شنو كده ما عارف يتخيل لي لحمه بايئة، وراها جات التحلية الليلت كيك جاهز، ضربنا الوجبات بتاعتنا وعملنا غمرانين.

البص لعب بيينا لعب لحدّي ما إندروخنا تب، شويتين وأُتيم إتكى على القزّاز وشخر، أنا ذاتي ربعت يديني في الكرسي القدامي وتكلت راسي و.. ماني عارف نمت متين، ولا نمت قدر شنو، ما أصحي ليك إلا على صوت رهيب وبجسمي ده طابير براهو محلّق في الهوا لحدّي ما إتكومت في الممر نص البص ، لَمَن بديت أستوعب لقيت ليك نفسي راقد تحت زول وحاسي بألم عجيب ماني خابرو وين، وعندي يد محشورة تحت زول تاني ورجل خشت تحت كرسي.

ما فاهم الحصل شنو بالضبط، لَمَن الطنين بدا ينزل شوية شوية من إصنيني، بديت أسمع أنين، في ناس بتتألم! طوّالي عرفت نحنا حصل ليينا حادث، حادث؟ إتذكرت أُتيم، حاولت أتنفض أقوم، لقيت نفسي معرقل، بقيت أكورك، "أُتيم...أُتيم!"، لكن مافي رد، والأصوات بقت تزيد، وفجأة في مرّة بقت تصرّخ،

بعد شويّة النسوان الفي البص كلهم بقوا يكوركوا ويصرّخوا، وفي أنين رجال هنا وهناك، قطعوا قلبي، قلت خلاص، معناها البص من جوة بقى زي السلخانة، والقطع قلبي أكثر كمان، لقيت في دم في قميصي، قرّبت أصرخ أنا ذاتي من الخلعة وتأثير كواريك النسوان، بعد شويّة إتחסست نفسي برّاحة بيدي الفاضية، ما لقيت أي حاجة، برضو ما إقتنعت، تاني قعدت أفتش، لما إتأكدت فعلا مافي شي، حتين بعداك بقيت ألكز وألز في الزول الراقد فيني:

- يا أخينا، يا أخينا، هوي!..

زولك راقد سلطة تب، وعلى العليهو كمان تقيل تقلة! وصاحبنا لا حس لا خبر، قلت أوع يكون الزول ده مات! ركزت فيهو كويس، لقيتو بتنفس، طيب أعمل شنو؟ قمت سحبت يدي المعلّقة في الكرسي برّاحة، الحمد لله ما جاتها عوجة، فجأة في زول شات قارورة موية دقت في كتفي، طوّالي جريتها وفتحتها وجملبغ جملبغ كبيتها في راس زولي المنبطح فيني، قام ناطي رافع راسو:

- أنا وين؟..

- إنت وين شنو ياخ، كدي قوم مني كاتم لي نفسي يا عمك..

بدا يتحرك بصعوبة، لقيت كنفو مجروح ومسّيل دم من قميصو لحدّي قميصي، بس الحمد لله كان الجرح ما حاجة مخيفة، قام على حيلو ماسك محل الجرح، بعد ما إتحرك يا دوب قدرت أننفس زي الناس، الممر كان ضيق شديد، لو ما قام براهو مافي لي أي طريقة أرزحو لأي حة.

كنت راقد ومواجه نهاية البص، أول ما قمت على حيلي وإتلفت، خلعني المنظر جد جد، قبيل كان البص شبه مضلم بالسستائر والتظليل بالجمبات، فجأة البص بقى كاشف من قدّام وضو النهار كلو خاشي علينا جوة، والناس مبهدلة بهدلة شديدة و واقعة فوق بعضها، جزو بكورك ويولول، وجزو مكوم صامت، وفي واحدتين مجدّعين فوق الكراسي وتحت الكراسي، وفي كراسي نائمة على الباقيين، بالذات القدّام، وفي منظر تاني مرعب، الدم في كل مكان، دم وتراب وموية ولا زيت ما عارف، صورة بتذهلل بالواحد، حاولت أركّز مع الصراخ الشديد والكواريك.

أول حاجة إتلفت وراي محل كان قاعد أّتيم، ما لقيتو، بقيت أكورك ليهو تاني، "أّتيم...أّتيم!"، فجأة سمعت صوتو، كان بحاول يرد علي، لكن صوتو كان طالع أنين ساي، شغال يقند، إتلفت، إتلفت، لحدّي ما شفت كرعينو معلّقة فوق في الهوا، لو ما كان الموقف صعب كان ضحكت على المنظر، كان رافعلو كرعين زي

المفاريك فوق تاكلهم في القزاز، شكلو وقع في كرسي في نص البص، وصل هناك كيف ما عارف، إتجاوزت فكرة منظرو الغريب، بقيت أترنح وأنا ماشي عليهو، لسة كنت حاسي بالآم في جسمي، قمت لكزتو وقومتو:

- أتييم، أتييم..

زولي فتح عيونو برّاحة.

- أنا وين؟ في شنو؟..

لقيت ما عندو أي عوجة، بس قصة الناس البتقوم طشاش دي شنو؟ أي زول تهبشو يقول ليك "أنا وين؟".

- أتييم قوم، في حاجة واجعاك؟ حاسي بي أي حاجة؟..

قام مسك راسو، شكلو خبت راسو بحاجة، في ورم لكن مافي أتر دم، قلت أطمنو:

- قوم ما عندك عوجة تب، قوم..

قام دلّي كرعينو وإستعدل في كرسيهو:

- حصل ليينا حادث؟..

- أيوة، لكن كدي قوم عايزك تساعدني!..

\*\*\*

أول حاجة عملناها، مشينا نكابس في الباب الورا، عافرناهو معافرة شديدة لحدّي ما فتح معنا، بعدّاك بدينا ننزل في الناس القادرة تمشي، كل ما ينزل زول نوديهو غادي نقعدو برّة في واطة الله ونرجع قالبين جوّة البص، أها بقينا في الشغلانية دي لحدّي ما جا الدور على البنية القبيل كتلتني بعيونها، لقيتها قاعدة جمب أمها، وأبوها موازي ليهم في الصف، كنت نسيتهم خالص خالص، مع النومة والحادث كانت طارت كل عصافير أحلام اليقظة.

كانت هي الوحيدة المتحرّكة في أمها وأبوها، الوكت داك بدت العربات المسافرة البتمر فينا كلها تقيف، وأي زول ينزل من عربيتو ويحينا جاري يساعدنا، فيهم ناس شهمين، قووا قلبهم وبدوا من قدّام، محل صعب، بقوا يللملوا في الأشلاء ويسعفوا في الجرحى، ما كنت عارف لمن أصل هناك حاتصرف كيف؟ وهل كنت حاقدر أستحمل المناظر ديك ولى لأ؟ أها قمت لقيت نفسي جمب الأبو ومرتو والبت، الأبو كان داخ حبتين، أما الأم شغالة تسكلب ساي بنفس واحد، والبنية كاضمة كضمة من أمها، وشيها مليان خلعة ومحتارة ما عارفة تعمل شنو، عاينت

ليهم زين، غير دروخة الأبو ما فيهم زول عندو عوجة تاني، أها أتصرف كيف؟ أتصرف كيف؟ الأم تعين في الناس القدام تشوف المنظر وتقعّد تواصل سكلبة، المنظر كان مخيف فعلا.

أها، وأنا في حيرتي، ربك رب الخير واحد من الناس الجو يساعدو كورك لي من قدام، "أقشطها كف!"، في الأول ما فهمتو قاصد شنو، بعد شويّة إنتبهت، طوالي إستعدلت ليك نفسي، وفرد كف، كف جا للأم صاموتي، المرات طوالي راسها رجع ليها، في اللحظات ديك البنية السميحوني ذاتها راسها رجع مع أمها: - ليه تضرب أمي كف؟..

هبلني صوتها، وبقيت معلّق فوق مع رنين الصوت الحنين رغم الأسى، سكت ما رديت عليها، بس ساعدتهم ينزلوا وأنا ماسك الأبو المدروخ.

بعد فضينا البص كلو هدأنا شويّة، إنبطحنا في الأرض لأنو التعب كان هدأنا، كنا فترنا وحيلا مات، قطعنا تب، كل المتوفيين مغططين بالمتوفر، تياب، ملايات، عمم، أي شي، أبيت أمشي على الحتات الراقدين فيها نهائي. الناس اللسة فيها حيل كانت واقفة في راس الجرحى والمعوقين يضمّدوا في جروحهم، أو الفضل منهم، لأنو فيهم ناس كتار رفعوهم في العربات وجروا بيهم، كانت مرت زي ساعة كده، لحدّي الوكت داك ما جات لا عربية إسعاف لا عربية نجدة ولا يحزنون، الناس كانت شغالة تسعف وتنجد براها زي النقول البلد دي ما فيها حكومة، والحة حولينا ملانة عربات لعين أمها، البجي كلو يقيف، منظر البص من برّة كان مخيف، لما تعين ليهو ما بتصدق في زول طلع منو حي، وقدامو طوالي شاحنة جزو منها مهروس، وش البص مطبق لا جوة، أو الفضل منو. - أها، حنعمل شنو؟..

سألني أّيم المنبطح جمبي، فكّرت في الخطوة الجاية شنو؟ أول شي نشمي نفتّش شنتنا وين! تاني هم، نشوف لينا شيتين توصلنا باقي مشوارنا الإنقطع ده:

- كدي بعد نرتاح شويّة، نقوم على شنتنا ديل نمرقهم وبعداك نشوف لينا حاجة نركبها..

في تكلتنا ديك قاعدين نتفاكر، أقوم أّلفت لمن أحس بحركة زول جمبي، ألقى ليكم البت السميحوني الملاحظة واقفة فوق راسي، طوالي قمت رفعت ضهري من الأرض.

- السلام عليكم..



تاني قمت نسيت الحادث وتعبنا والحصل كلو، البت كان سحرها طاغي حتى في أحلك الظروف، وفيها صوت، يا إلهي، صوت الجرس البجيب الجرس.

- وعليكم السلام، كيفكم وكيف أمك وكيف أبوك؟..

إنتهيت إنو بعد نزلوا تاني ما عاينت ليهم ولا سألت منهم.

- كويسين، بس أبوي لسّة دايع حبتين، أظن سكرهيو وضغطو مرتفعين حبة، في عربية منتظرانا حتشيلنا، لكن ما لاقية حاجاتنا ومحتاجين موية شراب ضروري، تقدر تساعدنا؟..

بقليبي رديت عليها، أفو؟ أساعدكم بس؟، قمت على حيلي أنفض في التراب بدون ما أرد عليها بنعم أو لا:

- مقاعدكم كانت كم؟ متذكّراها؟..

- خمستاشر وستاشر وسبعتاشر..

- جداً، يا.. منو؟..

- مها..

مها، مها، مها، قعدت أردد في الإسم في راسي وأنا مقبل علي ركام البص، صحي ما مها، وعيون مها، دي الأسامي ولا بلاش!..

\*\*\*

لما وصلنا البلد لقينا الخبر وصل قدامنا، البلد دي الخبر يصل فيها أسرع من البرق ذاتو، أمي الله يديها العافية ما إطمأنت إلا بعد شافتني قدامها وقالدتني زين وبكت ما مصدقة، أبوي كان فرحان شديد بجيتنا وبسلامتنا، والجلّة كلها كسرت فينا تحمدل لينا في السلامة، حمدلله على السلامة، حمدلله على السلامة.

طوّالي أبوي من وكتو ضبح لينا خروف ماكن كرامة لله، البهجة كانت كبيرة اليوم داك والفرحة بقت فرحتين، ضربنا الخروف بمزاج لحدّي ما دخنا، لقيت أمي كانت عاملة ليها شربوت(13) بدون أي مناسبة، جات معانا ظابطة شديد، اليوم داك نحنا نايمين أنا وأتيم من قبل المغرب لحدّي تاني يوم الصباح، كنا زي السكرانين، كل ما يجي زول عايز يصحبنا ويحمدل لينا بالسلامة يمنعوهو يصحبنا، أول مرة أكون في البلد وأبوي ما يتورني للفجر، بكون غايتو قال الناس ديل مارقين من موت كدي النخليهم يرتاحو في عضمهم.

صحبنا نشيطين زي الحصين، التكه ولا العوجة دي ما عندنا، بعد ما شربنا الشاي وعشرة ونسة ظريفة مع أمي في الراكوبة قدام التكل، دقشنا على

الحواشات، لقيت أبوي يحرت في الأرض، قلت لأتيم، تعال بالمرة يلاك جرّب وإتعلّم ليك حاجة ومنها نكون ساعدنا أبوي شويّة.

أها القصّة دي شدتنا من الصباح لحدّي مواعيد الفطور، أّتيم كان مبسوط جدا، بعد شويّة بقى شغال براهو يقلّع في الحشايش ويفتّح في المجاري، إندمج في الشغلانية، لقيت فرقة أتونس مع أبوي شويتين، أصلي كنت مشتاق ليهو ولي زمن ما قعدت أتونس معاهو زي الناس.

سألني عن أحوالي وعن القرابة وعن ناس عمّي، معظم الحكاوي الكنت بحكيها ليهو أصلا هو عارفها كويس، بس الحكمة كانت في الونسة نفسها، كان بتكلم معاي بهدوء ومودة ظاهرة، أداني إحساس إنو بقى يتعامل معاي كزول عاقل وكبير محترم وليهو مكانتو، الحاجة دي دخلت جّواي سرور عظيم، ونزلت على قلبي بدفء وحنان، كونوا لأبو يدي ولدو مكانتو ويحسسها بيهو، دي شيتين ماهي ساهلي تب.

أها بعد فطرنا الجلّة صنصنت زي عوايدها، ده الوكت الناس تبدأ تقبل فيهو حركتها لحدّي مواعيد صلاة الظهر، بعداك تقيّل وتنوم لحدّي العصير حتين يرجعوا للزراعة تاني، ما كنا شاعرين بأي تعب رغم إننا إشتغلنا من الصباح في الأرض، قمت قلت لأتيم يلاك معاي، مشينا نفتش على ناس عبد الرحيم والدخين لحدّي ما لقيناهم في المزارع.

كنت متشوق لألقي ناس الدخين بأتيم، عايز أّتيم يستمتع بإجازتو معاي في البلد لأبعد حد ممكن، لقيناهم قاعدين تحت ضل نيمة، أول ما عبد الرحيم شافنا جاين طوّالي وقف على حيلو وإستقبلنا إستقبال حلو، من ساعة وصلنا ما كنا إتلاقينا، لكن الدخين إتداغل ورفع نخرتو لا فوق بلا سبب، في الأول أبى يقوم على حيلو كلو كلو، تاني قام برّاحة وسلم علي ببرود، لّمن لقاني بحمّر ليهو. ويا الله الله سلّم على أّتيم بطرف يدو وهو بعاين ليهو من فوق لتحت نظرة حقارة، اللحظة ديك شياطيني كلها إتلمت وهاجت، حسّيت بالحرّج والغضب في نفس الوكت، كنت غضبت غضب شديد خلاص، لكن قلت مافي داعي أسألو هسي قدام أّتيم، بدكّنها ليهو لا بعدين، ببيتّها ليهو لحدّي ما أّلم فيهو براي، ويعدّين بعرف أنظمو كويس، أّتيم أكيد لاحظ، لكن لأّو مهذب و ود ناس أكلها في حنانو وقطّم.

رغم إنو الشّي حرقنتني لكن قلت يا عمك دحين مافي داعي هسي نتور المشاكل ومعانا ضيف، النقوم نتجاوز هسي، فعلا عرفتهم بأتيم وإنو من

الخرطوم، ومن ياتو حنة في الخرطوم وبقرا معاي وكده، وقلت لأتيم أقعد، وكلنا إنبرشنا في واطة الله دي، لكن كنت بعين للدخين بطرف عيني، شايفو برضو ما راضي، ما عارف بالضبط مالو الزول ده والما عاجبو في صحبي شنو بالضبط؟. بدينا نتونس عادي، وأتيم بدا يتكلم زي العايز يكسر الحواجز، الود الأبنوسي كان ذكي، عبد الرحيم إندمج معاهو في الونسة، وأنا كنت شادّي لي إبتسامة في وشي نظام مبسوط ومتابع وعيني مرّة مرّة في الدخين المدنقر في الواطة ويسوط فيها بي عود، شويتين وإتلموا علينا باقي أولاد الحلة، بقينا سبعة، مع الونسة والفرفرة والجوطة نسيت الدخين وبياختو، في الأول كنا هادين، ونسات خفافي، بعد شويّة إندمجنا في ألعاب زمان، وهاك يا مقالب وضحك وفرشة، كنا جايطين جوطة شديدة وماخدين راحتنا على الآخر، أصلنا بعيدين من الحلة ومافي زول حينزعج من كواريكنا.

أها قوماك كده فجأة الأولاد بدوا يصنصنوا بالترتيب، ما فهمت الحاصل شنو، إتلفت لقيت محمد أحمد التربالي أب شنبا عجيب جاي علينا وعيونو مولّعة زي الشرر، ما عارف ليه إتذكّرت فجأة يومي الكنت مسافر للخرطوم أول مرة؟ يمكن عشان نفس العيون الحمر الزي الجمر دي، لكنها أمانة ما موقدة نار المرة دي، رغم إنو الموضوع ده طوّل بس قلبي أكلني، في شنو؟ الزول ده مالو؟.

\*\*\*

أول سؤال سألتو روحي، يا ربي جاي عشان تارو القديم؟ زمان صحي كنا شياطين وأولاد لذيّنا، بس خفينا، وكمان كبرنا ياخ، ما معقولة يكون لسّة متذكر لينا بلاوينا الزمان ديك؟.

أصلو كان مرّة إتلمينا أنا وعبد الرحيم والدخين بعد سهرة كاربة في النادي مع الكشتينة، لطشنا حقة سلامة الأطرش إيلت الصاعوط بتاعتو، كالعادة، أصلو كان حيطتنا المايلة، وقمنا مرقناها جمب الحلة، كنا مرات بنحب نتكل في كوم تراب ما بعيد من كنتين حاجة سكيّنة بت ضيف الله، المرة العاملة زي العلم فوق رسها نار دي، أي زول في الحلة بعرفها كويس، أكان صغير ولا كبير، مرّة ولا راجل. بالنهار زولا كده يسترجل يجي مارّي جمب كنتينها مافي، علا تراهو زولا ولا زولة جابتو الجبرية ساي، أو يكون مغروض فيهو شديد، وصاحب حاجة ما لقى ليهو حل تاني غيرها، يبقى خلاص في الحالة دي معروف قاصدها عديل، ويشيل شيلتو مع لسانها السليط.

لوجيت لحدوت عنديها ياكا الإنكربت تب، ياكا الإدردقتا ياكا الإندردقتا، أو شالت شماراتك غصباً عنك، عندها نظرات كده لئن تعاین لك بيها، يا لطيف الطّف، تقدك من قدّام لا ورا، أصلو ما بتقدر تكضب عليها. أكان قلت أّتخارج ساي وما أديها أي شي مفيد، ياكا التعبت معاها، خوف ساي حتقك ليها حاجة حاجتين عشان تتحل منها وتطلّق كرعيك، أو يا إمتن تداهمك هي، تتعابط فيك وتتشعلق في رقبتك ما تفكك لّا تخليك تقول الروب وتفرشلها في واطة الله، وبعد داك تصقعك بالكلام الحار زي النار لئن تهري فشفاشك تخليك تتلفت تفتش في اليسكتّها.

أها في لمتنا ديك كنا قاعدين نتونس ونكتل في الوكت، والقمرّة دي فوق مدلدة من السما، قام الدخين المسخوت إقترح:

- يا جماعة رأيكم شنو نعمل مقلب في محمد أحمد التربالي أب شنب؟..  
عبد الرحيم نخنخ قبل ما يسمع المقلب ذاتو شنو، وأنا عارفو لك زول ما بحب الشبك، يمكن أنا ذاتي أكون إتفقت معاها في اللحظات ديك، أنا رديت للدخين:  
- يا زول هوى، أرعى بي قيدك، نشاغل سلامة الأطرش ممكن، أولاد الجلّة ممكن، عمك بلة العموش ذاتو ممكن، لكن محمد أحمد؟، إنت الله ما لك ولا شنو؟..

- لا لا، يا زول كدي أسمعني، أنا كل يوم بلا حظ ليهو بنزل البحر(14) ميطي(15) بعد الضهر يستحمي لئن الناس تمشي ثقيل، أها بعد ما ياخذلو حمّاما كارب، يقوم يمرقها قريب جنيّة ناس ود الحسين..  
قمت قاطعتو:

- ود الحسين؟ بعمل شنو هناك؟..  
أي زول في الجلّة عارف كانت في حساسية قديمة بين ود الحسين ومحمد أحمد التربالي، ما بدوروا بعض كلو كلو، وسبب واحد يخلي محمد أحمد التربالي يقرب منهم أو من جنيّتهم أو من بيتهم مافي، الموضوع ده قديم ياخ، أي زول عارفو، حساسيات من نوع العوارة عوارة ديك، حاجات كده تافهة زي عبط الشفّع، حاجة ما بتقدر تتخيلها بعملوها الكبار. بس الشمار كتلني، شين بدور محمد أحمد التربالي منهم؟، وعشان الدخين يعمل للموضوع راس وضنب وقعر، قام قلب على صفحتو وقبل علي، تحت ضو القمر شفت وشيهو، الغتاة كانت باينة من تضاريسو:

- مش قالولكم قاعد يحب بت ود الحسين؟..

أنا أمانة ما الخلعة قامت بي قومتن، تورتني زي اللدغتنني عقرب ولا دابي(16)، نطيت لا فوق على حيلي فرد نطة، ونسيت الليل والضلام والناس النائمة وقعدت أكورك:

- بحب منو؟ بت منو؟ أزول ها!..

الدخين نط معاي لا فوق لحقني بقي يكابس في خشمي يقبب فيهو بي يدينو الإتنين، أصلو الليل في حلتنا فضيحة، بقى يوسوس لي:

- أزول مالك؟ تدور تقضحنا؟ أبقي قاعد ساي، وطّي صوتك ياخ..

قعدت وماني مصدّق حرف من البسمعو ده، وعبد الرحيم ساكت ساي فارش الواطة في رقادو، ظنيتو عندو فكرة عن النضم ده، قمت سألتو وأنا لسّة مخلوع:

- إنت يا عبد الرحيم بي جدكم؟..

إتحنج زي المتورنو من النوم:

- آيا..

- كيفن عاد الكلام ده؟ أمانة دي ما مشكلة كبيرة خلاص..

بقيت أفكر في الكارثة دي، ود الحسين؟ وبنيتو الواحدي دي؟ يحبها ليهم التربالي؟ أروروك، طيب ناس الحلة كيف لو عرفوا؟ حيحصل شنو؟ لا لا، دي مصيبتن كبيرة خلاص! قلاتي الدخين من تفكيري:

- أها شين قولك؟..

زي الزول المودر كده ويتفش، يا دابك رجع لي الكلام كلو:

- إنت شين بتدور تسوي يا الدخين أخوي؟..

- شين بدور أسوي دي خلّها علي أنا، باكر بديكم خبري، دحين خلونا نمشي نهجد، باقي لي حيلنا إتهد الليلي، اليقومنا شنو دغش لصلاة الصبح أأناس؟.. إتفرتقنا من حنتنا ديك على بيوتنا، كل زول شايلاً بطّارية في إيدو يقش بيها الدرب من العقارب والمصايب، الدخين بدور يعمل شنو دي ما كانت شاغلاني كتير، تفكيري كلو كان في قصة الحب العجيبة دي، حباهو الشنو داك! فقر!، أصلي من يومي ما بدورو التربالي ده، كمان يحبلو بنيّتن سميحوني زي بت ناس ود الحسين دي؟.

أها، لامن رجعت البيت وإتمطيت في العنقريب في نص الحوش وضربني الهمبريب، يا دابك راسي بدا يرجع لي، لقيت قصة الدخين إليلت بدور يعمل شنو باكر، كانت هي القصّة الأكبر والأهم، تراني دقست، بقت لي أكبر من قصة ريذة

محمد أحمد لي بت ناس ود الحسين ذاتها، حباهو البرص، أها هسي نسوي شنو؟ تراني شربت وما رويت!، أقوم أمشي هسي أفتش الدخين في نص الليل ده ولا عاد نسوي كيفن؟ ديك ليلة النوم فيها جافاني وأباني تب، غلغلة من جوة، لمن يا الله قمت لأبوي للفجر، تعب تعب شديد عشان يتورني، كل ما يصحيني، يمشي ويجي يلقاني تاني رجعت نمت.

\*\*\*

الدخين الدغيل ما جا الجامع اليوم داك، الوهم بكون نام. لمن الصباح فتح أخيرا، شربت الشاي بسراع مع الحاجة وبقيت مارق بداري، النمشي نشوف الدخين المرض ده وين؟ باقي لي الموضوع بستاهل تب!.  
عشان أصل بيت ناس الدخين كان لازمن يجيبني الدرب قدام كنتين حاجة سكيانة بت ضيف الله، كنتينها كان فاتح في وش الشمس، التقول ماخدلو مواعيد حمام معاها كل صباح زي مواعيد التربالي مع بنية ناس ود الحسين، بابو صغيروني عامل زي الطاقة كده، ومبّع بقع سودا من أتر اليدين والوسخ، ملطخ بيها هنا وهناك، نان هي فاضية ليهو تنضفو ولا تحككو من الشمارات والخبارات والقولات؟.

شدت خطوتي بدور أمر من قدامها بدون ما تشوفني، وبقيت أتخيل نفسي زي الراكبلي دحشة من شدة ما أنا ماشي بسراع وبدون ما أتلفت أعاين ولو بالغلط أشوف جوة الكنتين في شنو.  
- حسين!..

"أنا أخوك يا الحاجة!"، أخخ، الكترابة، أمانة ما وقع راجل، ظنيتو الشرك قبض وما في طريقة فرّة، بالله لمن المرة لعلت وكوركت بإسمي لمن حسيت بقلبي ده وقف، الله يمرقنا منك يا السليطة أم لسان!.  
- أي يا حجة سكيانة!..

ربكة ساي نسيت وقلت ليها يا حاجة، يا حجة دي ما بقولها ليها إلا لمن أكون رايق بدور أشاغلها أو مغيوظ منها بدور أفور دمها، لكن اللحظة ديك كنت مودر واللسان غلاب.

ردت بزعل:

- الحجة التلولي بيك..

دعّائتن المرة دي! كضمتها، دحين ماني فاضي أتلاّح معاها هسي، هي ذاتها يتلاّدحوا معاها كيفن زي دي؟ واصلت بخبث:

- أمس مالك يا المبخوت؟ مالو صوتك عالي تكورك نص الليل؟..

بلعت ريقى بصعوبة، الزرزة بدت:

- أنا؟..

- باقيلك بكون أني؟ أكون يا ربي قمت نصت الليل زي المجنونة أورك

بحبها؟ بحبها؟..

أها، عرفت الموضوع ده ما ماشي على خير، لو المرأة دي دحين قعدت تحكّها معاي، حيقوم لسانى يفلت منى غصبا عنى وتبقى ورطة جد جد، عملت فيها إتذكّرت وقعدت أضحك، ما لازم الكضبة تكون متقنة ومقنعة:

- أها، لا ياخ، ده الود المسخوت عبد الرحيم ده، كنا أمس مساهرين هنا في كوم التراب داك.

قمت أشرت عليه و واصلت في الكلام:

- أها بس الدخين قال لي عبد الرحيم بقى يحب..

- عبد الرحيم ود ناس عبد القيوم؟..

- آيا، ياهو ذاتو..

عاينت لي مسافة، تحرق في حشاي وهي بتنجّض في الكلام زين وتقلّبو بي عويناتا في صدري، مقنعة وما مقنعة إتفكيت منها، ودّعتها وبقيت مارق مواصل في مشواري، قبل ما أختفي من قدّام كنتينها زي الناس شكلها إتذكّرت حاجة قامت كورككت لي تاني:

- نان محمد أحمد التربالي قلتو مالو؟..

قلبي وقع تحت كرعي، أبّيت تاني أتلفت عليها نهائي، يطرشني، عملت فيها أطرش وأبكم وأعمى، المسخوتة تراها كانت بتتصنّت علينا!

أها قمت لميت في الدخين، طالع من بيتهم يادوبو، عيونو ورمانة من النوم:

- شربت الشاي؟..

- إنت الشاي خلّو، بتدور شنو من صباح الرحمن يا حسين؟..

- كيفن بدور شنو؟ بدور نهاية القنبلة الفكيتها فينا أمس دي ياخ!..

- يا زول ماك نصيح؟ صبحّ الواطة دي بعدين نشوف الموضوع ده..

ما كترت معاهو النضم، جريتو من يدو ومشينا على شجرة في نص الشارع،  
ما عايز زول يسمع كلامنا:

- أسمعني، ما تعمل لي حجوّة أم ضبيبيّة، أنا ما نايم الليل كلو، و ماني  
فاضي، أحكي لي هسي من طق طق للسلام عليكم.

أنا ذاتي حكوّة أم ضبيبيّة دي شنو ماني خابرها، بس شيتن نقطع بيها دابر  
الكلام! وبدا يحكي لي في القصّة من الأول، كيف مرّة بالصدفة شاف التربالي  
لأول مرة مع سعاد بت ود الحسين، وكيف البنوّة بقت تتخجل وتنهر في الواطة  
برجلها مدنقري، تتكوشم وتتبلّم، والتربالي العوقة فاصل للضرس، وأكان شفتو،  
وشفت شنات التبسّم والضحك في وشيهو؟ قادر الله ومخير الله، أها لقيتك  
الحاكية دي يومي بتحصل، ومرات مرات البنيّة تجيلو شيتن كده ياكل ويمسح  
شنبو.

- مخير الله، ده كلو حاصل؟..

- آيا..

- طيب أها، بتدور تعمل شنو؟..

- أها يا سيدي ليك، بقى الموضوع ده طوّالي في بالي، بقيت أراقب ليك  
محمد أحمد التربالي ده من الصباح، أهم برنامج يومي بعملو، بقوم يمشي البحر  
يستحمي قبل ما يلاقي البنيّة، أها..  
وقامت سكت.

- ما تقول يا فقّر!..

- أها نقوم نحنا نمشي بعدين برّاحة، لمن ينزل البحر نشيل هديماتو ديل  
نودرها وننتقم منو..

وقامت عويناتو برقت زي عيون الشيطان.

- أها ويعدين؟..

- بعدين شنو ياخ؟ ما قلت ليك الزول ده بنزل البحر ميطي، يعني حيحصل  
شنو تاني مثلاً؟..

ما إتصايقت من إعتراضو، قلت أوريهو شغل الغتاتة المّا بعرفو على أصولو:

- تشيل هدمو وتمشي ترميها قدام بيت ناس ود الحسين قبل ما البنيّة تجي  
مارقة..



الدخين نطط عويناتو كبار، عجبتو ليك القصّة دي جنس عجب! أها فعلا اليوم  
داك خلّصنا شغلنا في الزراعة بدري بدري، إتجهدنا تب للمقلب بتاعنا، عبد  
الرحيم كان الجاسوس بتاعنا، فرّغنا هو يتابع لنا التربالي أول بأول، لَمَن جات  
المواعيد، مشينا إتلمينا عليه أنا والدخين، رص لنا الأخبار كلها بالتفاصيل، أها  
قمنا إتضاريننا الثلاثة ورا الشجر وبقينا نتابع فيه من بعيد.

لقينا هو مرّة يشتغل ومرة يسورح، أتاريهو الزول البريد ده قلبو ببقى رهيف  
خلاص. أها، لَمَن مواعيد البحر جات، طوّالي جدع الطورية وبقى مدردق على  
القيف، عندو شجرات كده عاملن ضروة ومغطينهن زي الراكوبة، وشجيراتو دي  
واقعة مع البحر طوّالي، قَرَبنا منو لحدّي ما بقينا نسمع حركتو ونخنختو، وشايفين  
ضلو. أها، بعد شويّة نسمع الجمبلخ، وزولنا نزل البحر! قمت لكزت الدخين،  
عاين لي بصرصرة، همست ليهو برّاحة:

– يا زول مش دي فكرتك؟ يلا إنكشج..

أها قام الدخين بقى يزحف برّاحة زي الدّابي لحدّي ما وصل الضروة، فتحلو  
فيها طاقة صغيروني من تحت وبقى يسلم في الهديمات هديمة هديمة بهدوء، جرّ  
العزّاقى والسروال وعندو فنيّة داخلية كده ما تفرزها من الواطة، لونها واحد، وجا  
راجع منسلي.

– أها؟ جبت كل شي؟..

– أيّا، كلّو تمام..

– متأكد يا زول ما خلّيت أي حاجة؟..

– إلا كان النعال بس!..

قعدت أتخيل منظرو ميطي زي ما الله خلقو لأبس نعالو بس، وقعدت أضحك  
بصوت واطي. قام الدخين مدّ لي هدموم التربالي:  
– أمسك..

– أمسك شنو يا زول؟ إنت ما ليك راس؟..

وأنا شغال ألز ليهو فيها أرجّعها في يدو.

– أنا مش جبتها؟ يلا خلاص الدور عليك إنت تقوم تمشي تجدعها قدام بيت  
ناس ود الحسين..

– لا لا، أنا بفكر ليكم بس، يمين الهدوم الوساخنة دي مانى شايلها!..

وبدينا نتحجج وقربنا نكشف نفسنا، خرخرت ليهو زين، في النهاية عبد الرحيم  
الطيبان إتنازل وقال خلاص أنا بوديها.

\*\*\*

من دربنا بقينا مارقين على بيت ناس ود الحسين، قطعنا المسافة الفاصلة بين  
ضروة محمد أحمد التربالي على البحر وبيت ناس ود الحسين الفي طرف الحلة  
وفاتح على المزارع في دقايق، ماشين من سكات وأنا بفكر في الريدة الغريبة بين  
التربالي وسعاد بت ود الحسين، شين بتشوف فيهو المقطع؟ سغيل ودغيل وما  
بتراد، سبحان الله حب الناس مذاهب.

أها قمنا وصلنا، الحة مصنصة وما في أي زول حاييم، بس تسمع شقشقة  
عصافير وصوت موية جارية في جدول قريب دافرها لستر من بعيد، جنب البيت  
شجر نيم كثير رامى ضل عجيب ينغس ويرخم بالزول قبلو.

أشربنا لعبد الرحيم من سكات، طوالي زولنا إتحرك مشى على البيت مخمخ  
الهديمات زي الحرامي يدب، لئن وصل شجرة نيم زي خمسة أمتار كده من البيت  
جدع الهديمات في الواطة ورجع جاري، أها قمنا إتضاريننا ورا كتل شجرات كده  
مع بعض، وبقينا نراقب الموقف من حتنا.

مرت زي نص ساعة كده لئن بقينا نحاحي زي الضاربنا جرب، بقت لنا طويلة  
طول ما عادي، بس ما كان في طريقة نتحرك أي حة، يعني الشمار والمقلب ده  
نخليهو لئو؟ أها، بعد النص ساعة البنية فجعتن جات مارقى، أتاها سميحوني  
زي القمر، خفة ورشاقة ووشيا يندي، جات مارقة بسراع زي الخايفة من شي  
وتتلف زي الطيرة.

أها تقوم عينها تقع على الهديمات، فجأة قامت وقفت، حسيت بيها محتارة،  
قعدت تعالين في الهدوم مسافة، باقي لي شبعتها، بس ما عرفت تتصرف، بقت  
تتلف بحذر، الدنيا لسة صانة وما في أتر لأي زول، إتشجعت شوية، جات لحدى  
ما وقفت جنب الهديمات، شكلها عرفتها بتاعت المريود، رفعت العزاقى بحلقت  
فيهو زين، لكنها وقفت مكانها. واضح إنها ما عارفة تتصرف، قلبي أكلني، حتعمل  
شنو؟ ما تقوم تخرب علينا البرنامج ياخ، قمت قرصت الفرد برّاحة:

- إنتظروني هنا..

الدخين عاين لي بخلة:

- عايز تعمل شنو يا مجنون؟..

- ما تخاف، حَاطِبْط ليكم الموضوع..

- كيف؟..

- بس عاين وحتعرف!..

قمت من حتتي كَبَّرت اللَّفَّة بهناك وجيت داقش على البنيَّة، كانت أكبر مني بكم سنة، لكنها ما شاء الله تبارك الله، عيني باردة، فتاة راسو عديل مافي كلام، ومن كم سنة بقت تلبس التوب بعد ما ربَّتلها نهيدات وجسمها إتملا، ده الكلام الكانو بقولوهو نسوان الحِلَّة، مرقوها من المدرسة مخصوص على قولهم لإنها بعد كده بقت زولة عرس تب!.

\*\*\*

لَمَن قَرَّبَتْ منها كان الهوا شاييل مسرَّاتها الخفاف يتلاعب بيهن لعب تحت طرحتها، أنا عارفها الزراعة دي ما قاعدين يخلوها تقرب منها، كانوا مدلَّعنها ومدللنَّها، بقولوا عيازاها محمد ود عمها، وهي ما بتدورو، ومحمد قام زعل من عمو لأنو ما عايز يضغظها ليهو يخليها تعرَّسو، أصلو ود الحسين ده بحب بتو دي حبا كده شديد خلاص، وبريدها جنس ريذة، أصلو ما برضى فيها، ما ظنيتو يقدر يفارقها ولا يجبرها على عرس هي ما عايزاهو.

من شافتني حسيت بيها إتضايقت، وخجلت، قامت رمت العرَّاقِي سريع وعايِزة تقبَّل على بيتهم تزوغ، لكن تاني شكلها غيرت رأيها، تكون شافتها شينة وتبقى زي المجرمة لو أنا وصلت محل هي كانت واقفة ولقيت الهديمات هديمت راجل ومجدِّعات قَدَّام باب بيتهم كمان، بقت منتظرة محتارة تعاين لي لحدِّي ما وصلتها، سلَّمت عليها، وأنا عارف الفرد بكونوا متابعين من بعيد:

- إزيك يا سعاد، أخبارك؟..

- إزيك يا حسين..

- خبارك يا سعاد مجدَّة الهديمات في الواطة، دي بتاعت صديق؟..  
كنت عارف صديق أخوها جنو عراريق، ما بلبس غيرها، تلاقيوهو شغال في الحوَّاشات النهار كلو لا بكل لا بمل.

- ماني خابراها يا حسين، لقيتها واقعة هنا في الواطة..

عملت فيها مستغرب وفي نفس الوقت مهتم، قمت وقفت:

- واقعة؟ كيفن الكلام ده؟..

- والله زي ما قلت ليك ماني خابرة..

- أمممم، مش ممكن تكون بتاعت زول فقدها ومغروض فيها شديد؟..  
شفت عيونها زي برقت، وقامت مطّت شلايفها، وكأني لمحت فيهن قلق، شكلو  
كلامي وقع ليها في جرح:

- طيب ما تشيلها تفتش سيدها يا حسين؟..  
إترجّنتني بصوت منكسر حلو حالة، لكن لو شلتها ما القصّة كلها باظت!..  
- يا ريت يا سعاد، لكن أنا مستعجل مرسلني مرسال ضروري، يلا فتك  
بعافية..

خليتها واقفة في مكانها ومشيت منها سريع عشان ما أديها أي فرصة تفكر،  
وأبيت تاني ما أعاين وراي أشوفها حتتصرف كيف لحدّي ما إتاكدت ما حتقدر  
تشوفني، قمت وقفت بعيد أعاين ليها، لقيتها شالت الهديمات ومشيت على  
الجروف، قلبي رقص جنس رقيص.

أها طبعاً الوكت داك كنت فارقت صحباني، أنا من ناحية وهم من الناحية  
التانية، عارفهم بكونوا متابعين، بقيت أنا متابع سعاد من بعيد، محاذيها من غير  
ما تشوفني، كانت ماشة على إتجاه حواشة ناس عبد الغني البشتغل فيها  
التربالي، مرّات تقوم الحتة تكشف أنتظر لحدّي ما يغطيها الشجر، حتين أقوم  
بعداك أتحركّ بسراع أقطع المسافة بيني وبينها لحدّي ما أصل ضروة شجر  
تانية، زولتنا شايلة الهديمات وماشّة بسراع، فرقة خطاويها صغيروني، حالة  
خطاويها اليتمشيها.

أها قمت أخيراً لمّيت في ناس الدخين وعبد الرحيم، لقيتهم منتشين بالبرنامج،  
متابعين بهمة شديدة ونشاط، عايزين يشوفوا نهاية الفلم ده شنو، وشهم ضاحك  
وشمّتان، أها لمنّ سعاد وصلت الحواشة قعدت تتلفت، مافي أي زول، قامت مشت  
بإتجاه الجروف، هناك الشجر كتير، وأنا شلت هم، حنتابع كيف تاني؟ ما بنقدر  
نتقدّم أي خطوة لقدّام بدون ما ننكشف!

ثبت الدخين وعبد الرحيم بيدي ما يقوموا يتهوروا يتقدّموا أي خطوة، حتّنا  
كانت ساترانا كويس، بقينا نتابع ويدنا في قلبنا ما يفوتنا أي منظر من المقلب.  
البنية قبل ما تصل الشجرات الأخيرة، يقوم التربالي فجأة يجي مارق قدّامها  
ميطي زي ما الله خلقو، نعالو ذاتو ما لابسو، أنا غايتو من حتّتي ما شفت شي  
غير لون زول واحد من فوق لحدوت تحت، اللهم إلا شنبو بس الكان ظاهر معاي  
من بعيد.

بالله البنيّة فكّتلها صرخة، صرخة زي السم، رمت الهديمات وغطت وشيها بيدنيها الإتنين وقبّلت منو لا غادي بقت تجري وتكورك، زولنا ذاتو إتخلع خلعة شديدة خلاص، صرخة البنيّة والمفاجأة خلّتو يرجع لا ورا ويقع على صهرو، وبقي يكابس في الشجر يفتش في السترة، ومن محلّتو ديك يكوركّلها "يا سعاد...يا سعاد"، والبنيّة ولا عليك بيها، تجري وتكورك، تجري وتكورك، تاني بقت تقع وتقوم، تقع وتقوم، وجارية وتبكي!.

أنا من شفت منظر الخلعة في وش التربالي وردة فعل سعاد غلبنني تاني كلو، ضحكت ضحكت بأعلى صوت، والدخين ده فرشها في الواطة عدييل هو عبد الرحيم، رقدوا الإتنين وبقوا يتدردقوا تحتي، صوتنا أكيد كان عالي و واضح، التربالي من محلّتو ما قادر يشوفنا، لكن عرف في أولاد من الحلة دقوا فيهو مقلب، وفضحوهو قدام بنيتو، الليلة لو لم فينا واطاتنا أصبحت، لكن منو البنتظر تاني؟.

أها، ضربت البفر فرو في الواطة ديل بيدني الإتنين بنج، يعني كفاكم، قوماكم سريع نتخارج، هم لسّة بضحكوا وأنا ذاتي لسّة ميت بالضحك، غايّتو قومّتهم بالعافية وبقينا جارين على الحلة والضحك عايز يشرطنا، عيوني دمّعت بالبكا وبقيت جاري ساي ما شايف أي شي، والمنظر نهائي ما عايز يسييني ولا يفوت مني، كل ما أتذكرو أرجع أضحك زي المجنون وأنا لسّة جاري وجاري، أهم شي في اللحظات ديك التربالي ما ينقشنا نحنا منو!.

التربالي المسكين فضيحتو بقت فضيحة بجلجل، كواريك البت لمت فيهو الناس من وين وين، الشايل عصاية، الشايلو عكّاز، لا هو قادر يقول للناس الحصل شنو، ولا البت قادرة تحكي تقول حصل ليها شنو، المهم اليوم داك وكم يوم تاني الحلة لقت ليها موضوع من مافي، بقى ما عندها موضوع ولا ونسة غير بت ناس ود الحسين والتربالي، البت حكّت قصة براها والتربالي عندو قصتو براهو، زول إقتنع بي كلامهم مافي، لأنّو أصلا مافي علاقة بين القصتين، وزول عارف القصّة الحقيقية غيرنا مافي، ونحن طبعاً عملنا رايعين، لا من شاف لا من سمع، لكن الإستلم الموضوع جد، كانت حاجة سكيّنة طبعاً، ألّفت ليها قصة من مافي، حاجة كده بين قصة التربالي والبنيّة، بقت تحكيها بمناسبة ومن غير مناسبة، لّمن بقت هي الرواية المأشاة في الحلة.

أها البت من الموقف داك كرهت ليك التربالي وكرهت سنيّنو، هو ما عندو ذنب أي نعم، لكن الكلام فيها كتر وما قدرت تستحملو، بالذات لّمن شافت زعل أبوها

المّا مقتنع بي كلامها لّمن تقول ليهو والله يا أبوي ما حصل حاجة، ما قادر يصدقها لأنو كل ما يسألها تتزاوغ وما تقدر تحكي ليهو الحصول شنو بالضبط، تحكي كيف إذا كان الموضوع حيكشف علاقتها بالتربالي؟. وعلي العليا تقولو شفتو عريان؟.

أها كمان صديق أخوها قال أصلو ما بخليهو، قال إلا يجعغو، ما حلّ منو التربالي إلا تدخل الأجويد الهدوا الموقف طالما مافي شي باين ولا واضح وقلعو منو السكين، أها التربالي من يومو داك شاكي فينا، بالذات نحنا الثلاثة ديل، وفي الثلاثة شكلو مركز معاي أنا أكثر، كل ما يلاقيني يديني نظرات زي الجمر، لكن غالبو يسألني، يسألني كيف؟ عريان وكمان يتفاح؟ حيران وما عندو دليل، قال بحب قال!.

\*\*\*

التربالي قرب مننا، لقيتو شايلو طوبة في يدو، إستغربت طبعاً، لكن وقفت وسكت ما قلت البغم زيبي وزبي الباقيين، وقف قدّامنا بعين فينا كلنا بغضب، حسيت نظراتو لي بالذات فيها شي مختلف، تحس فيها تار قديم، أصلو ما إتهزيت ليهو، ولا كسرت عيني.

– الجدعني بالطوبة دي منو يا حيوانات؟..

الكلمة الأخيرة دي وجعتني شديد، وشفت فيها عدم إحترام مبالغ فيهو، مش لي نفسي براي، حتى بالنسبة لأتيم ضيفي وصحبي، الزول ده ما إحترمنا ولا إحترم ضيفنا، طوآلي شبيت ليهو أنا:

– أولاً إحترم نفسك، ما تقول علينا حيوانات، تانيا شايفنا قاعدين نلعب بي طوب؟ مافي أي زول فناك ولا جدعك بي طوبة..

ما إشتغل بي كلامي كثير، لقيتو مركز في أّتيم، فجأة وبدون أي مقدّمات نط في أّتيم وخمشو من كتفو، أّتيم قصادو بقى رقيق زي فرع البانة مقلّع عويناتو ومخلوع، أنا ذاتي إتلخت ما مصدّق وما فاهم البحصل.

– إنت يا عبد يا واطي، فانييني بالحجر ليه؟..

وبدون ما يديهو أي فرصة يدافع عن نفسو بقى يكفّت فيهو يمين وشمال، وأّتيم ما قادر يصدو، التربالي كان قوي شديد وعضلاتو مفتولة، وأكبر منو في العمر والحجم، عمرو كلو ماسك الطورية والمنجل. باقي الأولاد خلعة ساي ما قادرين يتصرّفوا مجمدين في حتتهم، الجو إتكهرب شديد، والنفس بقى حار،

والموقف صعب، قمت بدون أي مقدّمات نطيت في رقبتو من ورا عشان أفلك منو أّتيم، الساعة القام لفّ فيها يدينو حولين رقبتو وخمشني من ورا، طيرني فوق في الهوا وجدعني هناك ثلاثة أمتار، رجع تاني خمّش أّتيم وقعد يلّبع ويكفّت فيهو. تاني قمت على حيلي، الأولاد بقوا يجوطوا ويكوركو فيهو يحاولوا يفكو منو أّتيم، وأنا ذاتي بقيت أكورك فيهو، "فكّو.. فكّو"، وهو شغال ينبذ فينا كلنا:

- يا أولاد الكلب، أنا حاربكم..

بقولوا الغضب بمرق منك الصدق غصبا عنك، قمت هجت فيهو:

- تربّي منو يا عريان يا حيران؟ تقول لصحبي أنا عبد يا عبد؟..

الساعة الإّتجمد فيها في مكانو فجأة وقام فكّ أّتيم، قبل على بي وشو وجسمو كلو وعيونو المخيفة ديك وشنبو الكبير داك، حسيت بيهو زول عبيط ومقرّف جدا، عاينت في الشلة لقيت عبد الرحيم والدخين زي الشافو ملك الموت من الخلعة، أصلو ما متخيلني أفّت أخرنا، بعد ده بقت بيني وبينو راس، أصلو سيرة عريان دي نهائي ما زول جابها ليهو قبل كده، لا هو لا سعاد، في اللحظة ديك شكو كلو بقى يقين، معناها أنا الطيرت منو سعاد وهيّجت فيهو ناس الحلة وعملتها ليهو فضيحة في حلتنا والجلال المجاورة كلها.

عارف مافي تكافؤ ولا مقارنة بيني وبينو، لكن كنت مستعد أعمل أي شي عشان صحبي، حتى لو أخلّي التور الأطرش ده يقبل علي أنا وينسأهو هو. وفعلا، في لمحة عين، الزول ده لمّ غضب الدنيا كلو وقشطني بونية، فرد بونية ما زادها، واحدة بس، تاني ما شفت ولا فهمت أي شي، الدنيا كلها كانت ضلّمت قدّام عيوني!

\*\*\*

فتحت عيوني لقيت نفسي راقد مكرفس في عنقريب في البيت، أول زول شفت وشو كان وش أّمي، قمت مخلوع عايز أتحرك، سريع لحقتني ثبتتني من كتفي، سالتها بتتاقل وأنا برجع راسي تاني لا ورا على المخدة:

- أّتيم وين؟..

- يا هوندا جمبك هنا..

إتلفت لقيت أّتيم قاعد جمبي حارسني، وتاكل وشيهو بي يد واحدة وبعاين لي، راسي كان بنتح كلو، هبشت لقيتو ملفوف بي خرقة، نخرتي كانت واجعاني وجع شديد خلاص، ما قدرت أهبشها:

- أتيتم!..
- أيوة يا حسو..
- نخرتي إتكسرت؟..
- دنقر راسو متحسس ورد بصوت واطي:
- أظن كده..
- غضبت اللحظة ديك غضب شديد، إتذكّرت كل التفاصيل دفعة واحدة:
- الله يأذاهو الفقر، أمي!..
- أيوة يا ولدي..
- الكواريك الفي الديوان دي شنو؟..
- ديل ناس أبوك وخالك وأعمامك ناس الحلة..
- مالهم؟..
- قاعدين مع محمد أحمد في الديوان..
- التربالي قاعد في ديواننا؟..
- وطوّالي قمت على حيلي.
- أقعد يا ولد روق، راسك لسّة بكون لافي..
- لا والله يا أمّي ما أقعد إلا أمشي ليهم..
- قدر ما أمّي حاولت معاي أبييت ليها، بقت تقول لأتيتم أقنعو يقعد، لكن أتيتم  
ذاتو ما قدر يقنعني، لما في النهاية قنعوا مني، قامت أمّي أشّرت ليهو يساعدني  
أقوم من العنقريب، راسي كان فعلا لافي، بس نهائي ما حأستسلم ليهو، ومن  
دربي على الديوان.
- لمن قرّبت من الديوان، أصوات الرجال بقت لي واضحة، سامعهم عاصرين  
التربالي عصر شديد، واقعين فيهو لوم عدوك، إتلفت وراي لقيت أمي إستسلمت  
ومشت على التكل، طوّالي إتفكيت من أتيتم وإنزغمت في أوضت أبوي، مشيت  
جرّيت عصايتو من تحت السرير، أتيتم لما شاف العصاية إتجرّس، وبقي يحاحي  
فيني.
- أتيتم أبعد مني الله يهديك، والله بخسرك!.
- حاول معاي، لما شافني جادي وما بنهبش، قنع، فتح لي الدرب وزح من  
طريقي، دخلت الديوان كاري عصايتي وأتيتم وراي، لقيت الديوان مدفوس لعين



أمو، التقول الحِلَّة كلها إتكسرت فينا، أول ما دخلت الناس دي كلها قعدت تعالين لي.

أصلو ديوانًا حتى في نص النهار بكون شبه مضلم، أها كمان لمن يجي زول داخل بالباب كده بيوظ الشغلانية نهائي لحدّي ما يمر، في اللحظة الدخلت فيها الأمة دي طبعا كلها قعدت تعالين الجاي منو.

كنت متخيّل أول ما أخش حاشوف التربالي في وشي عدل، وأقوم سريع أتناولو بعصايتي دي أخذ بتاري وتار أتيتم صاحبي وأجيب خبرو، لكن كتره الناس وراسي اللافّي والديوان الشبه مضلم جهجهوني، بقيت أفتش عليهو وسط الناس بصعوبة، شايف أولاد الحِلَّة الكانو بلعبوا معانا كلهم قاعدين بما فيهم الدخين وعبد الرحيم، وشلة من أعمامك الكبار فيهم ناس لسة ما لاقيتهم ولا سلمت عليهم مما جيت.

أول ما شافوني شايل عصايتي ما شهّدوني، زول أداني فرقة ولا فرصة أتصرّف ولا أمشي خطوة واحدة لقدّام مافي، كلهم هبّوا فيني وثبتوني قبل ما أتحرك وقلعوا مني عصايتي بالقوة، الوكت ده كلو وأنا ما شايف التربالي لسة، وأعمامك الكبار في الحِلَّة بحاولوا يهدّوا فيني:

"يا زول حمد الله على السلامة أول حاجة".

"كدي ألعن شيطانك يا ولد".

"إستهدي بالله".

أكثر صوت قدرت أميزو بوضوح كان صوت أبوي:

- كدي يا جماعة خلاص أهدوا، خلونا نسمع القصّة من حسين..

بعد ما الناس هدأت وكل زول رجع حتتو، بقيت واقف براي وأتيتم من وراي أعاين في الناس، يادابي شفت المسخوت القشطني بنية، كمان متوهضلو في سرير من سراير ديوانًا، ما عارف الناس ديل حكوا شنو ولا وصلوا لشنو.

- تعال أقعد هنا يا حسين..

إتلفت على الصوت لقيتو صديق أخو سعاد، معقولة؟ يعني الليلة الحِلَّة كلها متلمية عندنا؟ أعداء، على أصدقاء؟ الليلة إلا أقوم بيك يا التربالي، وحتشوف براك! قمت عاينت لصديق قو، وعاينت للتربالي قو، عايزو يفهم الليلة دي، قلة أدبو إلا أوصلها حدها، إتلفت وراي على أتيتم:

- تعال يا أتيتم أقعد معاي!..

بديت أحكي، حكيت كل الحصل زي ما هو لا زيادة ولا نقصان، كانوا بقاطعوني كثير في تفاصيل صغيرة صغيرة، وكل ما زول يقطعني الباقي يهيجوا فيهو عشان يسكت، قمت بعداك بزعل كده قلت ليهم بدون أي سبب يجي نايطي في أتييم صاحبي؟ قام هنا التريالي إتحمق ورد بنفس حار:

- بدون أي سبب كيف يعني؟ تفلّقوني بالحجار وتقولوا لي بدون سبب؟..  
طوّالي شايت طرف السرير:

- يا زول ما تتبلى فينا، زول رماك فينا بي حجر مافي، بعدين ده كلو كوم، الكوم الثاني تقول لصحبي يا عبد؟..  
الأمة دي كلها سنت، زول قال بغم مافي، الظاهر أول مرّة يسمعو الكلام ده، أتييم سكت ساي، التريالي طوّالي دقنر في الواطة، بعد مسافة واحد من أعمامنا الكبار إسمو طيفور كسر حاجز الصمت بصوت واضح وجهوري:  
- لا طبعا ما صاح!..

لقيتها فرصة، أنا بقيت في موقف هجوم، والتريالي منكسر:  
- يقول ليهو يا عبد يا واطي؟، ويضرب فيهو ضرب أذية قدر ده ليه؟ عمل ليهو شنو أصلو؟ ما بقول الزول ده ضيفنا، أو غريب علينا؟..  
طيفور لقي نفسو هو البدا الكلام وبقي موجه ليهو ولازم يرد:  
- لا والله ما صاح منو نهائي يا حسين يا ولدي، لكن برضو عايزين نعرف الجدع الحجر في محمد أحمد منو؟..

أنا لحدّي اللحظة دي ما عارف إذا في حجر إجدع فيهو أصلا ولا لأ، لكن إذا فعلا في زول جدع في التريالي حجر أنا برضي كنت عايز أعرف، بس متأكد مية مية ما أتييم، ولا الحركات دي شبهو.

قام التريالي إتشجّع هنا وعازي يداري خيبتو:  
- والله يا طيفور زي ما قلت ليكم، أنا في شغلي في زول فيهم فلقتني بالحجر..

قمت أنا قاطعتو في الكلام:  
- أتييم صاحبي ده أنا بعرفو أكثر واحد فيكم كلكم، مستحيل يعمل ليهو عملية زي دي..

قام طيفور دخل ثاني في الكلام:

- طيب منو يا حسين؟..

بقيت أعين محتار في باقي أولاد الحِلَّة الكانو معانا، قمت إندكرت، في زول واحد كان ما ياهو، معقولة؟ ممكن يكون الدخين؟ الزول ده بالذات حركاتو ما كانت مضبوطة مما شاف أتيتم، لمعت في راسي فكرة، بدل ما أسألهم هم قمت سألت التربالي:

- إنت يا محمد أحمد الخلاك تمسك في أتيتم من دون الناس دي كلها شنو؟..

عين لي بتركيز زي العايز يعرف أنا بفكر في شنو، أو يعرف حسبتها كيف، قبل ما يرد ردو الصادم:

- أشّر لي عليهو الدخين!..

الصالون بقى كلو يههمهم، وأنا بقيت أعمى من الغضب، وراسي لفّ، ما قدرت أقوم، كان نفسي أقوم على الدخين أدبو قبلو وأخذ حقي وحق صاحبي منو، هو ذاتو غلبو الليقولو والناس بقت تعين ليهو نظرة دهشة وإستنكار، عرفوا هو الجدع الحجر فتنة، أبوهو وأخوهو الكبير كانوا قاعدين معانا في الصالون لكن غلبهم يتحمّلوا وبقوا يتململوا، كنت مدنقر من الدوشة والغضب، رغم كده وأنا لسة مدنقر في الأرض بديت أنضم:

- أमرق برّة بيتنا يا الدخين..

لكن صوتي كان مرهق وواطي شديد، ونفسي القايم بالزعل ما قدر يطلع واضح ولا مسموع زي الناس، وجوطة الناس في الديوان طمست على قدر الطلع منو، الوحيد الكان ملاحظ لي وسمعتني هو أتيتم، خت يدو في ضهرى عايز يخفف عني:

- برّاحة يا حسين، الموضوع ما يستاهل..

رديت عليهو بنفس صوتي المرهق والتعبان:

- ما يستاهل كيف؟.. ده زول واطي وحقير..

وقمت رفعت راسي وقبّلت عليهو وبأعلى صوت عندي:

- أطلع برّة من بيتنا يا حقير، أطلع برّة!..

بدون ما يقول أي كلمة، طوّالي بقى مارق، طلّعوا معاهو إثنين من أولاد الحِلَّة، وراهم طوّالي أبوهو وأخوهو، قاموا على حيلهم ومرقوا، بقى الصالون كلو همهمات..

"لا حول ولا قوة إلا بالله".

"بالله شوفوا الولد عمل شنو؟".

"ياخي ده أخرج أبوهو وأخوهو قدام ناس الحلة كلهم".

أجمل زول في القعدة دي كلها كان الوكت كلو متابع لكن بصمت، وكنت شايفو بس ما كنت قادر أكلّمو في اللحظات ديك، وفي نفس الوكت ما عايزو هسي، عايزو بعيدين بعد نخلص من كل الحاصل ده، اللي هو خالي عبدالقادر، لكتو في النهاية قام براهو إتكلم بعد الناس مرقت:

- في حاجة عايز أفهمها يا محمد أحمد!..

الناس كلها سكنت وإتلفتت عليهو منتبهة، كان بيتكلم بصوت هاديء ورزين، وناس الحلة ديل كلهم بحترمموه إحترام كبير ويقدرّوهو، زول فاهم ومتعلّم وتعاملو حلو مع كل الناس بدون فرز:

- ضربت أتيّم كقوف وشلايت وهي في حد ذاتها ما مقبولة، لكن ما أديتو، طيب البخليك تأذي حسين قدر ده شنو؟ عشان كان بدافع عن صحبو مثلاً؟..

\*\*\*

يا أخوانا خالي ده فردة، موية نار، عسل عديل، دردق لي الموضوع من غير ما يقصد، لّٰن أنا إبتسمت رغم ألمي وغضبي الكان لأمي فيني قبل شويّة وماليني حد الانفجار، عاينت للتربالي بغل وتشفّي، لقيت عيونو جاحظة ووشو يلعن قفاهو، بعين لي بخوف وقلق، ما باقي ليهو إلا يجي بيبوس رجولي.

من شدة ما إتكيّفت لّٰن إستعدلت في قعدتي ونسيت ليك الألم ذاتو، عبد الرحيم كان قاعد هناك مضلين وكاتل حيلو يعاين لي من بعيد نظرات زول نفسو الأرض تبلعو في اللحظات ديك، أديتو نظرة ما فيها أي معني، لو فهم منها حاجة حتكون "تابعني بس"، من موقف الدخين شكلو بقى مهزوز وما فاهم الحاصل شنو ذاتو، وقعدتو بقت زي تمامة العدد، أما أتيّم فكان محترم نفسو تماماً، غارق في صمتو، صمت الضيف لما يكون غريب عن الناس.

لكن محمد أحمد التربالي مجبور يرد على السؤال، مسكين ما عارف يبدأ من وين ولا يرد يقول شنو، بس المرّة دي كان برد وهو مدنقر، أبى يعاين لي في عيوني نهائي، رغم إنو خالي أداهو قشة أتيّم يمسه فيها، وكان ممكن يبدأ يدافع عن نفسو من الحة بتاعت "بدافع عن صحبو"، لكن كان متوتر ومجهجه، بقى شابك ليك الناس:

- "والله، وفي الحقيقة، وأنا..."..

أنا عارف كيسو فاضي، الكلام في الراجينو يرد ديل! قمت عاينت في القاعدين كلهم، نظرة كده بتاعت زول متاني ومالي راسو و وزن زمنو كويس، أصلو ما مستعجل، إتفرست فيهم واحد واحد، وقفت عند صديق ود الحسين، كان بتابع بحياد تام، واضح إنو جاي مع الأجاويد، أها لمن يلقى الموضوع الزمان داك لا مات لا إتنسى، يا ربي حيعمل شنو؟ البلد دي أهلها كريمين ومتسامحين لدرجة العبط أحيانا، الغنماية تاكل عشاهم، لكن أبدا ما تغلط تهبشهم في شرفهم ولا كرامتهم مهما يكون، دي حتات ممكن يكتلوا فيها.

لن التريالي كترها، بقى يخش ليهم من هنا ويطلع ليهم من هنا بدون شي مفيد، طوالي قاطعتو وإستلمت منو الموضوع بدون ما أديهو أي فرصة يعترض، وكانت مقاطعتي في شكل سؤال:

- يعني هسي إنت سألوك سؤال واضح، غالبك ترد عليهو بصورة واضحة؟..  
قام عاين لي نظرة فار مزنوق، زانقاهو كديسة جعانة في زقاق ضيق، نظرة سريعة وطوالي كسر عينو تاني ودنقر راسو:

- رديت على السؤال، كنت بقول، أد ..

والله الإنكسار في الرجال قبيح وشين شناة مرة، أهون منو تركب راسك حتى في الغلط ولا يبقى عليك منظر التريالي، وأهون من كل ده إنو ما تتحط لدرجة توصلك المراحل دي، هو الراجل يفضل فيهو شنو غير أخلاق وهيبة؟ طيب بدل ده كلو ما تبقى شجاع وتعلن إعتذارك قدام الناس بدل الجبن البتكون فيهو ده؟ الشجاعة دي إلا حراة؟ صدق القال الرجال مواقف، والتريالي ده موقف بص ما بقیف جمبو تاني! قمت سريع قاطعتو:

- تقول شنو ياخ؟ إنت لا حتقول ولا شيتين، خليني أقول أنا الحقيقة!..  
الناس كانت مندهشة للحوار ومركزة معاي، حاسة إنو الكلام وراهو كلام، أكثر زول حسيت بيهو كان مندهش هو أبوي، أكيد هسي بقول في نفسو الزول اللديح وبتقاصح ده ما شبه ولادي البعرفو من زمان! أكيد ده حيكون تفكيرو في اللحظات دي، بس هو تفكير إيجابي بالنسبة ليهو ولا سلبي دي ما بقدر أحدها، وما عايز أحدها هسي، حأخليهو يحكم على حكم كامل، لكن بعد ما أنتهي من العايز أقولو والعايز أعملو.

بحمد ليهو إنو نهائي ما قاطعني لحدّي اللحظة، لا في بداية كلامي ولا حتى بعد ما وصلت للنقطة الحساسة دي.

محمد أحمد التريالي بقى صغيروني في اللحظات ديك، بالله الزول الكان يهز ويلز وشنبو ده نهائي ما بدنقر بيهو على الواطة دي إلا يكون شغال، بقى قدر السمسة قدامي، وأصلو ما جا على بالي إني أرحمو نهائي، العملية العملها فيني وفي صحبي أصلو لا يمكن تمر مرور الكرام بدون ما أعاقبو عليها، وبطريقتي كمان، أصلها كانت إساءة كبيرة لي ولأهلي وبالذات لأتيم صحبي، وأتيم لازم يعرف إنو طالما هو معاي وفي ضيافتي، ما بس حقو علينا ضيافتو وإكرامو وبس، شرفو كمان فوق عينا وعلى راسنا.

- أبوي، أعمامي، ناس الحلة، خالي وأصحابي. كلكم مكانتك عالية عندي ومقاماتكم فوق راسي ده، والله بحترمكم أكثر مما تتصوروا، وزى ما قال ليكم خالي، وزى ما إنتو شايفين وحصل معاي بالضبط، التريالي ده!..  
وقمت أشرت عليهو بإحتقار:

- أيوة ده! قصد يأذيني أكثر من وجعتو على الحجر الفنوهو فيهو، لسبب حتعرفوهو بعد شوية!..  
التريالي ساكت ساي صامت ومدنقر في واطاتو، الباقي بقوا يهتمهموا بنفس واحد:

"ليه؟"،

"هو في شنو؟"،

"السبب شنو؟".

وأنا قاصد أصن، وأدي الناس فرصة تقلب الكلام في راسها، وتهولوا زي ما هي عايضة، ستشعر حجمو، وفداحة الجاي في الكلام، تسبقني عليهو بالتوقعات، أصلو كل ما كبير، كل ما كانت ورطتو أكبر:  
- بصراحة؟..

قمت أديتها صنة تاني ، حسيت الناس دي خلاص، ضاقت، بقت زي البتقلب في صاج، والتريالي بقى يتهوزز كلو بتوتر ظاهر رغم إنو محاول يتجالد ويعمل فيها صنديد وما هاميهو، الناس كانت خلاص ضاقت:  
"أيوه قول!".

\*\*\*

بدت أحكي لهم قصتنا من أولها مع التريالي، وزولي لسة مدنقر راسو في الواطة، وتوترو وصل القمة، وهزة كرعينو بقت ظاهرة، أتيتم كان أول مرة يسمع القصة دي زيّ وزى الباقيين، بس متابع ساي ولسة في صمتو. عارف في حتة في القصة حتجيب لي الهوا، هي الحة الغشيت فيها سعاد عشان تشيل هدمو المعفن وتمشي عليهو تجاه البحر، بس ما كانت فارقة معاي، وفي إحتمال كمان حتى لو نسبو صغيرة إننا نمرق منها بدون عقاب، لأننا كنا صغار وأشقياء.

كنت بعاين في وشوش الناس وأنا بحكي، قاعدين يسمعو مذهولين للقصة، إلا في زول واحد بس، اللي هو صديق، كان خلاص، غلبو يتحمل أكثر، فاض بيهو، طول السنين دي كانوا فاكرين محمد أحمد التريالي شاغل سعاد ولا قال ليها كلمة بذينة أو حتى إتصرف معاها تصرف ما لائق وبس، بالتالي سعاد خجلت تقول أو تتكلم، لكن أصلو ما خطر في بالهم يوم من الأيام إنو يكونوا على علاقة مع بعض، أو التريالي يتجراً ويقرب منها، ويدغدغ مشاعرها، وينتهك خصوصياتهم بالطريقة دي، بالأخص بعد المشاكل القديمة بيناتهم، وطردهم ليهو وإنذارو ما يقرب من بيتهم أو أراضيهم، ناهيك عن بتهم وحيدتهم!. ياهو نفس ظنيّ الزمان، أصلو ما كنت شايف في شئ ممكن يلم سعاد بالجهلول ده.

تاني شئ، الموقف الحصل جنب البحر كان عار كبير خلاص في نظرهم، إتجاهلوا في اللحظة ديك زولنا غلطان ولا ما غلطان، أها، أنا هنا سلّمت البيرك وقعدت فزاجة، آخر حاجة عملتها، عاينت لخالي وإبتسمت، ما إتفاعل معاي لا سلبا لا إيجابا.

عصايتي القبيل ديك، كانت مشت وين ولا الشالها منو ما عارف، فجأة لقيتها في يد صديق، عارف صديق متهور، ورغم كده إتفاجأت بسرعة رد فعلو، حس إنو كرامتو إتهدرت قدام ناس الحلة كلهم لمن عرف إنو أختو شافت ليها راجل عريان، لأ وكمان العريان ده عامل فيها بحبها، هي سعاد ذاتها هسي وين بالضبط ما كنت عارف، لكن يخيل لي زي السمعت إنها سافرت مناسبة برة الحلة، المسكينة قالوا لسة ما إتزوجت، و ود عمها محمد شكلو قنع منها وهج الخرطوم وإتزوج واحدة قريبتو هناك شغالة معلّمة في مدرسة أساس وإستقروا في أمبدة بأمدرمان.

المهم، الصالون ولّع، الرجال قاموا يحجزوا، هاجوا وماجو، وأنا زي الفي عالم تاني وبشاهد لي في فلم، ما إتحرّكت أصلو من حنتي نهائي، وصديق أصلو ما عايز يهدأ، وكلهم ما قادرين يحوشوهو، قمت برّاحة مسكت أتيتم من يدو وطلعت

بيهو برّة الصالون، عاينت ليهو لقيت وشيهو خالي تعابير إلا من كل إندهاش الدنيا، شكلو مندهش من كل الحصل على بعضو، رغم إنو ما شكلو عندو أي رغبة يعلّق، لكن أصلو لو حكوا ليهو ما ظنيتو كان حيكون زي طعم التجربة الحية قدّام عيونو، ما ظنيتو في حياتو مرّ عليه موقف مشابه، الإشلاق بكل صخبها وضجيجها، وبرغم تعقيدات الحياة في الخرطوم، لكن قدرت تخلق ليها حياة قائمة بتقرّد، منزوية ومنطوية على ذاتها، حياة تجمع أشتات ناس من مختلف بقاع السودان جمع بيناتهم شغل الحكومة، لكن خلق وحدة مجتمع متماسك أقرب لأسرة واحدة كبيرة، لدرجة إنني أول ما خشيت الإشلاق قدرت بسهولة أخش كل البيوت، لأنّها ما بس كانت بتتشابه في شكل البنا من برّة، لأنّو التشابه كان من جوة ومن برّة!. إتعرفت على الجاي من الشمالية، ومن الشرق، ومن الغرب، ومن الجنوب وحتى من الوسط. قضيت ساعات طويلة وأنا أستمع للقصاص والحكاوي عن كل بقاع السودان. عن العادات والتقاليد وهي بتنصهر في مساحة صغيرة إسمها الإشلاق!.

لما رجعنا قعدنا في الراكوبة قدّام التكل، كنا لسة سامعين أصوات الجوطة والكواريك في الصالون، والناس بدت تتسلسل شويّة شويّة تتخارج، بعد شويّة جانا خالي، يا دوب قدرت أنشرح وأسلم عليهو سلام حار، كنت مشتاق ليهو جد، طوّلت منو، من ذوقو ثاني ما جاب سيرة الحاصل، أتونسنا وإندمجنا لحدّي ما نسينا المشكلة ذاتها، شويتين كان البيت فضي، بقينا قاعدين في نص دايرة فيها أنا وأتيم وخالي وأمي وأبوي وبس.

عبدالقادر ساقنى أنا وأتيم بعربيتو المسا مشينا للحكيم، المفاجأة السارة والمفرحة إنو نخرتي طلعت ما مكسورة، اليوم الثاني طوّالي أقنعت أمي وأبوي يخلّونا نمشي مع خالي عبدالقادر مزرعتو نقعد فيها معاهو يومين نغير جو ونرجع. ما إترددوا، بالذات مع المشكلة الكانت حصلت، حسّوا إننا محتاجين للتغيير فعلا، كنا فرحانين أنا وأتيم بالمشوار، مزرعة عبدالقادر خالي كانت بتستاهل، بعيدة شويّة من الحلة ما بتتمشي إلا بعربية، لكن مهياة كويس وهو ذاتو ساكن فيها بأولادو وعاملها مزرعة مختلطة بطريقة علمية مختلفة خالص عن مزارع الحلة التقليدية.

\*\*\*



إبيك، مرت كم سنة من آخر مرة شفت فيها مزرعة خالي؟ باين علي طوَّلت شديد لأنها إتغيرت كثير، خالي أصلو ما من النوع البقعد ساي، كل مرة والثانية بكون عندو فكرة جديدة ومشروع جديد، ده السبب الكان بخليهو يجي الخرطوم كثير أحيانا، ويخليني ألقيهو في جياتو كلها هناك، قام أدانا أنا وأتيم غرفة كبيرة وحلوة.

المساحات في المزرعة بتخليك تاخذ فيها راحتك تماما، مافي سبب واحد يخليك تضيقها على روحك، غرفتنا كانت مطرّفة وشبه منفصلة، فاتحة على الحوش وفي حمام خارجي قريب منها، مفروشة فرش بسيط لكنو أنيق، وألوانو هادئة ومريحة للأعصاب، شكلها معمولة على أساس إنو الزول يغير فيها جو ويهدي أعصابو.

طوال اليوم بتجيك أصوات الحيوانات حتى وكث النوم، ممكن الزول يتعب في الأيام الأولي لكن بعداك بتعود عليها شويّة شويّة، غاييتو أتيم ضحكني، كل مرة يسمع ليهو صوت يقوم ناطي، كنا نصحى يوميا الصباح بدري نبرمج مع خالي ونساعدو في المزرعة، عندو عمّال كتار لكن بحب يشرف على الشغل بنفسو، وهو ذاتو كان بخش يشتغل كنوع من الرياضة، يلا، نحنا وانا إيه؟ الزراعة جربناها ما نجرب تربية الحيوانات؟.

مع العصريّات كنا بنتفكفك من المزرعة وندقش على البحر، نقعد قبلنا لحدّي ما نحضر الغروب حتين نجى راجعين، قضينا وكث جميل جدا في المزرعة، بدل يومين، لقينا نفسنا جريّناها خمسة أيام، بعداك كان لازم نرجع عشان كمان أدي الحاج والحجّة شويّة أيام قبل ما نغادر للخرطوم.

لما أخيرا رجعنا الخرطوم، حسيت كأني لي منها سنة ما بس كم يوم وبالعهد كمان، وقعت في أولاد عمّي بوس وأحضان وهم مندهشين من تصرفي جنس إندهاش، حتى عمّتي وعمّي ما سلموا من أشواقني، أصلو ما قلت ليهم البغم، وما متعودين أمشي البلد وأرجع ليهم كده.

زمان كان عادي، يعني شنو مشيت البلد وجيت؟ الزول بكون على العكس، جاي متحسر إنو فارق البلد وناس البلد وطيبة البلد وهوا البلد، هم ما عارفين ساي الحصل لي وراهم، الشئ الدخلي من المشية دي، ما ظنيتو يطلع منّي بالساهل، حاجة إتوغّرت وإتحرّكت جوّة القلب، وإتحبست في الصدر، في تجارب كثيرة مرت في حياتي، أكثرها بقاء ولصيق بي وما بتمحى من الذاكرة، هي الكان

إرتبطت بمؤثر عاطفي، تلقى الطعم في الذاكرة تجربة حيّة صعب يتنسي، حتى لو كانت مرّة زي الحنضل.

- إنت مالك يا حسين؟..

سؤال بقيت معتاد عليه، بالذات من سوما، بس ما إكتسبت خبرة كافية في كيف أتفاداهو، ربما بسبب طبيعتي، ما إتعودت أدس، ما إتعودت أخفي، بكون دايمًا على سجيتي، عشان كده بتفضح بسهولة، بنكشف من أول لحظة، الكل ملاحظ في تغيير طرأ على حسين، حسّو، أيا كان الاسم البيحلو ليهم، وأنا أول زول بأمّن على كلامهم، لأنّي لأول مرة بقيت أقيف، أفكر في الأول، التفكير يلزمك أحيانًا السكون، وهو عكس الحركة الإتعودوها مني، الحركة والشغب كانت هي السمة المعتادة بكل أشكالها من حسين، أما الهدوء والرزانة والسكون والدعة، ضيفوا عليها التفكير، بشوفوها صفات ما بتشبه حسين، نوع من نواقض الطبيعة، شيء غلط ولابد من تقصّيه، والكل عايز يمد ليك يد ويساعد، في لحظات إنت ما بتكون محتاج فيها لأي مساعدة، كل المحتاج ليهو هو مساحة، براح، عايز تقعد مع نفسك، تراجع حاجاتك، حساباتك، يمكن يكون الوقت المناسب إنك تقيف وتسال روحك، إنت منو؟ وعايز شنو؟ وتلقاها وين؟.

\*\*\*



## الجزء الثالث

- يا حسّو قوم..
- في شنو يا عبدو ياخ؟ حرام عليك، مالك؟..
- قوم ياخ خيلنا نمرق نلحق الجامعة..
- ياخي الجامعة جارية منك؟ ما ملحوقة ياخ مالك مستعجل؟..
- ياخي عشان نلحق نكمّل إجراءاتنا..
- قمت فتحت عيوني بصعوبة وبتكاسل شديد:
- عاين يا سجم، عليك الله سيب الكبكة بتاعتك دي، إنت خشيت جامعة ياخ
- ما سنة رابعة ثانوي، حاضر؟ يعرفوك برلوم(17) كيف يا فضحية؟..
- صليبك يا حسّو، بقيت نقناق ومنظراتي!..
- قام ضربني بمسند المقعد وشتت، لكن كان خلاص طيّر النوم من عيوني
- الكرور، إضطريت أقوم قنعان وأتوكّل أستاذ للجامعة، كنا بدينا إجراءات تسجيلنا
- في جامعة الخرطوم سوا، أنا قبلوني في مدرسة العلوم الإدارية وعبدو في علوم،
- الإثنين في سنتر الجامعة، بالنسبة لعبدو كانت حلم لازم يحققو، سعى ليهو
- بيدينو وكرعينو، قمة طموحو إنو يدخل كلية كويّسة بإختيارو في المنارة دي زي ما
- كان بقول عليها وبسميها.
- أما بالنسبة لي، فالمسألة كانت مختلفة خالص، حاجة كده زي مفترق طرق،
- وسؤال قديم جديد يطفح في كل مرة وما لقي ليهو إجابة لسة، سؤال متعلق
- بالهدف، الهدف من الحياة كلها مش في هوامشها أو جزئياتها وبس، سؤال
- مؤرق لأبعد حد، وباعث على القلق، ومناهة لا بداية ليها ولا نهاية، كتير تنوم بيهو
- وتقوم عليهو.
- والمشكلة الأكبر إنو في أثناء بحثك عن إجابة، مضطر تبهر مع تيار الحياة،
- ما عارف تتخذ قرارك كيف ومتين، هل تواصل في إبحارك ولا تقيف؟ هل وصلت
- لقناعة ولا لسة؟ هل قرارك ده هو ذاتو صاح ولا حيحي يوم تندم عليهو؟ نوعية من

الأسئلة مرات صعب تلقى ليها إجابة، سواء فكرت فيها براك ولا بصوت عالي حتى مع أقرب أصدقائك!.

كل الحصل إنو نجحت نجاح كويس مؤهل، وفي الخيارات القدامي عجبتني الكلية دي، ما بالضرورة تكون هي الغاية وما بالضرورة برضو يكون عندي غاية تانية غيرها، كل الحصل إنو بدخلها مرتاح، إختيار من شاكلة مافي مشكلة! الناس مبسوسة بنجاحك وبدخولك الجامعة وخلص.

لكن في قرارة نفسي شايف دي مجرد محطة، وأنا في نص تيار، تيار سايقني بلا إرادة، مرات أفكر أعترض إتجاهو وأسبح عكسو، ومرات أهادن نفسي وأسبح معاهو بإستسلام، إذا كانت في أي سلوى في الموضوع ككل، كان يكفيني إنها جامعة الخرطوم، فما عبدو براهو المعجب بيها، الجامعة دي فيها غموض جاذب نوعا ما رغما عني، والغموض شي محبب في نفسي، يمكن لحدّي ما أقدر يوم أفك طلاسّم أسئلتني وأحل مشكلتي العويصة!.

- سلام يا شباب!..

"وعليكم السلام".

تقريبا أولاد الجامعة القاعدين في كلنك الجامعة كلهم ردّوا مع بعض بصوت واحد، كل زول بطريقتو، فيهم الردّ وقبّل علي، وفيهم الردّ ولا كلف نفسو حتى يعاين لي، كلهم ملمومين قدام باب المعاينة الطبية ومتتشنين مع الباب، البتوت نهائي ما عبّروني، ما عارف دي تقلة منهم ولا الفهم شنو؟ أنا ذاتي قررت أمسحهم وما أشتغل بيهم:

- أها يا جماعة، الجديد شنو؟..

واحد من الجماعة حب يتظارف:

- الجديد شديد!..

ده ما إشتغلت بيهو، ده ما زولي، ده بكون بخفف في دمّو عشان الجكس الجمبو، واحد تاني إتبرع يرد، أو بالأصح إتبرع ينقنق:

- ياخي ديل بطيئين خلاص كرّهونا!..

وزي الفتح باب الزهج للناس، الباقيين كلهم بقوا ينقنقوا برضو، ده أكيد زولي تب، جاب لي المختصر المفيد، أنا شخصيا ما فارقة معاي، يخلصوا وكت ما يخلصوا، لمن تخف الزحمة بجيهم راجع، أما وقفة زي دي فما بكضب على

نفسى، ما عندي ليها أي أخلاق ولا بقدر عليها، أها طيب يا حسين، البرنامج شنو؟.

\*\*\*

هو في غيرو؟ نقوم نمشي ندقش على شارع المين(18)، أشهر شارع في سنتر الجامعة، عبارة عن شارع أسفلتي ضيق من بداية البوابة الرئيسية ولحدّي ما ينتهي في مكتبة المين، المكتبة الرئيسية للجامعة، شارع فيهو ضل عجيب، أشجار مهوقني ضخمة كبيرة ومعمّرة بالسنوات الطويلة، ونيم ضخم كثيف برضو وما هين، المجموعات دي كلّها متشابكة في بعضها وعاملة ضل ما شفت زيو نهائي، وعلى طول شارع المين المرصوف في بنشات جلوس أسمنتية، تلقى الناس متجدّعة فيها وواقعين خلط تقيل.

والمين مع بداية القبول للجامعة وإستيعاب الطلاب لحدّي مواعيد بداية الدراسة ببقى زي شارع غير معلن لعرض الأزياء، عرض صامت، البنوت ديل بمارسن فيهو هواية التقنن في اللبس، والتفنن في المكياج، والتبختر في المشي، منو يلهلن قلوب الأولاد المساكين، ومنو ينافسن بعضن، الكرنفال ده كان مريح معاي، بحب أتجدّع لي في بنش معيّن من بنشات المين المقبلة غربا، وأتفرّج في المهرجان ده، أصلو مافي موضوع لحدّي ما نخلص من حكاية التسجيل دي ونبدأ قراية، لما أقعد في البنش البرتاح فيهو، بتكون الكلية المفترض أقرأ فيها ورا ضهري على طول.

أها جيت كالعادة أفتش للبنش بتاعي، هي الصراحة مسألة بتاعت حظ، الجامعة كل يوم مليانة لعين أمها، ونادرا ما ألقى خانتني فاضية، لما البنش يكون مليون بمر طوالي ما بقنب في أي مكان تاني في طول المين وعرضو، أها فعلا لقيت البنش مليون، طوالي مريت، أول مكان خطر على بالي أمشي هو كان كافيتيريا علوم، أمشي أفتش على فردتي الود عبدو.

عبدو الككابة كان زمان خلص الكشف الطبي، وراجع مكتب المسجل كمان، باقي بس على تسديد الرسوم، وإستغل باقي الأيام في الشرشحة، باعني زي الما حصل شي، أول ما وصلت الكافيتيريا لقيتها مليانة وفايرة بالناس، شلت هم، هسي الكرور ده ألم فيهو وين؟ في داعي هسي يمشي براهو الجامعة ويفوتني؟، الشفقة العليهو شنو؟ ما ينتظرني ياخ!

لقيت لقيت لمن زهجت، الود بس فص ملح وذاب، لكن ما يذوب كيفن؟ الجامعة فايرة بشر كميات، أنا متأكد الكافيتيريا دي ما بفوتها، لكنو كان صاحب ليهو

نفرين جداد من علوم إتعرّف عليهم في الكلينك، ومن يوم عتبنا الجامعة ما بيعرف غير الكلك وعولوم وكافتيريا علوم وبس، مش عبدو ده؟ بعرفو كويس، أصلو ما زول مجازفات، لو قالوا ليهو أرح نكتشف كلية جديدة إسمها إقتصاد تكلة بي جاي ما بمشيها. طيب في الأندر لاب مافي، شقيت بيه يكون وين؟ قلت خلاص يكون الأولاد الجداد ديل شفوت وبدوا يلفوا بيهو، قنعت ألم فيهو وشلتو من راسي.

أها بقيت خالي وفاض زي ما بقولو، أمشي على وين؟ أقبل على وين؟ راسي ده ما أداني أي إقتراح مفيد، قلت خلاص، يلا، ألف السنتر ما دام مافي موضوع، أها بقيت لافي السنتر كلية كلية، شارع شارع، ميدان ميدان، زي كلب الحر، داقش بدون هدف، من حطة لحطة، الناس دي كلها مبسوبة وتضحك، يا شلة أقلاها إثنين إثنين، إلا أنا، ياني براي ماشي منفردا، خبارك يا حسين، لا صاحب لا صاحبة؟ ولّن تفتش تفتش على عبدو؟ أي تعاسة أنت فيها أيها الشقي؟.

تلفوني فجأة ضرب، هيلي! والله نسيتمو، ده التلفون الأهداني ليهو خالي بمناسبة دخول الجامعة! أول تلفون في حياتي، عاينت للرقم، سوما، بالي رايق، فكرت أبرمج بيه، جرجرت صوتي:

- ألو؟ سوما..

- حسين..

- هلا سوما..

- وين إنت؟..

- في الجامعة..

- لأ قصدي وين بالضبط في الجامعة؟..

- في اللحظات التاريخية دي يا بت عمي سايقني القدر ومنحدر بي على مجموعة رهيبه من الجكس قدامي..

البنوت كانوا بسمعوا في كلامي قعدن يضحكن..

- حدد لي بالضبط إنت وين؟..

- والله جادي معاك أنا، ديل بنات ولا في الأحلام!..

هنا البنوت قرقرن تاني وأنا بقيت مارّي بمحاذاة وعاج رقبتني معا سماحتن، سوما إتضايقت حسيت بيهو في صوتها:

- يا ولد ما تخليك جادي! أنا في السنتر وعازية ألاقك هسي..

شكلها جادة، قطعتمو معاي، وأنا كمان قطعت هظاري:  
- ألاقيك وين؟..

\*\*\*

رجعت تاني علوم عشان ألاقى سوما، حاولت أتصل بعبدو لقيت ما عندي  
رصيد، يخربو التلفون، قاعد ضرابة، أصلا ما مستفيد منو أي حاجة، نمرتي  
ذاتها ماني حافظها. أخيرا لميت في سوما وقعدنا لينا في صهر صندوقين بتاعين  
بارد، سوما مهتمة بينا إهتمام شديد، عاملة فيها مسئولة مننا، بس ذكّرني أيامي  
معها زمان، أيام كنت بكرّها اللبس، هسي القصّة قلبت فيني، كل يوم شكله  
معها بسبب اللبس، يا ود ألبس كويس، ياخي البنطلون ده ما مناسب، لون  
القميص ما حلو، أو مكرفس أو الما بعرفو داك، ما تلبس شبط، ألبس جزمة، ما  
ممكّن تلبس جزمة من غير شرّابات! بس بقت شغالة قصادي، إنتقمّت ليك مني  
جنس إنتقام. ما لقيت شيّتن مناسب أعزمها عليها، إتوكلت على الله وطلبت لي  
كبايتين عصير برتكان، قبل ما أقعد وأنا شايل الكبايتين لحقّنتي السؤال المافي  
منو مفر:

- أها عملت شنو الليلة؟..

إستغلّيت الثابنتين الأخدتهم عشان أقعد أفكر، حأكضب يعني؟:

- ولا شي!..

وشيهّا إتعفرت، عيونها بقن دقاق ورا نضارتها:

- ولا شي كيف يعني؟..

- ياخي بنجر، ما تخافي، كدي أشربي العصير ده وروّقي دمك..

إتناولت مني الكباية وهي بتعّين لي بإمتعاض، غلبني منظرها، ضحكت فيها،  
إتغاضت مني زيادة، حبّت تغير الموضوع، لو واصلت عارفة الموضوع مافي  
صالحها وحتخسر:

- وين عبّدو؟..

- الكرور ده ما عارفو وين، مما جيت بفتش فيهو ما لاقيهو..

- إتصلت عليهو؟..

- لأ، لقيت ما عندي رصيد..

- إنت دايمّا كده؟!..



تاني قمت ضحكت بقرقرة، ما إشتغلت بي، طلّعت تلفونها الوردى الأنيق من شنطتها، فتشّست الرقم وإتصلت، يا حليلو تلفوني، كل يوم جادعو في حتة، وأروح أفتشو بالفتاشة، وكل مرّة أسأل زول يضرب لي فيهو عشان أعرفو وين، أخيرا لمّت في عبدو، وصفتّ ليهو مكانًا في الكافتيريا، وقالت ليهو تجي حالا، بعد خمسة دقائق الهراش كان معانا:

- سلام شباب..

ردت عليهو سوما التحية وهي بتعاين في الشباب المعاهو متسائلة منتظراهو يعرفها بيهم، أما أنا فكان عندي ليهو تحية خاصة بدون ما أركّز في المعاهو:

- أهلا بالدكتور، أهلا بالبروفيسور، وينك يا "ملهم"؟..

إتغاظ مني، إتلفت على الشباب المعاهو:

- شايفين الورم الأنا فيهو؟ مش قلت ليكم؟..

ما عارف الكرور قال ليهم عنّي شنو، لكن قمنا أنا وسوما على حيلنا نسلمّ على ضيوفو، كانوا شابّين وبت، أنا عارف إنو إتعرّف على شابّين، بس بت دي جديدة علي، الشمار حرقني، وغالبني أنتظر لما نكون برانا عشان أتقشّى فيهو، قام عبدو عرفنا طوّالي ببعض:

- شباب، أعرفكم على أسما أختي وحسين ود عمّي..

وقام قبل علينا، بدا لينا بالأول:

- حسام، برلوم علوم. مرتضى، برضو برلوم علوم. والأخت مها دي قريبة مرتضى برلومة علوم إدارية..

وقام أداني نظرة تحذيرية بعد ما عرفنا بمها، أنا فاهم مغزاها، بس ما عارف الكرور ده متخيل شنو في راسو؟ سلّمت عليهم سلام كويس وكمان دعيناهم يتفضلوا معانا، وبقيت أتلفت بفتش لي على كراسي تكون فضت بمعجزة، أو حتى بالعدم صناديق بارد زيادة في أي حتة، في اللحظة دي البت كانت مركّزة معاي:

- إنت مش الزول الضرب أمي كف؟..

صراحة ألجمتني المفاجأة، خلّيت التلفت بتاعي وعايّنت للبت في وشيها وأنا مخلوع ومليان بالدهشة، ديشاك، معقولة بس؟ دي البت بتاعت البص؟ دقيقة دقيقة، إسمها منو؟ أيوة مها، ما ممكن أنسى إسمها، ركّزت فيها قوي، ملامح وشيها إتغيرت، ولا أنا ذاكرتي العطبت ما عارف، بس لو نسيت أي حاجة ما

ممكن أنسى حاجتين، أول شي ديك كانت ملظظة، ودي سبمتيك، وكمان شكلها أحلي من ديك، تاني شي الصوت الرنان داك، أيوة، في لحظة بس إسترجعتو زي ما هو، فعلا ياهو صوتها، بس الشني شنو؟ خبارن البنوت ديل؟ بالله ذاكرتهم زي ذاكرة الكمبيوتر، لا بتمل ولا بتفتر، مافي أي حاجة بتتنسي؟!.

عبدو وسوما قعدو يعاينو لينا بإستغراب، بقوا يتبادلوا فينا النظر، مرة فيها ومرة فيني، عبدو كنت حكيت ليهو زمان بالقصة دي، لكنو زول درويش ساي هسي يكون مسحها نهائي، عارفو أنا، أما سوما فمتأكد ما سمعت قصة الكف دي قبل كده، ما عارف ما حكيتها ليها ليه؟ يمكن عشان ما تلقى فيني فرقة، بس عارفة الحادث الفظيع بتفاصيلو المملة لحدّي قصة أبوها الكان تعبان، وقصة شنطة أمها الإتسرقت ورجعت، لكن ما ظنيتها ربطت المواضيع مع بعض لسنة، أول زول فتح خشمو كانت سوما، سألتني بإندهاش ممزوج بالسخرية مقلعة عويناتها ورا نصاراتها ورافعة حواجبينها:

- كف؟..

قبل ما أرد، تاني لحقتني سؤال ساخر، المرة دي كاتمة ليها ضحكة باينة في وشيها:

- ضربت أمها كف؟..

إتغظت منها، ما قدرت أرد عليها، قمت إتجاهلتها، وقبّلت على البنية أسألها وأنا عامل لي ضحكة متكلفة كده وأنا لسنة راكباني الغيظة من سوما والربكة من الموقف، وحيرة الصدفة العجيبة اللاقتني بيها تاني:

- عليك دينك وإيمانك، هسي لما تتذكريني ما تتذكريني إلا بي كف؟!..

قاموا الباقيين ضحكوا، فعلا الموقف كان غريب والمفارقة أعجب، قمت حكيت ليهم القصة باختصار ونحنا واقفين لحدّي ما عبدو جاب ليهو صناديق بارد زيادة وقعدنا كلنا، بعد داك ثبتني ما أمشي الكافتيريا، قام هو جرا يتككب وجاب العصير، لمن رجع قعد جمبي، جمبي شنو، قرّب يتلصّق فيني لشني في نفسو، أنا فاهمو كويس، الكرور شكلو قفل على البنية، خايف من لسانني، خايفني أفلت، وخت نفسو في حنة إستراتيجية عشان يقرّصني لو بديت أفلت فعلا، على عكس ما إتوقع، الونسة كانت حلوة، ما تنشن معاي إلا لما سألت البت فجأة:

- ما كنتي سميّنة وملظظة ضعفتي كده مالك؟..

لقيت ليك عبدو شغال فيني زي المنفلة في صفحتي، وأنا أضربو بي يدي عشان يختاني، بصوتها الحلو الرنان داك ذاتو:

- كلو من القراية والههم، تعبت تعب شديد عشان أنجح وأخش الجامعة من أول سنة..

قمت إبتسمت ليها إبتسامة ساخرة وأنا ماسك يد عبود من تحت:  
-لا خلاص بختك، تاني مافي هم، لقيتيني معاك في نفس الكلية، ده يوم سعدك الليلة..

يا دوبها فكت ليها ضحكة حليونة زيتها، عبود قرب يتوفى في اللحظات ديك!.

\*\*\*

عدت السنة الأولي بسراع، كانت جميلة، يمكن ده السبب، أي شي جميل بمر بسرعة، كونت شلة محترمة خلال سنتي الأولي، إتعرفت على شباب كتيرين مش بس من كليتنا، إنتشرت حتى على مستوى الكليات الثانية، وكنت بعمل ليهم مداهمات وكنت ما أكون فاضي في كلياتهم وألاقيهم هناك.

على عكس عبود تماما، ما كنت مهتم بالجكس نهائي، عبود المسكين كان بيتدشدهش بسهولة، بس ما تتبسم ليهو جكسوية، طوالي يريل، الليلة ديك ما بنوم فيها كلو كلو من الورم، يكرهنا ليك الجمهورية، نبقى نحنا الليل كلو في فلانة وعلانة وأح وإيح، الوحيد الما كنا بنعرف عنو كتير هو بكوري، لأتو خالفنا حتى في الجامعة، كان دخل قدامنا كلية الهندسة جامعة السودان، ياهو في حالو الزمان داك ذاتو ما إتغير شي كتير من طبعو، بي شلتو وببي جازو بعيد مننا، نادر ما تكون في مواضيع تلمنا بي بعض.

الكسبتو في السنة الأولي ما كان بس شلة شباب، من أكثر الحاجات إثارة بالنسبة لي كانت النشاطات الطلابية بالجامعة، والمخاطبات بكل أنواعها وأركان النقاش الساخنة، كنت بعترها تجربة مثيرة وثرّة، صراحة إستقدت كتير منها، بالأخص المشاكسات البتحصل أحيانا، رغم إنها كانت مرّات بتتحول من عنف لفظي لعنف طلابي.

كتير كان ممثلو الأحزاب والتيارات السياسية بدعوا قادتهم وممثليهم للجامعة في ليالي سياسية حاشدة، مؤكد إنو الجامعة كانت موضع إهتمام كبير لكل الكيانات السياسية المهمة في البلد، فكنت حريص على حضورها وما بفوتها إلا للشديد القوي، شلّتي كانت عبارة عن طيف من كل الألوان دي، وكل واحد فيهم يحاول يقنعني بضرأوة إنني أنتمي لتيارو، كنت برفض بدعوى إنني في منصّة بتتيح لي النظر بوضوح للشكل العام، ودي ما بتتم إلا بحياد تام، بغض النظر عن

رغباتهم المنظورة بالتكتل والفوز برئاسة إتحاد جامعة الخرطوم، وده مركز كان بيعتبر مؤثر جدا، والأحزاب عارفة النقطة دي كويس ويتحرص عليها.

عموما، ما كانوا بيرضوا بموقف، وكلهم تقريبا بتفقوا على نقطة واحدة كنت يستغرب ليها جدا، عندهم قناعة تامة إنو الزول ما ممكن يكون "فلوتر"، يعني حر بدون إنتماء، وزى ديل طبعا حسب نظرتهم بمثلها أنا، بقولوا لأبد من إنتماء، دي قناعتهم، سواء كانت إلی اليسار أو إلی اليمين، ما مهم. لكن تكون فلوتر دي في نظرهم مشكلة عويصة، كانوا بفتكروني زول مؤثر وسط الطلاب، محبوب من الجميع، أي إنتماء أتخذو حيشكل مكسب للجهة الحانتمي ليها، لأنني حائر وراي كمية من الأصدقاء، ودي غنيمة، ودي المعركة الكانت بتدور راحا طوال الوقت.

عبدو "الملم" زي ما مشت عليه التسمية، ما ليهو في الموضوع ده لا ناقة ولا جمل، بقى زول قشرات ساي، كل يوم يمر فينا يزداد قشرة وأناقة، وسبسيب للشعر، عرفت كمية من البنات عن طريقو، كل يوم عندهو بت شكل ولون، كل ما أسألو ده شنو يا عبديو البتعمل فيهو ده؟ يقول لي ياخي ديل عصب الحياة. عصب الحياة شنو يا زول ما تركز، على الأقل أركز ليك على واحدة، يقول لي البنات ديل ما بتلقى منهم واحدة بتشبه الثانية، كل واحدة شكلها غير وفهمها غير، طيب وإننت فهمك شنو في الموضوع ده؟ بقى يتفلسف كمان، يقول لي الصبرورة والكينونة، وجمال الروح والشنو داك والبتاع والهناي، بإختصار، عايز يقول ما عايز يحصر نفسو في بت واحدة لأنو زي البستمد من كل بت جمال مختلف، قاصد جمال الدواخل لكن بعرفو ليك كويس الكرور، من الشكل البرة ركبو بتسيح وكرعينو تاني ما بتشيلو.

أهم شي بالنسبة ليهو ما يكون في أي شكل من أشكال الإلتزام، رغم إنو ما عندي أي قناعة بتاعت إلتزام في السن المبكرة دي، لكن بشوف عدم الإلتزام في حد ذاتو نوع من الجبن، فما كل البنات البيتعرف بيهن ديل فاهمات النقطة دي، كنت بشوف واحدات منهم مكسرات فيهو عينك عينك، والبعمل فيهو ده نوع من الهروب.

\*\*\*

كنت شاطر في الكلية زي ما بقولوا، وكنتي ما ملكي، واهبو للجميع، أي زول عايز أي مساعدة أكاديمية كانت أو غيرها، بقدّمها ليهو من غير أي تراخي، زي ما كان يحصل مع عبديو، كان برضو يحصل معاي، بحس إنو مرات الشرح ما

بس بقيف على كده، العيون البتتكسر فيك ما بتغيب عليك، بس عكس عبدو، ما قاعد أدّي أي فرقة لحاجة زي دي تحصل أو تتمادى وتتطور، مرات بكون في بنات عينهم قوية، يا قالوها ليك في وشك، يا وسطو ليك صاحبك أو صحبتك. كنت بصدّهم من غير زعل، أنا ما زول حب وبتاع.

الوحيدة الكنت بعتر نفسي بعرفها وبقي عندها علي حق مكتسب بسبب الصدفة اللمتني بيها مرتين هي مها، كان أول ما بدينا دراسة عملت لي فيها رايحة، نكرتني حطب، إحتمال تكون خافت مني أقوم أتلّحها ولا مصيبة، طوّالي جليتها ونسيت موضوعها. أها بعد ما مشينا لقدام في الدراسة، ولقت ناس الدفعة كلهم برجعو لي، بالأخص البنات للشرح وكده، شكلها حسست بغلطتها وعازيزة تقرب من أول وجديد، ما كنت ماسك عليها شي، ولا حتى إبتاعدها عني ما كان بالنسبة لي موضوع يذكر، ولا هو سبب أصلا يخلّيني أمسك عليها حاجة. بالعكس لما بدت تقرب خجلانة في الأول، قابلتها كويس وما حسستها أصلو إنها كانت بعيدة في لحظة من اللحظات، الحاجة دي ريحتها في حنانها، وخلتها تتعامل معاي بشكل أرحب، بعد شوية بقت صديقتي عديل، طالعة ونازلة معاي.

ما كنت بتحسس ولا كنت برضو بشتغل بمشاغلات الشلة والفرد، بالذات عبدو، لأنو حاجة زي دي ما بتقوت عليهو، كان كل مرة الكرور بحاول يجرجرني في الكلام، الوهم كان بتخيل إنها بداية علاقة، وكل محاولاتي المستميتة إنني أفهمو إنو ياخ ما أي ولد وبت ماشين مع بعض لازم يكونوا على علاقة ببعض، كانت كلها بتبوء بالفشل.

كنت كل يوم بكتشف في مها حاجة جديدة، أكثر حاجة كانت عاجباني فيها هو عقلها ورزانة تفكيرها، أتاري صمتها كان وراها كلام كُتر، بقينا نتناقش في الدين وفي السياسة وفي مشاكل الشباب وفي مستقبل البلاد، كل يوم كانت بتثق فيني أكثر وأكثر، لحدّي ما بدت تحكي لي عن حاجاتها الخاصة، وتستشيرني في أدقّ خصوصياتها، أفكر البت ما ممكن تصل معاك مرحلة زي دي بالساهل، وإذا وصلتها معاك ببقى لزام مقدس عليك إنك تحافظ على أسرارها بالكامل وتحت كل الظروف. أهو، ما قرينا من صغار مختلط لكن إتعلّمنا حاجة من الاختلاط في الجامعات وباين التجربة مارة بالنجاح.

كان عندها فهم في راسها، وأنا كنت بفكر في الحنة دي كثير، كانت بتقول أفضل ليها صحبة الأولاد من صحبة البنات، الفهم ده كان مدهش بالقدر الكبير بالنسبة لي، وتفسيرو عندها إنو البنات ما بتصاحبن، صحبتن مجعدة ومتعبة

جدا، فطرة في البنات، ما بيتخلو عن الغيرة ومنافسة بعض، وفي نفس الوقت، صلبة الأولاد ماها هينة أو بالبساطة دي برضو، لأنو صعب البت تصاحب ليها ولد من غير ما الولد ما يخت في بالو أو يفكر إنها ما صاحبتو إلا عشان معجبة بيهو، أو مكسرة فيهو!.

الحاجة دي كان فيها إعلان مبطن، لكنو واضح وضوح الشمس بالنسبة لي، فحواهو إنها صاحبتني لأنني ما بنظر ليها كأنثى بجسد، أو مشروع حب وجكيس مثلا، لكن بنظر ليها كأنثى بعقل وفكر وروح، بحترم رأيها وكيونيتها. وإعلان ثاني مبطن برضو، إنها ما على أي إستعداد لعلاقة في الجامعة، أو ما مفكرة في الموضوع ده في الوقت الحالي.

ما كان مهم بالنسبة لي، أنا شخصيا كنت بهز راسي وبأمن على كلامها كلو، أصلا ما لي في العلاقات ولا ميال للفكرة، وإن كان عندي رأي برضو في صلبة الأولاد مع البنات عموما. بس هي كانت إستثناء بالنسبة لي، إحتمال تكون حسيت بالحنة دي، عموما، بقى في زي إتفاق خفي بيناتنا على ترسيم حدود لعلاقتنا مع بعض، بالعكس كده أفضل طالما بتماشى مع سجيتي وما بتخليني أتوقف أراجع نفسي أو تصرفاتي لأي سبب من الأسباب.

مع إنها كانت بتتقبل مني وتسمح لي أندخل في حاجاتها أحيانا، وحتى لو إتججت بكون إحتجاجها لذيد و واهي والغرض منو الغيظ والمناكفة البريئة، بالأخص لما نجى لموضوع اللبس والمكياج، ما قاعد أرحمها كلو كولو لمن كانت تلبس ليها حاجة ما يها، حاجة تكون ملفتة شديد أو تضايقني لما تخلي الشباب المارين يقعدوا يعاينوا ويركزوا فينا، أو بالأصح يعاينوا ليها هي ويركزوا فيها. دمّي كان طوالي بفور وما يستحمل، أو قامت يوم غلظت وكترت المهلبية، أقصد الميكب ولو الحاجات البسيطة بتاعت المحافظة على الوش والشنو وشنو، ما قاعد أفوتها ليها. يوم سألتني:

- وين صاحبك الأسمراني الكان معاك في البص داك؟..

\*\*\*

عجبني إختيارها لكلمة أسمراني، مع إنو أتيتم ما شاف السمرة بعينو، كان أسود زي الفحمة الملمعنها بي شحم غزالان، كنت أنا بقول ليهو الأبنوسي، يمكن إختيارها للأسمراني تلطيف منها، عجبنتي الحاجة دي فيها، لأنو العنصرية الكانت زمان محبوسة في نطاق ضيق، هسي بقت أمفكو مفتوحة فينا بكل عهر

القبج فيها، حتى في أركان النقاش الحاجة دي واضحة وملفتة، وسببت مشاكل كثيرة في الجامعة.

وتجربتي معها في البلد كانت مُرّة ما بتتنسي، لما سقت معاي أتيّم ونزلنا إجازة سوا هناك، كانت عيون كثيرة مشفقة على، وأنا ما جايب خبر، زي عيون "ماري" أمّو، وفي سؤال عمّي ونظراتو لعمّتي قبل السفر، وحركات الدخين، الخسرتو نهائيا بسبب عنصريّتو دي، وغبن التربالي المّا مفهوم، ومجاهرتو بالسوء قدّام صاحبي، كنت بشوف إنو كان بيستاهل طردتو من البلد وهجرتو للحلة الثانية عقابا ليهو على فعلتو الدنيّة، حتى وإن جات مغلّة بسبب مشكلة بت ناس ود الحسين.

عاينت لها بإستغراب، وإندهاش حقيقي، هل ممكن تحصل صدف بالشكل الغريب ده؟ أو للدرجة دي؟ مها إتحرجت، سألتني بتردد ظاهر:

- سؤالي فيهو حاجة غلط؟..

إنّبهت لنفسي ونظراتي الغريبة ليها، لخبطت على البت ساي، قمت ضحكت عشان أخفف من حرجها:

- بالعكس..

نزل منها الحرج وإتحول لإستغراب:

- طيب مالك؟..

- كل الموضوع مستغرب من الصدفة الغريبة دي..

- ياتو صدفة؟..

- أتيّم جاييني الجامعة بعد شويّة..

- هو إسمو أتيّم؟..

- أيوة، وحتلاقيهو معاي إن شاء الله..

يا دابها إنشرحت ونزل منها، ولحدّي ما أتيّم يصل قلت ليها يلا، سقتها على البنش بتاعي المشهور، مشينا قعدنا هناك لحدّي ما أتيّم يصل، ما كان في موضوع معيّ شاغل بالنا، إستمخيت في البنش، قلت أخلق ليها موضوع ما دام مافي:

- عايني، ركزي معاي..

- أعاين وين؟..

- ولا حنة، بس ركزي معاي في ناس المين، تقدري تحدي لي كل شلة قدامك من ياتو كلية؟..

عاينت لي باستغراب ممزوج بالسخرية:

- لو ما بعرفهم حأقدر أحدهم ليك كيف يعني؟..

- دي الكنتة ذاتها..

- وإن شاء الله تكون فاكرنى عميدة كلية ولا مديرة الجامعة؟..

قمت ضحكت:

- كدي حاولي، أبدي معاي بالمجموعة القدامك دي، ما تنسي، ميزة المين إنو بلم ليك ناس الجامعة كلهم في حنة واحدة، ما بس ناس السنتر، كل الكليات الطرفية، ومرات كمان ضيوف من برّة الجامعة..

المجموعة الأشرت عليها كان فيها ثلاثة بنات وولدين، ركزت فيهم شديد، كنت بعين ليها في وشها وهي مركزة، أخذت وكتها، لكن تعاير وشها بتقول مافي أي إنفراجة جاية في السكة:

- صعب ياخ، ما بقدر، وريني إنتا..

- طيب عايني، الحاجة الملاحظ ليها، كل كلية بتشكّل ناسها..

قاطعتنى:

- كيف؟..

- بوزيك كيف..

- أها؟..

قمت ربعت يديني بعد ما كنت شاربي يدي اليمين براها في حافة البنش فوق على مستوى كتفي، ومها على شمالي وهي أصلا بتقعد مربعة يدينها وتكون ضامة كرعينها عليها:

- شوفي، ما عارف الحاجة دي بتحصل كيف، لكن خاينا نسميها قانون الجذب، القانون بتاعنا ده بفترض إنو في قوة بتجذب الناس البتتشابه وتلمهم مع بعض في نفس الكلية، وعلى كده حتاقي كل كلية ناسها بشبهو بعض، دايمًا في حاجة مشتركة بيناتهم، حتى لو زول كابر ودخل الكلية الغلط ما بتقسّم معاهو، وببقى في حالة نزاع طوآلي ومعافرة ومعاونة شديدة عشان يستمر وينجح غصبا عنو. كتير بفكر في الموضوع ده، في الأول إفتكرتو صفات مكتسبة، يعني لحدّي ما الزول يدخل الكلية حتين يبدأ يآثر ويتأثر، أو بالأصح يتأثر في الأول قبل ما



هو ذاتو يبقى مؤثّر، لأنو البيئة دايما هي البتحكم في الأول، لحدّي ما يحصل التآلف والإندماج والإنسجام حتّين تبدأ العلاقة تبقى أخذ وعطاء، لكن بعداك وصلت لقناعة إنو الحاجة دي بتحصل قبل المرحلة دي بمراحل بعيدة..

كانت متابعاني بإهتمام شديد، ومركّزة مع الكلام، فسألت:

- كيف، ممكن تشرح أكثر؟..

- خيلني أديك أمثلة حيّة بشأن الكلام يقع ليك..

- طيب!..

- مثلاً عايني للشلة السألتك منها، بقدر أقول ليك أنا واثق بنسبة خمسة وتمانين في المية إنهم من ناس إقتصاد..

- والبخليهم يبقوا من إقتصاد شنو حسب نظريّتك؟..

- أيوا بالضبط! لما أكون في نص ناس إقتصاد، بحس بالجاذبية المميزة بتاعتهم، حاجة كده زي خليط عندو ريحة وملس ولون، الخليط ده كلو بتستشعريهو وتحسيهو لما تعادي عليهو ويخترن في ذاكرتك، بعداك بتقدري بكل سهولة تميزيهو أول ما يلاقيك تاني..

بقت مها تعين لي بإندهاش تام، لكن بدون ما تسأل تاني أو تقاطعني، قمت سكت وبعين ليها بتبسّم في دهشتها قبل ما أوصل:

- أثبت ليك؟..

- ممكن؟..

كان واضح عندها رغبة حقيقية تعرف، أثرت فيها الشغف للمعرفة، وغير ده كلو، كل نظرية عايزة إثبات، كنت متمني جوّاي ما أفشل، لأنها حتقوم تسخر مني تاني لوكت طويل وتعملني مادة للتندر. أها قمت برّاحة من البنش ومشيت على المجموعة.

\*\*\*

- سلام يا شباب..

ردّوا على كلهم بروح طيبة، قمت سلّمت عليهم في يديهم واحد واحد زي البينا سابق معرفة، وبدون مقدّمات قعدت معاهم وعرّقتهم بي نفسي، ودي واحدة من الطرق الكنت بتعرف بيها على الناس في الجامعة، بخش فيهم لفت من غير أي مقدّمات، دي ميزة المجتمعات الطلّابية، مافي أي تكلف.

كانت البنشات مليانة، وهم إختاروا يقعدوا حولين ساق شجرة كبيرة من شجر المين البكون مرصوف حولها حوض كبير، كانوا عاملين مع بعض زي نص دايرة. وعشان مافي زول فيهم يستاء ويفتكروني متطفّل سغيل وتقبل الدم، قمت سريع عرّفتهم بنفسي وواصلت في الكلام لحدّي ما وصلت للسبب الجاني ليهم وخلاّني أتعرف عليهم، أخذت معاهم ثاني زي ثلاثة دقائق قبل ما أرجع لها.

لما رجعت ليها، كان الشباب بضحكوا وبعاينو لينا، مها إستقبلتني بعيون متسائلة، يعني أها؟ الحصل شنو؟ قابلتها بإبتسامة مترجية لحدّي ما أقعد، أول ما قعدت الشباب كانوا بعاينو لينا، منتظرني بس أقبل عليهم، أوّل واحد رفع ليها يدو وهو بضحك، "تانية إقتصاد"، البعدو برضو "تالّة إقتصاد"، واحدة من البنات، "كلنا نحنا في تانية إقتصاد إلا صحبتنا دي" ودقت على كتفها، "دي من أداب"، رفعت ليهم يدي يعني شكرا وقبلت على مها:

- أها، رأيك شنو؟..

كانت مندهشة للحد البعيد:

- مبالغة طبعاً!..

- أها وبنفس المستوى ده، وعلى حسب نظريتي دي، عندك شلّة الأولاد التلاتة الهناك ديلاك، شوفي شكلهم جادين كيف، ديل من قانون، وشلّة الأولاد الأربعة العاملين صخب طالعين ونازلين في المين ديلاك من هندسة، أما زولتك دي الماشة مع الولد ده.

وقمت أشرت عليهم:

- من مشيتها ظاهر عليها ضهب، هي طالبة وبتقرا في الجامعة، لكن ما من جامعتنا دي ولا واحدة من أي واحدة من كلياتها الثانية، لا من مجمّع شمبات ولا من مجمّع تربية ولا من مجمّع طب ولا غيرو، شكلها بقول من جامعة السودان، لأنوزي ما كل طلابّ كلية ليهم نكهة مختلفة، الحاجة دي بتمتازج بقدر أقول في وعاء أكبر لحدّي ما يشكل طالب كل جامعة براها، بالتالي طالب الخرطوم بخلاف عن طالب السودان، بخلاف عن طالب الأهلية والجزيرة وهكذا.

مها لسّة كانت معلّقة:

- مبالغة لكن! وده كلو لاحظت ليهو في سنة بس؟!..

- أحيانا الحاجات بتكون قدّامك واضحة، بس محتاجة تركّزي معاها شويّة..

في اللحظات ديك كان في طالب كُلية شرطة أبنوسي طويل ومهندم بزي طلاب  
كُلية الشرطة جاي علينا يتبسّم، قمت على حيلي أستقبلو:  
- مها، أعزّك على أّيم!..

\*\*\*

كان أّيم دخل كُلية الشرطة في نفس التوقيت الدخلنا فيهو الجامعة تقريبا،  
كان متأثر بمسيرة حياة والدو الطويلة في الشرطة، وقرر بدورو إنو يواصل نفس  
المشوار، لكن يدخل كُلية الشرطة عشان يتخرّج ضابط، وفعلا إتحققت أمنيّتو  
ودخلها من الأوائل بعد ما إجتاز كل المعايينات المطلوبة، كان زول ذكي وهميم  
ودقيق جدا في حياتو، والشرطة مؤكّد بتناسبو.

بس كانت المشكلة إنو على عكسنا، ما مسموح ليهم يمرقوا كثير برّة الكُلية،  
بالذات في الشهور الأولي الكان بتم فيها التركيز على التدريب البدني  
والعسكري، في الفترة دي بكونوا في مراحل تكوين الشخصية العسكرية  
الحتفارق الملكية يا قولهم للأبد طالما هو منتمي للشرطة، في الفترة ديك ما  
شفناهو إلا بعد ثلاثة شهور، وتاني مرت زي ثلاثة شهور قبل ما أشوفو مرة ثانية،  
لكن أخيرا بقوا يدوهم فرصة خروج مرة واحدة في الإِسبوع يقضوا نهاية  
إِسبوعهم مع أهلهم ويرجعوا تاني للكُلية، ودي الفرصة الوحيدة الممكن الأقيهو  
فيه.

كنت بحس بالتغيير الحصل معاهو بشكل واضح، إبتداء من مشيتو  
وإنتصابو في وقفّتو، وحتى طريقة كلامو وتفكيرو إتغيّرت، مش ياهي نفس البيئة  
الكنت بتكلم عنها مع مها؟ مؤكّد كل بيئة ليها تأثيرها على منتسبيها. المهم، اليوم  
داك كان خميس وكنا متواعدين نتلاقى في المين، عندو قريبو في الداخلية كان  
حكى لي عنو قبل كده لكن ما حصل لأقيّتو، أها اليوم داك كنّا متواعدين قبلها  
بإِسبوع إنو حيجيني الجامعة عشان نلاقيهو.

إستأدنا من مها، أصلا كانت مارقة على البيت وما عندها قعاد تاني في  
الجامعة، شقينّا أنا وصحبي أّيم سنتر الجامعة من الشرق للغرب في إتجاه  
هندسة، قطعنا الميدان الغربي كلو لحدّي ما مرقناها في كافيتريا هندسة، زول  
أّيم كان قاعد راجينا في بنش تحت شجرة لبخ(19) كبيرة، كان شايل ليهو كمية  
من الدفاتر ومسطرة رسم هندسي طويلة في جرابها، مسطرة مشهورين بيها  
ناسهم محل ما تشوف زول شايلها تعرفو طوّالي من هندسة.

أول ما الشاب شافنا جايين عليهو قام على حيلو هاش باش، سلامو كان جميل ولطيف، أتيتم عرفنا على بعض، "حسين"، "مجوك"، طوالي مشى عشان يكرمنا، قدر ما حاولنا معاهو نمنعو رفض إلا يشتري لنا البارد، قعدنا نتونس لحدّي ما نخلص البارد، مجوك قال الجامعة الليلة فايرة ومكركية، فعلا كان في كمية من أركان النقاش والمخاطبات بدت في اللحظات ديك في السنتر، أولها كان في هندسة، علّق عليها بإنها مزعجة وما مريحة، الأفضل نمشي على الداخلية، شفتو إقتراح مناسب، لأنّو المخاطبة الفي هندسة كانت عبارة عن هرج ومرج.

ما كان عندي إعتراض على الفكرة من حيث المبدأ، علاقتي بالداخليات عموما كانت ضعيفة، مشيتها زي مرتين ثلاثة مما دخلت الجامعة مع شبابنا في الكلية الجايين من الولايات، وأهو جات الفرصة تاني الواحد يمشي على داخلية مع أتيتم وصحبو.

رغم إنو جو الداخليات عموما كان بحسسن بالبوّس والكأبة، والتعاسة الشديدة والمسغبة والفقر فيها الطلاب، لكن غرفة ناس مجوك حقيقي أذهلتني، كانت نظيفة ومرتبّة بصورة ما إعتيادية، أصلو ما إتخيلتها تكون كده، أو حتي ممكن يكون في غرف شكلها كده.

في غشواتي الفاتت، شفت لي غرف عبارة عن كوش، زبالة بس، تستغرب إنو كيف طالب يسكن بالشكل ده؟ صراحة الجو كان مغري والغرفة مرطّبة، وزملاء مجوك في الغرفة كلهم مافيشين، طوالي قلّعت نعلاتي وإتمدت في السرير، أتيتم ومجوك كانوا بتونسوا، وأنا بدون ما أشعر لقيت ليك نفسي رحت ماخذ لي غفوة بي فهم.

ما عارف نمت قدر شنو لكن شكلو كان نوم بعمق، صحيت على الجوفة والغلبة والكركية كانت حاصلة، الداخلية كلها فايرة، أتيتم ومجوك لسّة في حتّهم في السرير المقابلني:

- في شنو يا جماعة؟ الجوفة الحاصلة شنو؟..

\*\*\*

نطّوا الإثنين من السرير، مجوك مشى على الباب، وأنا وأتيتم جرينا على الشباك، إتجاه شبابيك الغرفة كان بفتح بزواية ممكن يخليك تشوف مسافة طويلة في شارع الجامعة لحدّي قريب بوابتها الرئيسية، بالله نلقى ليك الدنيا برّة كبسيبة وفايرة فوران ما إعتيادي، سألت روعي الحاصل شنو؟..

مجوك كان ببسأل واحد جا جاري قدام الباب، الشاب قال ليهو المخاطبات في السنتر إتقلبت لإشتباك بين المعارضين والمنتمين للحزب الحاكم، اضطرت الشرطة والأجهزة الأمنية لإقتحام الحرم الجامعي. كنّا إتعودنا على وجود دفرات وبكاسي الشرطة البتتواجد في شارع الجامعة تقريبا أربعة وعشرين ساعة في اليوم وسبعة أيام في الإسيبوع، زي ما إتعودنا على وتيرة شبه روتينية، وهي تحول أركان النقاش إلي مخاطبات ثم عنف طلابي، أو القفز من أركان النقاش طوالي إلي مرحلة العنف بدون المرور بمحطة المخاطبات. والحاجة الواضحة المّا بتغالطوا فيها إثنين، هي الحماية والدعم والسند البلقوها المنتمين للحزب الحاكم، تحرسهم الشرطة بالخارج، يفتح ليهم الحرس الجامعي البوابات، عين الجميع من شرطة وحرس جامعي على العصي والجنازير والمولوتوف الشايلنها في أيديهم بإتجاه أخوانهم في الجامعة، وأحيانا أسلحة نارية كمان.

كنت بسأل نفسي بشكل متواصل، الكلام ده ليهو كم سنة الآن بشكلو ده؟ التغيير المتوقع يحصل شنو مثلاً؟ هل تم الوعي المنشود عن طريق المناشدات والمخاطبات؟ والطلاب المدكنين ليهم سيخ وبنزين وأسلحة وبللوي زرقا في مكان قريب من الجامعة، عايزين يفرضوا شنو مثلاً بسلوكهم العنيف ده؟ مش العنف لا يولد إلا العنف؟.

على العموم ده كلو ما كان شغلتي بيهو الشغلة، كنت برفض شكل العنف بين الطلاب بكل اشكالو، زي رفضي للوصاية بكل أشكالها، حتى لو فرضوها علي بالعنف أو غلّفوها بأي إدعاء هدفو التمكين.

رجعت أدراجي جوّة الغرفة لما كبست علينا ريحة الغاز المسيل للدموع، حاجة كده غير محتملة في العيون والحلق مع إننا كنا بعيدين عن جو الكر والفر الحاصل في الجامعة، كانوا بقولوا ده غاز تصنيع إيراني مخصوص، طيب العادي كان كيف؟ قفلنا بابنا وشبابيكنا علينا، كانت أحداث الجامعة محور حديثنا، مرة مرة كانت الأصوات تهدأ وترجع تاني تهيج ونسمع صوت إطلاق الغازات المسيلة للدموع، صوت إطلاقها بشبه صوت إطلاق النار من البنادق العادية، صعب على كتيرين يفرزوها، أنا كنت واحد منهم في الأول.

نحن في حالنا داك، وبعيدين عن جو الإثارة، قوماك فجأة الداخلية ذاتها تجوط! بدون سابق إنذار كانت قيامتنا قامت، بالله فكّوا فينا كمية بمبان عمري ما شفت زيتها قبل كده، لمن الزول بقى مغمض ويفتش في النفس، حالتنا بقت صعبة، تحك عيونك تكون جبته لنفسك، كانوا بقولوا مفترض الزول يستخدم الخل

والليمون في قطعة مبلولة أو الكوكا كولا عشان يشيل بيها آثار الغاز من تنفسو وعيونو، لكن نلقاهم وين ديل هسي؟ خلوكم من ده كلو، الداهية شنو الجات لحدّي الداخليّة؟.

لسة ما فقنا زي الناس من عذاب الغاز لقينا البوليس والشرطة وشرامة شايلين عصي وسيخ وملثمين مكابسننا في حوش الداخليّة والممرات ومعانا جوّة الغرف، بالله وقعوا في الناس دي صقع بدون فرز، كلنا أخذنا جلداتنا، لكن لمّ مرقونا برّة الغرف وشافوا أتيّم بزّي طلابّ كلّية الشرطة قاموا سحبوهو منّا بالقوة وطلّعوهو برّة الداخليّة كلها رغم مقاومتو، ورجعوا تاني بدوا يجلدوا فينا من الأول. اليوم داك إتبهدلنا بهدلة شديدة خلاص، كركرونا كلنا على القسم، وفتحوا فينا بلاغات ودخلونا الحبس، تاني حبس؟ يا ناس؟ بلاغات شنو كمان؟ قالوا بلاغات إزعاج عام وإثارة شغب، بسم الله الرحمن الرحيم؟ ياخي نحنا قاعدين في داخليتنا، إنتهكتوا خصوصيتنا وأذيتونا وكمان تلفقوا لينا في التهم؟.

قدر ما حاولنا معاهم بي جاي بي جاي، أبو يسمعو لينا كلو كلو، الزول الماسك القسم كان رتبتو كبيرة، بس الصراحة هو وكل الضباط المعاهو، وحتى العساكر الكانو في القسم ما بشبهو ناس مكافحة الشغب ديلاك الكابسون في الداخليّة نهائي، ياخ ديلاك صارّين وشهم طبيعي، عملت شي ولا ما عملت شي بمحطوك بمحطوك، شكلهم مدرّبين بس على كده ودي شغلانيتهم.

أتيّم إختفي من لحظتها، لكن كنت مطمئن، الزي اللابسو بحميهو، أو كنت بتمنى كده، المهم قضينا باقي وكنتا التعيس داك في الحراسة، صليت العصر والمغرب جماعة جوّة وسط المجرمين والمظالم، الحبس ما بفرز ليهو زول، بس حاولوا قدر الإمكان يفرزونا برانا من باقي المساجين، كان عددنا كبير، بعد المغرب بدينا نطلع بعد ما كتبنا تعهدات، وأمرنا لله، إننا ما نشير الشغب والما بعرفو داك، غايّو لبسونا التهمة ظلماً ووقعنا على الوريقة عشان نبقى مارقين.

مشينا إستلمنا حاجاتنا من قسم الأمانات، كانوا ملّصونا أي شي ممكن يتقلع، ساعات، موبايلات، أحزمة، قلت إحتمال كبير الأحزمة دي يكونوا بخافوا منها نقوم نكتل بيها بعض ولا ننتحر مثلاً، لمّ مرقنا لقينا أتيّم في إنتظارنا.

اليوم داك، ونحن راجعين على الداخليات تاني، عملناها ونسة وضحك وقرقرات بأعلى أصواتنا في الشارع، نحكي في المواقف والبلادي حصلت معانا، في ناس مساكين فقدت ممتلكاتها، وفي ناس الصندوق الداعم للطلّب والمسؤول عن الداخليات طردهم من سكنهم، ما عارف تفاصيل الحاصل شنو بالضبط، لكن

تاني يوم كان في لفّة جميلة في الجامعة، الطلّاب كلهم ورّعوا مناشير وإهتموا بالحصل لأخوانهم وأخواتهم في الداخليات، وبدت حملة تبرّعات بأي شي للجميع، في ناس فقدت ملابسها، وناس فقدت موبايالاتها، وناس فقدت حتى كتبها ودفاترها، بس التكافل كان جميل، وهناك من خلف أسوار الجامعة كانت بتجي تبرعات سخية من فاعلي خير، ما بتقدر ترصدها، لكنها كانت سخية وكريمة للحد البعيد، لدرجة كانوا بضبحوا خرفان كرامة لطلبة الداخليات.

الإسبوع البعدو أتيتم قال لي جاييك الجامعة، قلت ليهو يا أتيتم ياخ إنت زول كفوة، بتجيب لينا الهوا وبتمرق منها زي الشعرة من العجين، عليك الله خليك قبلك في الإشلاق أنا بجيك هناك زي ما تحب، أو تعال لي عند ناس عمّي، جاييك في الجامعة قال!.

\*\*\*

سألتني مها يوم بدون أي مقدّمات أو مناسبة ونحن في بداية سنتنا الثالثة في الكلية:

- حصل يوم سفّيت قبل كده؟..

وكانت بتقصد الصعوط طبعاً، عاينت ليها بدهشة، إستغربت سؤالها، صحي علاقتنا إتوطدت ببعض شديد، لحدّي ما دخلت بيتهم وإتعرّقت على أمها الكان رأيي فيها زمان إنها مرة لعلاعة وأبوها العرفت إنو نزل المعاش قبل شهور قليلة وكان موظف بنك كبير، وأخوها الوحيد الأصغر منها بسنوات واسمو هاني، وكانت مسمّيا هو ود حبوبتو لأنو نادرا ما يكون معاهم، دايمًا بكون متواجد مع ناس حبوبتو الرّبّو.

لكن ما كانت قاعدة تسأل من خصوصياتي شديد، ولا أنا ذاتي يوم سفّيت قدّامها ولا حتى شربت لي سجارة، طيب لزوم السؤال شنو؟ رديت على سؤالها بسؤال:

- ليه السؤال الغريب ده؟..

- لا بس ساي..

- عليك الله عايني هنا يا مها، أنا من زمان بقول ليك مافي حاجة إسمها ساي، حتى لو عقلك صوّر ليك المسألة ساي مؤكّد في باعث، في سبب..

بتهرّب كده تاني ردّت علي مصرّة:

- والله ساي..

ركّزت فيها شديد وأنا بسألها للمرة الثانية:

- مش هسي كنت بقول ليك مافي زول بقول كلام ساي؟ أنا متأكد لو فتشّتك بلقى في سبب ورا السؤال ده!..

قامت ضحكت، ولأنني بقيت فاهمها كويس، طوّالي سألتها:

- لقيتي منو بسف وضايقك؟..

إتعودت مني نوعية المداهمات دي، بقت عارفة أنا فاهمها كويس، مع إنني ما بدّي نفس قلادة على الحاجة دي، لأنو قدر ما أفكر نفسي فهمت البنات كويس بلقى الحكاية إيك لسّة بدري عليها، عايزين ليهم زول يتفرّغ ليهن عشان يفهمن كويس، يبدوها معاهن من مرحلة البكالوريوس وبعدها الماجستير، يمكن لحدّي الدكتوراة كده، وإحتمال كبير يكون يا دابو فكّ ليهو طلسمه أو طلسمتين عن المرأة!.

حتى مها صحبتي دي ذاتها، مرات كده عندها حاجات أو بسميّها حالات، بتقوم عليها ما تقدر تفهما، ممكن تكون في مود كويس، فجأة بلا سابق إنذار تقوم تقلب المود مية وتمانين درجة، ليه؟ ما تعرف السبب، هل للطقس علاقة بالموضوع؟ هل هي حالة نفسية متعلّقة بالمرأة؟ هل وهل؟ بس شاكر ربي تقلّباتها دي ما قاعدة تقع فيني أو تكون معاي. ما عاينت لي في وشي لما ردّت:

- التمباك ده حاجة قبيحة خلاص!..

برضو ما لقيت إجابة مفيدة، طيب ليه سألتني؟ عايزة تراعي لي مشاعري قبل ما ترد على مثلاً؟ برضو رجعت لسؤالها ثاني:

- أها ما قلت لي، بتسف؟..

- كنتا..

عاينت لي بإستغراب، ولاحظت التقزز في وشيها، ولكن أصرّيت أواصل كلامي طالما بدت الكلام:

- أيوة كنت بسف، عندنا في الحِلّة موضوع الصعوط والتمباك ده حاجة عادية، زي نوع من الثقافة المنتشرة، صحي كانوا يحاولوا يمنعونا ونحنا صغار، لكن عادي ممكن تلقى أطفال من عمر عشرة أو إتناشر سنة بسفّو.

- عادي؟!..

- أيوة عادي، تصدّقي؟!..



صنّت شويّة كده، شكلها كانت بتضيفها للحكاوي الكثيرة الكانت بتسمّعها  
مني عن حلتنا، لَمَن بقت زي الكأنها بتعرفها حتة حتة، كان نفسها تمشي تزورها  
في يوم من الأيام:

- جرّبت حاجة تانية؟..

- حاجة تانية زي شنو؟..

- أي حاجة تانية..

عرفتها ما عايزة تحدّد لي شي معين، عايزاني أنا أنبهل بالعندي من غير ما  
تحدّد لي طريق للإجابة، ما كانت فارقة معاي، ما قاعد أخجل أو أدس حاجاتي،  
لأنّي بعترها تجربة مرت بي خيرها وببي شرّها قبل كل شي، تجربة إحتمال  
تفيدني في يوم من الأيام لَمَّا يكونوا عندي أولاد يقوموا يدخلوا طور المراهقة  
الخطيرة وتبدأ المشاكل، ثم ثانيا أصلا صلتني بالحاجات دي إنقطعت ليها زمن،  
وتاني شي علاقتي معاها علاقة ثقة، قمت رديت عليها من الباب ده وأنا بضحك:  
- طبعاً أموت وأعرف الليلة مقبلة على مالك! عايزة تعرفي؟ طيب حاضر،  
أربطي حزامك لأنك فتحت خط النار..

قامت ضحكت ضحكة حلوة بريئة فيها الكثير من الإنفعال.

- جرّبت السجائر، مش السجائر بس، جرّبت البنقو كمان!..

خلعتها كانت حقيقية، وهي بتعقّب:

- بنقو؟..

- أيوة بنقو، لكن مرة واحدة بس، وعملت فيني عمايل ما يaha، لكن أقول ليك

حاجة؟..

- أها..

- أنا مبسوط من نفسي إني جرّبتو رغم إني ما مفتخر بالتجربة..

- كيف؟..

- على الأقل عرفتو هو شنو، ويعمل شنو، ما محتاج زول يقول لي بعد كده..

- طيب على كده شربت عرقي ولا وسكي وجرّبت تسكر..

- السكر لا، ده نهائي ما قرّبتو..

- ليه لأ؟..

- يمكن عشان ما جاتني فرصة أجربو..

- يعني لوجاتك الفرصة حتجرب؟..

- لأ..

- ليه؟..

- لأئو الحاجات الذكرتها ليك دي كانت متوفّرة ومتاحة لي في سن وفرة معيّنة من حياتي، فأني حاجة كانت في متناول يدي وكتها جربتها، بس ما كان قدّامي سكر، و إلا إحتمال كبير كنت جربتو برضو!..

قمت إندكرت ناس ليدو وشلّتو، و واصلت:

- بالمناسبة، حتى السطل بالسلسيون جربتو..

- ياخي إنت طلعت كارثة!..

- زمن الكوارث وليّ يا زولة، لو عرفتيني في الأيام ديك مؤكد كان إتسلطتني معاي..

وقعدنا نضحك مع بعض، كانت بتضحك من جوة قلبها، ثاني ما سألتني أي سؤال، ولا رجعت سألتها عن سبب أسألها، ما دام ما قالت معناها ما عايزة تقول، قلت خلاص أخليها بي راحتها، خشينا باقي محاضراتنا وكنا بنقعد طوالي مع بعض، إنتهينا حوالي الساعة أربعة ونص وجينا مارقين كالعادة سوا.

في الغالب بنتفرّق من المين لو أنا بقيت راجع على علوم أفتش على عبدو، أو نطلع برة الجامعة نقيف قدّام البوابة، بقوم أنتظرها لحدّي ما تركب المواصلات المتجهة غربا، قبل ما أقوم أمشي أقطع لحدّي الشارع الثاني عند شارع الجمهورية أركب من هناك، لأئو إتجاه مواصلاتي عكس إتجاه مواصلاتها تماما. لما وقفنا في المين وقبل ما أودّعها، شعرت بيها مبسوبة بدون سبب ظاهر، تحس بيها روحها محلّقة في العالي ومنشركة جدا، قمت سألتها:

- الليلة ما شاء الله عليك بسحروك، شايفك مبسوبة، أها إن شاء الله خير؟ تكون دي المحاضرات التعيسة دي عجبك ولا شنو يا ربّي؟..

كان في وشها أجمل إبتسامة أشوفها عليها وهي بترد:

- بكرة بورّيك، بس تعال بدري..

- طيب، يا يوم بكرة ما تسرع تخفف لي نار وجدي، خلاص حاضر يا ستي، خلاص نخليها لبكرة..

كنت بقتبس ليها من أغنية محمد الأمين وكأني بشاركها فرهدتها، وأعكس ليها شوقي ليوم باكر.

\*\*\*

في اليوم الثاني نسيت ليك موضوع مها نهائي، طلع من بالي، كان عندنا محاضرتين خفيفات وأنا عندي موضوع مهم مفروض أنجزو لأبوي في البلد مؤجلو لي كم يوم، إتفقت مع عمّي أمشي ليهو السوق لأنو حيساعدني فيهو، أها قمت إستغلّيت الفرصة ودكيت المحاضرتين، لما إنتهيت لقيت في فرقة زمن ممكن أمشي الجامعة، مع إنو أصلا أنا داكّي ومافي سبب يرجّعني ليها، مش قلت ليكم فيها جاذبية؟.

الساعة كانت حوالي إثنين ونص لمن وصلت الجامعة، في الفترة دي كانت مها ضربت لي زي مرتين ثلاثة في الموبايل، بس كنت مشغول شديد وكل مرة أقول أرجع ليها أنشغل لحديّ ما نسيت مسكولاتها ذاتها، ما إتذكّرتها إلا لمن دخلت بي بوابة الجامعة وأنا بقلّب في موبايلي.

أول ما خشيت بالمين لقيتها قاعدة في البنش بتاعي المسمياهو "بنش حسين"، جيتها هاشي وباشي، لكن لقيت البت مركبة لي وش ككو.

- بسم الله، مالك يا مها؟ في شنو؟..

- أنا زعلانة منك..

- مني أنا؟ ليه؟ زعلتك في شنو؟..

- إنت ما ناسي حاجة؟ مش مواعدني الليلة تجي بدري؟..

صراحة ما متعود من مها تزعل مني أبدا، دايمًا بتخلّي مساحة بيني وبينها، لا أنا بملاها ولا هي بتملاها، حاجة زي فاصل غير مرئي متعارف عليهو بيناتنا نحنا الإنتين بس، حاجة زي الفاصل المداري، مسميهو بيني وبين نفسي فاصل "حاجاتي وحاجاتك"، لا هي بتتعلّق بحاجاتي ولا أنا بتعلّق بي حاجاتها، وفي النص ردم وحشو ثقيل، مراتب، ملايات، قطن، سفنجات، حبوب بندول، أي مصيبة تخطر على بال الزول عندها علاقة بالعواطف نحنا دافسناها هناك. أها، يبقى لو البت دي زعلت مني معناها فعلا حاجة كبيرة، ومافي حاجة تخليها تعمل كده إلا أكون ضايقتها شديد، قمت حسيت بالندم، رغم إنّي لسّة ما فاهم ولا مستوعب هي شنو الحاجة دي، المهم كنت قررت أخفف عليها زعلتها مني بأي طريقة كانت وأنا لسّة بسأل في نفسي، الخرابة؟ طيب لو ما كنت جيت الليلة كانت حيحصل شنو؟:

- طيب ولا يهّمك يا ستّي، معليش حقك علي، خليني أعزمك عصير بارد يهدّي أعصابك شويّة، وأنا تاني كلي ليك أذان صاغية أسمع قصّتك..

- ما عندي نفس!..

رَبَعْتُ يَدَيَّ بِسُرْعَةٍ ضَرَبَتْ بِيَهُم صَدْرُهَا بِعَصْبِيَّةٍ، غَايَتُو، أَوَّلَ مَرَّةٍ أَحْنَسَ لِي  
بِتَ فِي حَيَاتِي غَيْرَ سَوْمًا، حَنَسَتْهَا جَنْسَ تَحْنِيسَ اللَّحْظَاتِ دِيكَ، لَوْ كَانَتْ أَيْ بِتَ  
تَانِيَّةً كُنْتُ قَلْتُ لِيهَا بِي جَارَكَ مَعَ الْمُرَاعَاةِ، وَالْعَجَبُ لَوْ وَلَدَ دِيلُ الْوَاحِدِ بِيَاخِ  
مَعَاهُمْ رَاحَتُو لِلْآخِرِ، فِي الْغَالِبِ بَكُونُ جِلَاہِمُ تَخِينُ. أَهَّا بَقِيْتُ أَحْنَكُ فِيهَا لِحْدِي  
مَا نَزَلَ مِنْهَا وَرَجَعْتُ لِيهَا إِبْتِسَامَتَهَا وَخَفَةُ رَوْحِهَا مِنْ تَانِي، لَكِنْ تَفَوَّتَهَا لِي كَدَهُ  
سَايَ بِالسَّاهِلَةِ؟.

- لِيهِ مَا رَدِيتَ عَلَى تَلْفُونَاتِي؟..

- وَاللَّهِ يَا مَهَا كُنْتُ مَشْغُولٌ، أَسْفَ يَاخَ، شَفْتُ تَلْفُونَاتِكَ، مَا بِكَضْبٍ، بَسَ كُلِّ  
مَا أَقُولُ أَرُدُّ عَلَيْكَ أَنْشَغُلَ، أَهَّا يِلَا خِلَاصَ، فَضَّيْتُ السَّيْرَةَ، خَلِينَا نَمَشِي نَضْرِبُ  
لِينَا عَصِيرَ فَرْشٍ يَهْدِي أَعْصَابَنَا.

الْيَوْمَ دَاكَ كَانَ الْجَوُّ أَصْلُو مَسْحَنَ، مَوْلَعُ نَارِ زِي مَا بِنَقُولُ، غُلْطَانُ الْبُحُومِ  
فِيهِو بِالْنَهَارِ، وَأَنَا كُنْتُ وَاحِدٌ مِنَ الْغُلْطَانِينَ دِيلَ، حَمَتِ السُّوقُ الْعَرَبِيَّ لَمَّا رَاسِي  
كَبَسَ، بَسَ مُجْبِرٌ أَنْتَهِيَ لِأُبُوي مِنْ مَوَاضِيْعُو، لَكِنْ النَّهَارُ فِي الْجَامِعَةِ غَيْرُ، مَا  
بَشَبَهَ نَهَارَاتِ الْخَرْطُومِ الْعَاصِفَةِ، النَّهَارُ فِي الْجَامِعَةِ لَذِيذٌ وَرَاقٌ، مَا بَتَشُوفُ  
شَمْسَ إِلَّا رُقْرَاقَ بَيْنِ صَفْقِ الشَّجَرِ، أَوْ تَمَشِّي تَقْتَشُّ لِيهَا بَرَكَ مَحَلِّ مَا فِي ضَلَلَةٍ.

أَهَّا قَمْنَا مَشِينَا كَافْتِيرِيَا عُلُومَ، بَقِيْتُ مَتَعَوِّدٌ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ كَافْتِيرِيَتِنَا، يُمْكِنُ  
عِشَانُ وَاسِعَةٍ، رَغْمَ الْكُتْلِ الْبِشْرِيَّةِ وَاللَّخْمَةِ اللَّيِّ فِيهَا، أَوْ يُمْكِنُ عِشَانُ قَرِيبَةٍ مِنْ  
النَّيْلِ وَأَنَا بَعِشَقُ النَّيْلِ، اللَّهُ أَعْلَمُ، الْمَهْمُ كُنَّا مُحْظُوظِينَ لَقِينَا لِينَا كَرْسِيِّينَ وَتَرْبِيزَةَ  
فَاضِيَّةً، طَوَّالِي قَعْدَتَهَا حَجَزَتْ لِينَا الْمَكَانَ، وَمَشَيْتُ أَجِيبُ الْعَصِيرَ عِشَانُ أَرْجَعُ  
أَشُوفَ الْعَنْدَاهَا. الْكَافْتِيرِيَا كَانَتْ زَحْمَةً، النَّاسُ كُلُّهَا عَطْشَانَةٌ وَعَايِزَةٌ تَرْطَّبُ، بَعْدَ  
مَسَافَةِ جَيْتِهَا رَاجِعَ، لَقِيْتَهَا بِتَقَلُّبٍ فِي صُورٍ مِنْ كِرَاسٍ مُحَاضِرَاتٍ، قَمْتُ سَأَلْتُهَا:

- دِي شَنُو؟..

- دِي الْمُحَاضِرَاتِ الْفَاتِتْكَ، صُورَتَهَا لِيكَ..

مَدَّتْ يَدَهَا وَخَتَّتَهُمْ قَدَّامِي عَلَى التَّرْبِيزَةِ قِصَادِي.

- يَا سَلَامَ عَلَيْكَ، مَا قَصَرْتِي وَاللَّهِ!..

نَاوَلْتُهَا عَصِيرَهَا، قَرَطَعْتُ حَقِي بِسُرْعَةٍ، لِأَنَّهُ الْجَوُّ كَانَ مَلْهَبًا، مَفْعُولُو ظَهَرَ  
فِينِي فِي لَحْظَاتٍ، شَعَرْتُ بِرَاحَةٍ كَبِيرَةٍ، وَمَزَاجِي رَاقٌ، وَكُنْتُ جَاهِزٌ أَسْمَعُ الْعَنْدَاهَا،  
أَهَّا قَمْتُ سَأَلْتُهَا بِإِبْتِسَامَةٍ مُرَطَّبَةٍ الْمَرَّةَ دِي:

- أَهَّا يَا سَتِي، يِلَا أَحْكِي!..

- كَدِي أَوَّلَ حَاجَةٍ قَوْلَ لِي..

- أقول ليك شنو؟..

- كان عندك علاقة قبل كده؟..

- هههه، ده باقي مسلسل أمس ولا شنو؟..

إكتفت بإبتسامة، ما ردّت، لكن قبلت على جسمها كلوزي طالب مع أستاذو، صنيت مسافة أفكر، وأتذكر، طوال السنوات الفاتت ما كان عندي تجربة يقولوا عليها تجربة بالمعني.

- أنيم، صاحبي متذكرا هو طبعاً مش؟..

- أيوة..

قمت حكيت ليها قصتي أو قولوا مغامراتي في الإشلاق، من طقطق لحدّي السلامة عليكم، قلت ليها دي أول مرة أتعلق لي بيت، وكان إسمها ندى، لكن أنا ذاتي ما بعترها تجربة، بعترها علاقة عابرة في فترة مراهقة، لأنو علاقتي بيها ما كانت بتخلو من إثارة وإيحاءات جنسية، ما كانت تجربة حب بالمعني المفهوم والمعروف.

أها كمان قعدت أتفلسف ليها شوية في الحنة دي، إنو الحب يعتبر في حد ذاتو وسيلة ما غاية، وسيلة لغاية تانية إسمى وأنبل، بعدو الحقيقي بقود لغريزة دفينة، هي غريزة البقاء البتحتاج للجماع، يبقى أي حب مفترض في النهاية يتوج بالحاجة دي، ونحنا كبني آدميين متحضرين ومتمدنين وبالضرورة طبعاً ملتزمين ومتدينين، وبعيدا عن السلوك الغرائزي الحيواني، ما بننحط أو نقفز مباشرة لحنة الغرائز دي، لأننا بنشوف إنو المشاعر هي الأسمى والأعلى والأغلى والأوثق برضو، والإهتمام بين أي شاب وفتاة ما مفترض يصل لحنة إرضاء الغرائز دي إلا بحقها ويكون بالإرتباط أو الزواج الشرعي، وإن كان في نوعية من الناس درجت على سلوكيات الإنحطاط.

الشي الثاني، ربنا قال وجعلنا بينهما مودة ورحمة ما قال جعلنا بينهما حبا وعشقا، ليه؟ ببساطة لأنو الغريزة نزوة بتحتاج للإرضاء، أول ما تلقى الإرضاء بتنطفي وتنزوي مباشرة، والحب مهما تعمق وتعقدت كيميائه مصيره يخفت بمرور الزمن وييهت، الحاجة الوحيدة البتفضل وعاء شامل ولامي الحاجات دي كلها مع بعض هي المودة والرحمة، والمودة والرحمة ما بتجي إلا بعد الإرتباط والزواج، أو بالأصح، من اللحظة البتم فيها التوقيع علي العقد الشرعي بين الزوجين، وكأنها بتنزلها الملائكة في موكب مهيب في اللحظات ديك.

كانت بتستمع لي باهتمام، وحسيت إنو عندها سؤال في حنة معيّنة عايزة تسأل منو لكن محتارة كيف، قلت أجيها أنا من الآخر:

- لو عايزة تسأليني إذا ما حصل شي بيني وبين ندى، لأ ما حصل شي!..
- قامت تضحك بقهقهة، يخيل لي عبرت وشيها مسحة إرتياح.
- طيب خلّيتها ليه؟..

- أصلاً ما إرتحت للفكرة، أو قولتي التجربة، لما أكون قريب منها بكون بفكر بغرائزي، كنت صغير وما عندي تجربة عاطفية قبلها تخليني أفرز حاجاتي من بعض، يعني أفرز مشاعري من غرائزي، ولا عندي الإمكانية دي في الوكت داك، لأنو الحاجات دي ما بتلقيا مكتوبة في دليل مثلاً، بتكون عبارة عن فكرة ضبابية ومخلوطة في بعض، فكنت تحت تأثير إثارة قوية، والإثارة دي غصبا عني، وما بيدي، كانت بترغبتني بشدة في جسدها. أها لما أبعد منها التأثير بزول بدرجة كبيرة، ويرجع لي جزو كبير من عقلي الكان مغبّش بعاطفتي، بلقى نفسي في حالة لوم بالكوم، ودي اللحظة اليا الواحد إترجع عندها أو وقع في المستنقع، والله أعلم إذا وقعت في المستنقع ده كان حيحصل شنو، هل حاقدر أمرق منو تاني ولى لأ؟..

قمنا الإثنين سكتنا، مافي زول فينا إتكلّم، شكلها كانت بتقلّب الكلام في راسها وخاتة كبايتها البقت فاضية بين أصابعينها تلعب بيها، وأنا سرحت، رجعت بعيد في شريط الماضي وذكريات التجارب المرت بي، لمن فقت من سرحتي كانت لسة ساكنة.

- أها طيب، ممكن أسأل أنا؟..

- أكيد..

- لحدّي هسي ما حكيتي لي، يلا ممكن تحكي؟..

- قبل ما أحكي عايزة أسألك..

- تاني؟ الليلة غايتو جبتي آخري..

ضحكت، وضحكت معاي، لكنّها قطعت ضحكتها وشكلها بقى جاد وهي

بتسأل:

- طيب، ما ملاحظ لسارة عباس ونهلة عمر؟..

- بناتنا؟..

- أيوة..

- مالهم؟..

- ما ملاحظ ليهم معجبات بيك؟..

قمت سكت مسافة، ما قاطعت صمتي، خلتني في سكوتي، لكن كانت بتراقب كل حركة في وشي وجسمي وأطراف أصابعيني وأنا مذكر في اللحظات ديك ماسك لي قشة ناشفة بدور بيها في باقي أتر عصير في التريزة، قمت رديت بجدية:

- لو قلت ليك ما ملاحظ بكون كضبتا، ملاحظ وعارف، السنة فاتت نهلة سألتني إذا كان عندي معاك علاقة..

قامت قاطعتني رافعة حواجبينها وعيونها وسعت وبقت كبيرة:

- هي إتجرات؟..

قمت ضحكت:

- أيوة سألتني، قلت ليها لأ، مها دي زولة صديقة عزيزة علي وفردة للدين ما أكثر من كده، قامت طوّالي طرحت لي..

- كمان! أها؟..

- بس..

- بس شنو؟..

- بس إعتذرت ليها بطريقة كويسة، قلت ليها أنا ما زول إرتباطات ولا علاقات..

قامت سكتت.

- ياخي إنتي شغالة تزرزري فيني من قبيل، حتحكي لي متين إن شاء الله؟..

كانت المرة دي هي المندقرة في التريزة، بتعاين في نحلة جات رگت في راس كبّايتها، وشكلها شاردة بعيد. لكن قبل ما تقول أي شي ولا تعلق، فجأة الكفاتيريا كلها جاطت وماجت، رفعت راسي بعين في الجوطة عايز أفهم، لقيت في زول لابس ليهو جلابية قصيرة وملتحى ومكرضم وشيهو شاييل ليهو خرطوش موية أسود واقف في راسنا:

- هذا من حبال الشيطان!..

\*\*\*

- شنو؟..

ضرب التربيذة بخرطوش الموية بكل قوتو زي العايز يوصل رأيو بالإرهاب:

- قعدتكم ولتكم دي من فعائل الشيطان، قوموا من هنا..

طوّالي قمت على حيلي:

- يا زول تقوم قيامتك، شيطان غيرك إنت ده هنا مافي!

- يا زول أحسن ليكم تفرتقوا قبل ما نفرقتها في راسكم..

- إنت يا زول ما نصيح ولا شنو؟ قوم لف كده ولا كده بلا يخمك..

طوّالي رفع الخرطوش وعايز يضربني، رفعت يدي سريع وثبت الخرطوش في

الهوا لأنو كان قريب مني، إلتقت على مها:

- قومي من هنا سريع!..

إترددت في الأول، تاني قمت نهرتها، طوّالي لمت الحاجات من التربيذة وقامت جارية بعيد، أول ما إتحركت إطمانيت شوية، وبقيت في مصراعة حرّة بيني وبين أب جلابية ده، بالله الراجل ما عارف ماكل شنو، سمين سمن، وتخين تخن، لكن والله مش يبقى سمين، الليلة يا أنا يا هو، جابت ليها قلة أدب كمان وعايز يعلمنا الدين؟.

بقينا في صراع عنيف مع بعض، الكافتيريا كلها كانت جايطة اللحظات ديك، فيهم الكان بجرى وفيهم الثبت وكان بضارب في الجماعة. بعد صعوبة قدرت ألقع الخرطوش من زولي، وقعت بيهو فيهو محط، أصلو ما إتخيلتو بعد صرّت وشو وجديتو الكبيرة دي يقوم جاري، أتايهو طلع هراش ساي، وأنا جاري وراهو وممتّع نفسي بالمحط، وهو جاري وبكورك:

- يا إخوان، يا إخوان!..

بس نكّرني المعارك التاريخية بتاعت ناس زمان، قولة يا "إخوان" دي الجماعة سابوا البعملو فيهو وقلبو علي، الشايل ليهو خرطوش والشايل ليهو عصاية، ولقيت نفسي محاصر، ما عارف لو كنت ما محاصر كنت حاقدر أجرى؟ أصلو ما حصل يوم جريت من شكلة. المهم، بعد شوية عينك ما تشوف إلا النور، وقعوا فيني ضرب ضر لحدّي ما فقدت الوعي، زول قدر ينجدني في اللحظات ديك مافي.

ما وعيت إلا بعد مدة، لقيت شباب كتار متلمّين فيني، وفي معوقين غيري، كانوا رشوني بالموية وبلبلوا راسي ورقبتي وقميصي، لقيت عبدو كان تاكلني من شهرى، ومها قاعدة على ركبها جمبي تبكي، الكافتيريا شكلها زي ساحة معركة،



الكراسي طائيرة والترابيز مقلّبة، وأنا بنزف، واحد من الشباب كان يحاول يوقف  
النزيف من جبهتي.

شالوني مدروخ جروا بي على الكليتك، الدكتور أصّر أرقّد ساعة على الأقل  
لحدّي ما ياخدو لي صور أشعة ويكشفوا علي ويخيّطوا لي جروحي، بعد شويّة  
الناس كلها هجّت، فضلوا معاي بس عبدو ومها، مها ما عايّزة تسكت من البكا،  
حننّتي.

- يا مها ياخ أخوك صنديد وبتاع عكاكيز ساي من زمان!..

دعابتي ما جابت همّها، البت ما عايّزة تسكت، إستمرت بالحالة دي لحدّي ما  
إنتهيت من الكشف وخيّطوا لي جروحي، عبدو مشى يتفق ليهو مع بتاع تاكسي  
يرجّعنا البيت، قمت طلعت من العيادة، شانقين لي يدي الشمال بي حمّالة، كانت  
لسّة فيها خدر من الرضوخ الثقيلة، شلت صورة الأشعة بيدي الثانية ومرقت بيها  
على مها وأنا يحاول أطمّن فيها:

- أها شايقة؟ الصورة أهى نضيفة، مافي أي شي الحمدلله!..

فجأة وبدون أي مقدّمات قامت باغتنتني، نطت لي جوّة صدري لمّن طلعت مني  
آهة من الصدمة والدهشة، حضنتني زمن وهي لسّة بتبكي، ما لقيت مفر غير إني  
ألف يدي الشايقة صورة الأشعة حول رقبتها وأطببط عليها في ضهرها، وبصوت  
حنين وواطي:

- والله أنا كويس يا مها، كفاية كده!..

قامت إتفجرت بكا بصوت أعلى:

- كانوا حيكتلوك لي!..

يكتلونى ليها؟ الكتراية، البنيّة دي بتقول في شنو؟ بتعرّني قدر ده؟ يا سلام  
ياخ، في ناس بتعرّك قدر ده؟ واصلت أطيّبط في ضهرها:

- ولا يهكم يا زولة، أنسي خلاص، بكرة دي برجع الجامعة عادي زي المّا  
حصل شي، قامت زحت راسها من كتفي رجعتو ورا عشان تعالين لي في وشي  
وجوّ عيوني، وهي لسّة في حضني:

- حسين إنت ما فاهم!..

سألته بعيوني، إترجيّتها تتم باقي كلامها، ما فاهم شنو؟.

- حسين أنا بحبك!..

ورجعت دسّت وشها من تاني في كتفي.

قلبي عمل شح، ضرب بشدة وعنق، وأنفاسي بقت تنقطع، وبقيت أرجف،  
الليلة سجم أمك الراجياك يا حسين!.

\*\*\*

ما قلت ليها البغم، كضمت كلو كلو، وما عارف الرجفبية دي من الحمى أم برد  
بسبب ضربة راسي ولا من كلامها؟ قدّمتني مع عبدو لحدّي التاكسي، خليناها  
واقفة جمب الكلنك، أديتها نظرة وداع قبل ما التاكسي يتحرّك، كانت إتماسكت  
شويّة وخلت البكا، لكن دموعها لسّة جارية وتمسح فيها بالمنديل، بينما أنا كنت  
بعاني من السقوط الحر في فراغات بين جنبات ضلوعي.

اليوم داك ما قدرت أنوم خالص، طار مني النوم وجافاني، راسي شغال تفكير  
في تفكير، وجسمي ما قصّر كمان، الليل كلو كان بنتج، ما نمت إلا قريب الفجر  
بعد ما دبلت الحبوب المسكّنة، صحيت حوالي الساعة حادش ونص بصدا ع  
شديد، عمّتي النعمة الله يمتّعها بالصحة والعافية كانت واقفة فوق راسي بالخدمة،  
ما قصرت معاي، قالت لي عمّي مرق قبل ساعة بس، كان مقلّق عليك وقال  
يضربو ليهو أوّل ما تصحى، فعلا إتصلت عليهو بنفسي وطمنتو.

سوما وبكري وعبدو برضوا ما قصّروا معاي، وصيّت الحاجة شديد ما تجيب  
سيرة لناس أمي وأبوي، ما عايزهم يقلّقوا ويقوموا يتغلّغلو ويقولوا إلا يجوا  
الخرطوم. كنت الوكت كلو بفكر في الحصل مع مها، كيف فانت على دي؟ هسي  
بقت لي واضحة شديد، لكن بعد شنو؟ بعد ما الفاس وقع في الراس؟ لو بس  
ركّزت شويّة كنت عرفتها قبل ما تضطر تقول أي حاجة، أصلو ما ختيت ليها  
بالي، يا ربي كنت مشغول بشنو؟.

كنت مغيوط شديد من نفسي، حاسي إنني إختيت في حنة ما مفترض أقع  
فيها بالسهولة دي، ما لقيت الفرصة أو الوكت أمنع الحاجة دي تحصل، كان لازم  
أثبتها قبل ما تحصل عشان خاطرها وعشان خاطري، أنا ما زول حب وعلاقات  
وجكيس والذى منو، هسي في بالي حاجة واحدة بس وهي الموتراني، وهي إنو  
علاقتي بمها تاني عمرها ما حتستعدل ولا حتبقى عادي، عمرنا ما ممكن نبقى  
أصحاب زي الأول، لأنو واحد مننا عبر الخط الممنوع، الخط الرسمناهو بأيدينا،  
الحنة دي كانت مؤلّاني جدا جدا، رغم قناعتني التامة إنو مها ما فيها أي شي  
يتعاب، نهائي!.

\*\*\*

مع العصر كَلَيْتْنَا كلها كانت كاسرة عندنا، أولاد على بنات، كفّارات ثقيلة، بين الناس كنت بفتش عن مها، وين مها؟ ليه ما جات؟ لقيت نفسي لا إراديا بفتش عليها، أصابني الإحباط، غضبت منها، كيف ما تجي في ظروف دي؟ مش قبل شويّة كانت بتقول لي "بحبك"؟ إجتريت إعترافها لي مرغم، هو نفسو الآنّا كنت بحاول الزوغان منو، أو التفكير فيهو. ما جاب تساؤلي عنو إلا إستنادي عليهو في لحظات غضبي من عدم جيّتها.

من ضمن الحضور كان في شاب متدينّ وهاديء من أولاد دفعتنا بحبو جدا إسمو حسام، حسام ده مهما كنت جايط وفي قمة شغبي مع الشباب في الجامعة لَمَ يجي ولا أشوفو، طوّالي برخي وأجر واطي، بفرض علي إحترامو بشكل مذهل، ما بهاترو ولا بهاطر زينا، في أثناء ما الشباب كانوا بيتوتّسوا وبتكّتوا على الحصل، قمت قبلت عليهو وكان ما بعيد مني وسألتو:

- رأيك شنو يا حسام في الحصل ده؟..

- والله يا حسين ما مقبول نهائي..

الشباب الحلوين كانوا برضو بحترموه بنفس القدر، أول ما بدا يتكلّم بدوا يهدأوا شويّة شويّة ويسمعوا في الحوار.

- هل يعقل ده يكون شكل أمر بالمعروف ولا نهى عن منكر؟..

- لأ طبعا يا حسين، الدين السماحة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر ربّاني، مشكلتنا دائما ما في التشريعات، مشاكلنا في التطبيق، وللأسف الدين عندنا بقى عبارة عن شيوخ وأتباع، طرق وأشياخ، وكل فئة شايفة نفسها هي الأصح وهي الأولى بالإتباع، وفيهم زي ناسك القابلوك ديل شايفين إنو الدولة مقصّرة في التطبيق، بالتالي واجب مقدّس إنو يتحركوا هم من تلقاء نفسهم ويتصدوا للبحكموا عليهو غلط بالطريقة البشوفوها مناسبة!..

- كلامك رائع وموزون يا حسام، ويبدخل القلب بارد بسلام..

- البلد دي مهما كانت المظاهر السلبية فيها كترت لكن لسة شبابها فيهو خير كثير، بس المشكلة زي الجماعات دي بتنقّر من الإلتزام والتدينّ الصحيح أكثر مما ترغّب فيهو، لو واصلنا بالمّنوال ده وبشكل الإختلاف بين الجماعات دي، مؤكّد شبابنا حيخش في معضلة تانية، حيخش في مرحلة من التوهان وفقدان البوصلة، صدّقني حتشوف ملحدّين شوف عين عيان بيان، أقصد مش حيلحدوا بس، حيصلاو مرحلة إعلان إلحادهم عديل ونحنا حنكون شهود عيان..

- الكلام البتقول فيهو ده مخيف والله يا حسام..

أَمَّنُوا كَثِيرِينَ عَلَى كَلَامِي هَمَّهَةٌ وَهَزَ رَأْسُ.

- فَعَلًا مَخِيفٌ، لَكِنْ دِي الْحَقِيقَةُ، التَّعَصُّبُ وَالنَّعْرَاتُ عَمَرُهَا مَا بِتَقْيِدٍ وَلَا بِتَقْدَمٍ..

- وَكَانَ شَفَتٌ وَشَوْشَهُمْ وَعَبُوسُهُمْ تَسْتَغْرِبُ!..

- حَقِيقِي، الْوَاحِدُ فِيهِمْ لَوْ شَكَلُوا مَا كَدَهُ بِفَتَعَلِ الْمَظْهَرِ دَهْ، بِفَتَكُرُوا إِنْو الزَّوْلُ الْمُنْتَدِينَ لَازِمٌ يَكُونُ حَازِمٌ وَصَارِمٌ..

الشَّبَابُ كَانُوا مُتَابِعِينَ الْحَوَارِ بِإِصْغَاءِ تَامٍ، وَبَهَزُوا فِي رَأْسِهِمْ مُؤْمِنِينَ عَلَى كُلِّ كَلِمَةٍ بِقَوْلِهَا حَسَامٌ بِدُونِ مَا يَقَاطِعُوهُوَ، بَعْدَ مَا حَسَامٌ إِنْتَهَى مِنْ كَلَامِهِ حَتَّى الْمَوْضُوعُ أَخَذَ حَظُّهُ مِنَ النِّقَاشِ بَيْنَاتِهِمْ بَرَاءً مُخْتَلَفَةً، كُنْتُ مَبْسُوطٌ مِنْ شَكْلِ الْحَوَارِ الدَّائِرِ قَدَّامِي، مُتَابِعٌ مِنْ غَيْرِ مَا أَدْخَلَ أَوْ أَقَاطَعَ، شَبَابٌ فَعَلًا وَاعِيٌ وَبَعْرِفٍ يَنْقَاشُ مَشَاكِلَهُ بِدُونِ أَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ التَّوْجِيهِ أَوْ الْوَصَايَا، بِالْجِدِّ يَحْسُسُوكَ إِنْو الْبِلَادُ لَسَّةٌ بِي خَيْرٍ.

أَهَا إِسْتَمَرُّوا فِي نِقَاشِهِمْ دَهْ حَتَّى بَعْدَ مَا إِسْتَأْذَنُوا مِنِّي، وَبَقُوا مَارْقِينَ عَلَى بَابِ الشَّارِعِ، شَكَرْتَهُمْ مِنْ جَوَّةِ أَعْمَاقِي، أَجْمَلُ إِحْسَاسٍ إِنْو يَكُونُ عِنْدَكَ أَخْوَانُ وَأَخَوَاتُ فِي الْحَارَّةِ، وَبِقِيْفُوا مَعَكَ مِنْ غَيْرِ مُقَابَلٍ، دِي حَاجَةٌ مَا بِتَقْدَرُ بِتَمْنٍ، عَشَانُ كَدَهُ بِحَبْهِمْ مِنَ الْأَعْمَاقِ وَبِحَسِّ تَجَاهِهِمْ بِتَقْدِيرٍ وَإِحْتِرَامٍ مَا إِعْتِيَادِي.

لَمَنْ بَقِيتُ بِرَأْيٍ لَقِيتُ نَفْسِي تَانِي رَجَعْتُ أَفْكَرَ فِي مَهَا، مَسَكْتُ التَّلْفُونَ عَايِزُ أَضْرَبُ لِيهَا، أَلُومَهَا، مَهْمَا كَانَ الْحَصْلُ مَا بِخَلِّي النَّاسَ تَبْعِدُ فِي لِحَظَاتِ زِي دِي، قَبْلَ مَا أَضْرَبُ لِيهَا تَلْفُونِي كَانَ بِيضْرَبُ فِي يَدِي، عَايَنْتُ لَقِيتُ:

"مَهَا يَتَصَلُّ بِيك"، فَتَحَتِ الْخَطَّ:

- أَلُو؟..

- أَهْلَا حَسِينَ كَيْفَكَ، وَبَقِيتُ كَيْفَ؟..

كُتِمْتُ غِيْظِي وَمَا حَبِيتُ أَنْفَجَرَ فِيهَا وَشَ طَوَّالِي، الرِّخَانِي أَكْثَرُ، صَوْتَهَا، بَايِنُ فَيَهُوُ التَّعَبُ:

- أَنَا أَحْسَنُ كَثِيرٍ يَا مَهَا الْحَمْدُ لِلَّهِ، صَوْتُكَ مَالُو مُتَغَيِّرٌ؟..

- وَاللَّهُ يَا حَسِينَ مَا نَايِمَةٌ مِنْ أَمْسٍ لِحَدِّي اللَّحْظَةُ دِي!..

- مَا نَايِمَةٌ كَيْفَ وَلِيهِ؟..

- جَفَانِي النُّومُ يَا حَسِينَ، مَا قَدَرْتُ، أَبَانِي عَدِيلُ..

ما سألتها من شنو، كان واضح من شنو، أو بنيت إفتراضي وإفكرت إنو واضح ما بحتاج سؤال، قمت غيّرت كلامي العايز أقولو، وغيّرت معاها لهجتي، صوتي طلع هاديء وحنين:

- فقدتك!..

ما إهتميت تفهمها كيف أو بياتو طريقة، دي كانت الحقيقة مجردة، أيا كانت الطريقة الحتلتقاها بيها أو تفهمها، وزى كأنها فهمت، وبرضو ما حاولت تخوض في معناها كثير، غيرها كانت حترد بسرعة، مثلاً:

"جد؟"،

"وأنا كمان!"،

أو يمكن تقوّي عينها شويها وتتجرأ:

"وحشتني!".

أما هي، ولأنها زولة مختلفة، ردها كان عادي بلا أي إحياءات:

- غصبا عنّي يا حسين، متأسفة..

- مافي داعي تتأسفي ولا شي، إطمئني، أنا بخير، وأشوفك قريب إن شاء

الله..

إنتهت المكالمة، ما جابت السيرة بطريقة مباشرة، خلّتني أحلل كلامها بطريقتي، ليه ما نامت؟ هل ندمت مثلاً عشان صارحتني في لحظة ضعف؟ أو خوف؟ أو حتى يمكن شافت نفسها إتسرعت؟!.

\*\*\*

في اليوم الثاني، بدل ما أشد حيلي شويّة، قمت إنتكست أكثر، كنت حاسي بالتعب والإرهاق، ناس الكّلية المّا جوني أمبارح جوني الليلة، لقوني تعبان شديد، وهم طالعين بي جاي، مها جات خاشة بي جاي، بالله لَمَن كَلَموني بيها فرحت بجيتها جنس فرح، فرحي كان طفولي تماماً، ما متخيل نفسي أفرح بيها قدر ده، ما حسيت بنفسي فاقددها قدر شنو إلّا لَمّا شعرت بوجودها الفعلي في بيتنا، وعلى بعد خطوات مني. وكتي كنت حسيت بإختلاف كبير وراحت مني كل أعراض الإنتكاسة، وبقيت أدسدس وألملم في فرحتي ما تنكشف.

عمّتي رحبت بيها كويّس وجابتها لحدّي عندي في الغرفة الراقده فيها، كانت خجلانة شويّة، شكلها كانت عايزة تلحق ناس الكّلية تدخل معاها وتطلع معاها،

أو تلحقهم وهم قاعدين وتطلع معاهم، لكنها إلتأخرت، وبقت أمام الأمر الواقع،  
ما في مفر غير إنها تدخل مادام وصلت.

ترحيب عمّتي بيها خفف من حرجها شويّة، حاولت ترسم ليها إبتسامة زميلة  
وهي جاية علي، لكن خطاويها كانت فاضحها، ويدها المرتعشة في يدي كانت  
أكبر دليل، قعدت في الكرسي المقابلني، كانت مرتبكة. مها الرافقتها سنتين في  
الكلية بشكل شبه يومي، مرتبكة قدامي!. حاولت أطلعها من الجو اللي هي فيهو،  
إبتسمت ليها إبتسامة إمتنان، لأنّي حقيقي كنت ممتن:

- شكرا يا مها..

ما ردّت، إبتسمت بس، كانت لسّة مرتبكة، حركات يدينها بتقول كده، لقيت  
نفسى لأول مرة برّكز فيها، جميلة بلا شك، جمالها ما متكلّف، ولا مبتدل، جمال  
طبيعي، عيونها شايلة من إسمها، بشرتها مخملية، أنف مدبّب صغير وشفاه  
مكتنزة من غير ما تشوه الوجه الجميل، بل بتزيد في وسامتو ورسمو، ورقبة  
متناسقة مع جسمها، ما بتتعبها بالسلاسل الثقيلة، كانت بتحب الحاجات الدقيقة،  
كان حلق ولا سلسل ولا أسورة ولا ختم.

من يومها أنيقة في إحشام، ما من نوع البنات البتفرّط في طرحتها تقع من  
راسها زي حركات البنات البمثلّو عشان يكشفوا تسريحة شعرهم، أو يوروك  
نعومتو. عندي قناعة إنو البتعمل كده غالبا شعرها يا إمّتن مركّب، يا عاملة ليهو  
مكوة في كوافير. أما شعر مها فما كان بيحتاج طرحة تقع عشان تعرف طبيعتو،  
تكفي الخصلات الصغيرة البتسرح بعناد برّة الطرحة أو يشيلها الهوا ويسرقها  
منها مرّة مرّة عشان تعرف طبيعتو، والدبوس المشبك من ورا مع نهاية الطرحة  
حولين الشعر الملفوف، يستفز خيالك عشان تقدّر حجمو لو قامت أطلقنوا لنفسها  
بعيد عن فضول الناس.

ما بتلبس مخصّر أبدا، لكن أحيانا بتضطر تلبس حاجة تشكلها غصبا عنها،  
تقوم تفضح خصرها وتبرز نهودها الفتية العصية على الإخفاء، أو يقوم يضربها  
هوا يرسم أردافها، كنت بتلفت منها بعيد، عشان ما أركز في تفاصيلها، كنت ببعد  
عن أي شي يخليني أنتبه ليها كأنثى، عشان ما يحصل يوم وأفكر فيها كأنثى،  
وكنّت قادر، كنت متماسك، لكن هسي أنا على مفترق طرق، زميلتي وفردتي  
وصديقتي لحدّي أول أمس بس، لحدّي اللحظة الصارحتني فيها بحبها، بي  
ريدتها، وأنا على يقين، إنها لو ما كانت بتحبني حق وحقيقي ما كانت صرّحت،

الله أعلم كانت بتحبنّي من متين، سؤال ألح علي فجأة، وما بعرف أمسك، سألتها بسراع وبهفة:

- من متين؟..

- نعم؟..

في اللحظة دي عمّتي دخلت علينا وقطعت كلامنا، قدّمت ليها صينية فيها كبّاية موية وكبّاية عصير، ومشّت إتناولت علبة الحلاوة وقدمتها ليها، أول ما مرقت رجعت تاني لموضوعي، بس الفرق مها كانت متحفّزة ومنتظرة سؤالي المرة دي، أو يمكن سمعتو وبتتغات علي، وكانت بتعد للإجابة، في كل الحالات كنت عايز أتلذذ بالأسئلة البطيئة، يمكن عشان تترتب في مكانها في الذاكرة بالترتيب الأنا عايزو وبرغب فيهو:

- كنت سألتك، من متين؟..

- من متين شنو؟..

- من متين بتحبيني؟..

سكتت مسافة، كانت بتحاول تعاين لي في عيوني، عايزة تستقرأ الجوّاي، بس خجلت، ما قدرت تركّز، إكتفت بالصينية، خلت عيونها ترتاح هناك، وخلت لي منها الرموش الطويلة والحواجبين المقوّسة، وأطراف شعر أسود لامع، إذا في حقيقة واحدة إتأكدت ليها في اللحظات ديك، إنو أنا فعلا ما إنتبهت لتعلّقها بي قبل كده نهائي، والحقيقة الإتأكدت أنا منها.. إنها بتحبنّي، أخيرا رفعت لي راسها:

- والله يا حسين ما عارفة بالضبط وما قادرة أحدد من متين، في فترات كانت إعجاب، دي ممكن تقول من اللحظة الرجعت فيها شنطة أُمي لما إتسرقت في الموقف، وموقفك الشجاع في البص، حتى اللحظة الكرهتك فيها لما ضربت أُمي كف، لحظة كانت ممزوجة بالإعجاب والكره، لحظة إتفاجأت بيك ولقيتك تاني معاي في الجامعة من أول وجديد، لحظة لقيتك متذكّرني وما ناسيني، لحظة عرفت إنو كليتنا واحدة وحأزامل زول شهم زيك، وبالمُناسبة كنت بتحبنّ الفرص عشان أجيبك البيت وتلاقى أُمي وأبوي تاني، وأعرّفك بأخوي المّا لاقيتو، والكنت بتمناهو ولحدي اللحظة دي، يطلع ليّنا زول زيّك، كنت عايزة أعرفهم بيك من أوّل وجديد، لكن المرة دي كزميل معاي في الكّلية، أو زول معجبة بيهو في الخفاء، بس هم عرفوك قبل ما تجي بيتنا بكثير، من كلامي الكثير عنك، وعن حكاويك المّا بتخلص لما أونسهم بيك، وكنت متأكدة إنهم حيطمئنوا على بنهم أكثر وأكثر وإنّت معاي في نفس الكّلية. أما لو عايز تسألني إعجابي بيك ده كلو إتحوّل لحب من جانب واحد

متين؟ فدي حتى بالنسبة لي أنا صعب أحدها، لأنو الحب الجوّاي بدا ببذرة إعجاب جيناتها كانت قوية، ونمت لشجرة حب في لحظة غفلة مني، لما فتحت عيوني لقيتها شجرة مكتملة أينعت وأثمرت، كل العملو إنني كنت برويها وبحافظ عليها مخضرة ومفرهدة، لأنو الشجرة محال ترجع بذرة من أول وجديد أبدا بعد الميلاد، وفي نفس الوكت كانت بتحتاج لشمس وهوا وتربة وماء، التربة والماء من عندي، لأنها مزروعة جوّاي، أما شمسها وهواها فمّنك، وفي يدك هسي تقطع عنها الشمس والهوا وتكتلها!..

\*\*\*

قالت كلامها ده كلّو زي الزول النفسو قايم يادابو إنتهي هسي من سباق ماراثون طويل، كأنها كانت مندفعة وعايها هو يمرق كلو مرة واحدة، زي ولادة متعسرة، لكن لأبد منها، أما أنا، فأول خاطرة خطرت في بالي، إنها زولة بتفتح الروح ضلفتين، ويتسد عين الشمس، زولة عندها ملكة عجبية على التوصيف بأسلوب أنيق راقي ولطيف، ما خلّت لي فرقة أتكلم تاني، أو أقول أي شي أو قول على قولها، خلص الكلام عندي.

قالت كل العندها بكل بساطة، بكلام مرتب وجميل، وختمتو بالخيار الصعب، يا موت، يا حياة. الزولة دي فايطة الفهم بي غادي، إختصرت كل الحوارات الممكن تدور وتجر في الكلام حد السكات، خلت كل النهايات عندي، وفي يدي، أي حنكة وأي تمكّن وأي تمرّس؟ وأنا محتار في الأقولو وما فتح الله على بشي لحدّي ما سألت:

- أها هسي كيف؟ في تحسن؟..

طلعتني من الحرج، ساعدتني على الهروب، شكلها عايضة تدي فرصة ليها ولي، عشان ما أرد هسي، يمكن عشان أتاّني وأقلب الموضوع في راسي بي راحتني، بالذات مع ظروف في دي، شكلها كانت مضطّرة ترد لأّني سألتها، وما عايزاني أضطرّ بنفس الكيفية أرد، يمكن بتعتبرني لسّة ما مرقت من حالة الصدمة والذهول، ودي حقيقة لأبعد الحدود!.

قمت إبتسمت ليها ممتن، كأني بعترف بيني وبين نفسي، و إن كان نفسي أقول ليها مما جيتي وحالي بقى غير، لكن ما براها البتعرف تمسك أو تتماسك:

- أحسن كتير والحمدلله..

بكري جا خاشي فجأة:



- السلام عليك..

- وعليكم السلام بكري..

- كيفك يا بطل؟ الليلة كيف؟..

- بخير يا بكري، شكرا..

قام سلّم على مها، عرّفتهم على بعض، مها طوّلي قامت على حيلها إستأذنت تمشي، إترجيتها تقعد شويّة وتبردّ الواطة، لكنها أصرّت، بعد عشرة دقائق بالضبط عبّو كان رجّع من الجامعة، من شفت طلّتو في الغرفة:

- وين يا "ملهم"!!..

قعد يضحك..

- إنت عارف؟ الناس دي لو ناقشة، كان مفترض يبداو بي لسانك الطويل ده في الأول! لكن ما تعمل لي فيها حريف، أها قلت لي شنو؟ بالله مها كانت هنا؟ وأنا أقول الإنبساطة دي كلها من شنو؟..

قام عمز لي بعينو الكرور، عايز يتواكد علي، طنشتو:

- أها الجديد شنو الليلة؟..

- يا زول الليلة الجامعة مقلوبة..

- خير، الحاصل شنو؟..

- عاملين لجان تحقيق في الحصل أول أمس وتحت تحت بقولوا فيهم إثنين من الجامعة والباقيين من برّة الجامعة، عددهم كلهم زي عشرة أو إتناشر تقريبا..

- يعني ما طلبّة؟..

- الله أعلم..

- ياخي دي هملة عجيبة!..

- ألد مافي الموضوع الجماعة سموها "موقعة ذات العلوم!"..

قعدنا الإثنين نضحك. أها، حوالي الساعة سبعة ونص مساء تلفونات البلد كانت بتطاقش، الكلمهم منو ما عارف، أقل تلفون كان ربع ساعة، أطولهم كان تلفون أمي. إستمت عشان أطمّنها أنا بخير، وإنو ما في حاجة حاصلة والموضوع ما بستاهل، غاييتو بعد تعب رضى، لكن تلفوناتهم ما خفّت إلا تاني يوم، إتكيّفت لما عرفت إنو أبوي إنبسط من شغلانيتو الكان عايزها مني وتميتها ليهو مع عمّي، كنت بحس إنو رضا الوالدين ده زيو مافي، حاجة كده تفرح القلب وتدفيهو وتحرسو وتنعشو.

لما نزلت الكلية الإستقبال كان حافل، إستقبلوني إستقبال الأبطال مع إنني ما عملت شي، لكن مافي شي بيتقارن بمحبة الناس ومودتهم الصادقة، كانوا كلهم حلوين ورايعين بدون فرز، إتلمينا في قاعة فاضية مشتتين بإهمال قدام السبورة وفوق المدرجات نحكي ونقص وننكت، كنا على سجيئنا تماما، كنت لسة رابط يدي الشمال وشانقها فوق رقبتني، هي ما مستاهلة بس عجبتني الفكرة وإستمرأتها، قلت النريخ يدِّي دي على الآخر.

أجمل زول في الناس ديل كلهم كانت مها، كانت متوردة ومشركة، وعليها إبتسامة حلوة ودودة، وكانت لابسة ليها لبسة فرايحية زيها، وفرحتها بجيتني كانت واضحة ما بتدسّا، وأنا كنت مشتاق ليها، مشتاق ليها جد جد من جوّة الحنايا، وفاقدها، اليومين الغبت فيهم حرموني منها لولا زيارتها، ويا دابي بديت أشعر بحاجتي ليها، لوجودها معاي حياتي، سواء الحاجة دي كانت ريدة أو زمالة أو حتى بس صداقة، تحت أي مسمّى كانت، بس الحقيقة المجردة إنها بقت جزو مني ومن حياتي ومن تواجدي في الكلية وفي الجامعة ككل، قربها مني بدّي الحاجات نكهة خاصة وطعم ولون، ويرضو بزيدها ألق ومعنى.

بعد إتفرتقنا وفضيينا من ونستنا وشغبنا، دردقنا أنا وهي برانا في صمت، كأننا على وعد لقيا بدون سابق إتفاق، حتى بدون ما أقول ليها أي كلمة، مشت معاي وجمبي وجوّاي، كنا صامتين لكن صمتنا كان مليان كلام، كانت جوّاي عواصف بتضرب بعنف في كل إتجاه، هيّجت مشاعري زي بحر متلاطم الأمواج، وأنا ماعارف لي مرسى ولا مرفأ، جوّاي نزاع غريب، صراع رهيب بين الممكن واللا ممكن، بين إنني أنكسر تحت سطوة وجبروت حبها، وبين إنني أقاوم وألجأ للهروب الآمن.

خوف جوّاي من مجهول بقول لي قاوم، حنة تانية في روعي بتقول لي ما بتقدر تنكر حبها، حتى عاين لنفسك، كل يوم بتتأكد براك إنك بتحبها، ليه بتتنكر لنفسك؟ ليه بتتنكر لصرخة قلبك الجوة صدرك؟ وإنّت شايف طربو وفرحتو بيها!.  
المين كان على غير العادة هادي، كأنو إتنازل لينا نحنا الإثنين هدنة، كان نفسي أقعد في البنش بتاعي، "بنش حسين" يا قول مها، لكن ما كان في طريقة مع كمية الشباب البلاقوني ويكفروا لي كل مرة، وفيهم واحدین ألام كانوا بشرونا

زمن طويل لحدّي ما أضطر أستأذّنهم، يبقى الحل أشوف لي جخنون ولا حتة ثانية ما يلم فينا زول عارض.

دردقنا لحدّي ما وصلنا إقتصاد، في كراسي كانت فاضية جمب سور الجامعة الفاتح على شارع النيل، سور مبني بطوب أحمر من تحت مع مستوى الأرض، ومن إرتفاع نص متر تقريبا الباقي كلو شبك وسيخ، ما بمنع النظر في إتجاه شارع النيل، حتى لو الزول قاعد في كرسي، وفي ضل شجرة ظليلة تم الناقصة، أخيرا شي من الهدوء، ومع زولة تشرح النفس ويطيب معاها الجلوس.

أصرتّ تجيب البارد بنفسها، ما إتلايقت فيها، جرّيت الكراسي جمب بعض وقعدت في واحد، كنت باعين ليها وهي ماشة على الكافتيريا، بس نظرة مختلفة، ما زي نظراتي ليها الزمان، نظرة تأمل وسرحان، عارف نفسي ماشي على وين، حاسي بضعفي قدّام روحي ومشاعري في لحظة وجودها جمبي، ورغبتني في المقاومة كل ما ليها ماشة متضائلة، ما عارف مها حاسة بالحاجة دي ولا لأ؟ قلبي بقول لي حاسّة، وعارفة، البنات عندهم مقدرة عجيبة على الإستشعار، بتقدر تعرف من غير ما تسأل، ما زينا نحنا الوهم ديل، يا حليك يا النائم على حيك، أصلك كنت نايم نوم أهل الكهف، ولقيت نفسك واقف علي مشارف يوتوبيا.

وهي جاية راجعة شايلة ليها قزازتين بارد، كنت لسة بتأملها، وبحاول أسترجع صدى صوتها الرنان ثاني وتالت ورابع من الأول، " في يدك هسي تقطع عنها الشمس والهوا وتكتلها!"، يا ربّي، بتكون متخيلة شنو هسي؟ شجرة حبها دي حنسيقها ونرويهها سوا؟ ولا مهيئة روحها وممكن تتقبل رفضي إذا رفضت، وتقبل تخليها تموت؟!

- إتفضل..

مدّت لي يدها تناولني قزازتي، كانت خاتة ليها إبتسامة طبيعية، ولا كأنها، أنا عايش الترقّب، وهي منبسطة وعادية، قلت إحتمال لأنها فضّت الجواها، وشحنو جوّاي، وبإتجاهي، معناها شكلو الباقي كلو بقى علي أنا براي، أشيل شيلتي براي، أما هي فعملت العليا وخلص!.

قبّلت علي شارع النيل، عديتو بنظري، سرحت بعيد وراهو وأنا أشيل بقعة من قزازة البارد وتاني أسرح، ما شايف العربات ولا الناس البتجي كدّاري مرة مرة قدّامي، الجو كان حار ورطب، كلمّا تقربّ من النيل بتحس بالرطوبة أكثر وأكثر، نزلت مني قطرات عرق، سلّت ليها منديل ورق وقدّمتمو لي، قبّلت عليها، شكرتها، شعرها كان شديد السواد ويلمع، يمكن بفعل الرطوبة برضو؟ ولا كتمة الطرحة

على نفسو؟ لكنّو ما كان بنافس سواد عيونها، وقفت فيها، شفت فيها كلام كثير وحاجات كتيرة، وبرضها صابرة، وما مدافرة، ما مستعجلة على الكلام، يخربك يا حسين، أمانة ما وقع راجل، الليلة البمرقك منو؟ قبلت تاني غادي على إتجاه النيل.

النيل ياهو نفس النيل الكنت كل ما ألاقى فرصة أزوغ من الجامعة أنفرد بيهو، كانت كل ما كانت تجرفني أشواقي للبلد وناس البلد تلاقيني ملصوق فيهو، منو غيرو البطل على حلتنا ويربطني بيها زي الحبل السري حتى وأنا بعيد؟ نهايتو عندي وأصلو في جوف حلتنا، جمب نخلتنا في نص بيتنا، تراهم كيف عاملين هسي؟ منو فيهم واقف هسي جمب القيف بعين فيهو ويتأمل زي ما أنا بتأمل؟ بس حاسي في اللحظات دي حتي النيل خذلني، خلّاني وحيد في مواجهة مها، إكتفي بمسيرو الهاديء يترقب الموقف في صمت مهيب. حتي أنت يا نيل أصابتك الشمارات؟..

نفضت نفسي من سرحة النيل والحلة ورجعت للواقع، مها، أيوة مها، نفسي تقول لي حاجة ياخ، تطلّعني من الورطة دي، ما عارف أبدا معاها كيف ولا حتى أقول شنو؟، أنا أصلا ما فكّرت في شي أقولو من أساسو، كان الجوّاي مرخرخ، فاقد الشدة، مايل للحنين، حنين مخلوط بحالة ضعف و وهن، حنين شنو يا حسين ياخ، ما تتقلّسف على نفسك، إنه الحب يا أطرش! ياخ أقول ليك قول يا حسين؟ بلاش لف ودوران معاك، فوق خلاص! في اللحظة ديك قررت قرار أعمى، إلتقت عليها بجسمي كلو، وأنا خلاص حزمت أمري، ما بقدر على حراق الروح ده ياخ!.

\*\*\*

- مها!..

- أيوة يا حسين..

خلاص، تمت الباقي، كتلتني، وكتلت قلبي بصوت حنين أول مرة أسمعو، "أيوة يا حسين"، السّجم دي أصلو ما سمّعني النغمة دي قبّال كده! ولاني سمعت زيتها في حياتي، قاصدة مش؟ وهسي لزومو شنو الإبتسامة الحلوة دي، أنا ناقص؟ الكتلة، خلاص، أروروك تمّت الناقصة:

- مها..

- نعمين يا حسين!..

- أنا بحبك!..

والزمن وقف، وصنينا... أيّا والله صنينا، ما حصل أي شيء، لا في قبلة  
إتفجرت ولا في لستك عربية طرشق، ولا حتى موسيقى تصويرية في الخلفية  
إشتعلت، ولا جوة راسي المدوقس ده! ياخي ما ممكن؟ ما ممكن يكون تفاعلها  
بالشكل ده، أنا هسي إنبرشت، وإنبطحت، وإفترشت، وإنهت إنهيّار عشان أطلع  
الجوّاي، هي فاكرة الموضوع ده بالبساطة دي ولا كيف؟ تقوم تلاقيني بالجمود ده؟  
إتوقعتها تقوم تنط، تقوم تفنّجط، تنحّ من الفرح، تتخلع، تعمل أي حاجة، أي  
مصيبة بدل ما تقوم تتبسّم لي ساي! واثقة من روحها شديد يعني؟ لا لا كده أنا  
ما بقبل، ما بسمح ليها تسرق مني اللحظة دي، هي ما عارفة أنا تعبت من  
التفكير في الموضوع ده قدر شنوا!.

لكن كمان أعمل شنو أنا، أبكي؟ أبكي كيفن بلا دموع، أجيبها من وين هي  
ذاتها الدموع؟ ما بعرف، خلاص سرقتها مني، سرقت مني اللحظة، عملت فيها  
غضبان، صرّيت وشّني، وضغطت على حروفي:

- شايفك واثقة من نفسك خالص خالص يا سجم!..

ضحكت، ضحكت، ضحكت، أصلو ما شفتها يوم ضحكت بالشكل ده،  
ضحكت من جوة قلبها، والله ضحكتها دي أنا ذاتي فرّحت لي قلبي من جوة  
كمان، حسيت في اللحظة ديك أنا ما بضحك في صحبتي، عفوا قولوا حبييتي،  
حسيت بنفسي بضحك في زوجتي، أعزّ زول على قلبي، ونحنا قاعدين لينا تحت  
ضل نيمة ماهل، رايق، وبارد، وضاربنا همبريب ساعة ضحى، شايل ريحة  
دعاش، و نحنا راقدين في عناقريب ساقطة والملايات تفرّفر تحتنا زي شفّع دابهم  
بتعلموا في المشي، وفناجين القهوة قدّامنا تلمع في الصينية، تربيزتها في نفس  
مستوى عناقريبنا، وريحة البن الطازة المارقة من قلية، مخلوطة بي ريحة بخور  
جاولي وعدني ومسك ولبان ضكر، وعيون حبييتي هناك، زولتي أنا، براي. آخ يا  
حسين، ما تقعد تسرح قدر ده بعد شويّة تلقى نفسك بتنادي في عيالك في  
الخيال وإنت لسة بسم الله يا دوبك إبتديت سنة أولي حب يا بتاع قزازة السمن.  
- سجمك..

طيرت لي سرحتي، وما طارت ضحكتها، كانت ضحكتها الرنانة لسة مجلجلة،  
لكن ترا زي ما كسرت قلبي، ياها كسرت برضو ملامح غضبتي الفشنك، قمت  
ضحكت معاها، هو يا ربي ده حب ولا هظار؟.

\*\*\*

بالله التقول الجامعة دقوا فيها جرس، شमारات ثقيلة، الناس كلها عرفت مها بتحب حسين، وحسين بحب مها، الزمالة البقت علاقة، والشنو داك، وبقينا مضرب مثل لأي زول ما عندو موضوع، وناس تراهن على علاقتنا، تنتهي ولا تستمر، بالله شوفوا عدم الشغلة. العاجبني في مها كان قوة شخصيتها وثقتها في نفسها، ما كانت بتشتغل بالفارغة ولا المقدودة، محددة حاجاتها وبتنجزها بعزيمة وإصرار.

أما أنا، فكنت شاعر وحاسي بالتغيير الكبير الحصل في حياتي، دخول مها في عقلي وقلبي وروحي غير فيني كثير، إحساس بالأمان والإستقرار، حتى لو كان وكتي، لأنو الحاجات في الجامعة مثالية، الحب مثالي، المشاكسة مثالية، العتاب مثالي، وفي وكت لكل شي، في وكت تقرا، و وكت تمرح و وكت لمقالب الأصدقاء، وكت برضو للحب، و وكت تاني للتسكع، وغيرو للتأمل، في متسع لأي شي يخطر على بالك حتى للسياسة والنوم، والنوم ده بالذات بيتجضم زي الترتيب، ومرغوب بشدة في أوساط الطلبة، بالأخص أيام الإمتحانات!

و برضو في وكت تبهر فيهو مع شهيق عاطف خيري في خيالات من روائع الشعر، وأشعار الثورة مع محبوب شريف، ومع الأدب الرفيع والشفيف لعلي المك وصلاح أحمد إبراهيم، وغصبا عنك تقيف تتأمل ولا على كيفك وتعيش النص وتتمثلوا مع الكتيابي:

على كيفي..

أرَقَّع جَبَّتِي أَوَّلَا أَرْقَّعْهَا،

أَطَرَّزْهَا مِنَ اللَّالُوبِ،

أَلْبَسْهَا عَلَى الْمُقْلُوبِ،

أَخْلَعْهَا، عَلَى كَيْفِي،

أَنَا لَمْ أُنْتِخِبْ أَحَدًا،

وَمَا بَايَعْتَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ رَجُلًا،

وَلَا صَفَّقْتَ لِلزَّيْفِ،

لَمَّاذَا أَعْلَنُوا صُورِي؟

لَمَّاذَا صَادَرُوا سَيْفِي؟،

أَنَا مَا قُلْتُ شَيْئًا بَعْدَ حَتَّى الْآنَ،

حَتَّى الْآنَ أَسْلُكُ أَوْعَفَ الْإِيمَانِ،

مَا أَعْلَنْتُ مَا أَسْرَرْتُ مَا جَاوَزْتُ فِي الْأَوْبَاتِ،

سُرْعَةَ زُورَةِ الطَّيْفِ،

أهرول بين تحقيقين أصمت عن خراب الدار،  
عن غيظ مراجله تفكّ مراجل الجوف  
سئمت هشاشة الترميز  
ما بعد الزبي يا سيل من شيء،  
لمن يا طبل والخرطوم غائبة  
وأمدرمان والنيلان يختلفان،  
والأطفال في الخيران  
والحرب الدمار الجوع،  
كيف الحال؟،  
لا تسأل عن الكيف،  
حبيبي أنت يا وطن النجوم الزهر،  
سلهم كيف؟،  
سل عني،  
لماذا لم يخلّوني على كيفي؟  
أنا والله ضد نخاسة الأحرار باسم الذين،  
ضد الضد والضدين..  
ضد جهاز خوف الأمن،  
ضد الأمن بالخوف،  
أنا في هذه الدنيا على كيفي،  
إلى أن تكمل الأشراف دورتها،  
بمهدي حقيقي لينقذنا  
من الدجال والتمثال،  
والإشراك والحيث  
سأبقى ما حييت أنا على كيفي  
إلى أن تطهر الدنيا  
وينزل سيدي عيسى  
لأن طريقتي في الحب يا وطني  
على كيفي

بالله كيف ممكن الزول في مرحلة زي دي يبقى أكاديمي بحت ولا يمتع سمعو ولا بصرو ولا بصيرتو، ولا نظرو ولا رحو؟ ياخي قول إختصارا جميع حواسو المدركة والغير مدركة، ويتجاوز قامة زي شاعرنا إدريس جمّاع وفيهم حتى ناس من المأسى ما سمعت بيهو ولا طقش أضانها يوم بالغط، أكثر قصيدة كانت تثير تعجبي هي "أنت السماء بدت لنا"، كنت بقیف فيها كتير وأتأمل خيال الشاعر الغريب وهو مصرّ يخلق بيك، والأعجب منها لئن عرفت قصتها البتقول كان الشاعر في رحلة علاج للندن، وهو في المطار قابل عريس وعروسو، والعروس عجبتو جدا، فقام سرح وخلق فيها لحدّي ما العريس إتضايق وبقي يغط في عروسو، فقام قال أبياتو الرائعة:

أعلى الجمال تغار منا؟

ماذا علينا إذا نظرنا؟

هي نظرة تنسي الوقار

وتسعد الروح المعنى

دنياي أنت وفرحتي

ومني الفؤاد إذا تمنى

أنتي السماء بدت لنا

وأستعصمت بالبعد عنا

حتى يقال إنو الأديب المصرى المعروف عباس محمود العقّاد سمع الأبيات دي وسأل مين قائلها؟ قالوا ليهو شاعر سوداني اسمو إدريس جمّاع، قال ليهم وين هو هسي؟ قالوا ليهو بتعالج في مستشفى التجاني المأحى وده مستشفى للأمراض العقلية، قام رد عليهم قال ليهم ده مكانو لأنو الزول ده بقول كلام ما بقولوا زول عاقل!.

ياخ مش كده وبس، قالوا حتى لئن مشى المستشفى في لندن كانت الممرضة المباشراهو عيونها جميلة جدا، بقى شاعرنا يعاين ليها شديد لئن خافت، قالوا مشت إشتكت لمدير المستشفى، قام قال ليها خلاص تاني قومي البسي ليك نصارة سوداء، أها شاعرنا لئن شافها طوّالي قال:

السيف في غمده لا تخشي بواتره

وسيف عينيك في الحالين بتّار

أها لئن سألت الممرضة الزول ده قال شنو، وقاموا ترجموا ليها، قالوا بكت. والنقاد بقولوا ده أبلغ بيت شعر في العصر الحديث، في روايات مختلفة لكنها ما



كانت بتتفي عندي عبقرية إدريس جمّاع ربنا يرحمو ويغفر ليهو، وكنت بفتكر البيت ده بشبه كتير قصيدة من الأندلسيات ما معروف شاعرها بقول فيها:

دع عنك ذا السيف الذي جرّدتَه  
عيناك أمضى من مضارب حدّه  
كلّ السيوف قواطع إن جرّدت  
وحسام لحظك قاطع في غمده

والقصيدة غنّتها فيروز، وهي جميلة بمعنّى الكلمة، والقصيدة المّا معروف شاعرها، عندها قصة رائعة، بتقول كان في شاعر جا من البادية وطبعاً ناس البادية ديل ناشفين نشاف العيش، أها على حسب بيتتو جا يمدح في على بن الجهم قام قال ليهو:

أنت كالكلب في وفائك بالعهد  
وكالتيس في قراع الخطوب  
أنت كالدلو.. لا عدمنك دلوا  
من كثير العطا قليل الذنوب

طبعاً الراجل مسكين، حسب فهمو شايف نفسو إتقطعّ عديل كده في المدح، قام واحد من الناس القاعدين في المجلس عايز يقوم يأدبو، لكن الأمير كان زول فطن وذكي، عرف إنو الشاعر ده زول الله ساي، جاي من حتة ناشفة، وفي بيتتو دي ما عنده فيها غير البير البرقع منها الموية بالدلو، وبير لناس في الصحراء دي تعتبر نعمة كبيرة جدا والدلو فيهو رمزية كبيرة للمناولة والعطاء، زيها وزى تشبيهو بالكلب في وفائه معاهو وحراستو لقطيعو، أها قام الأمير قال ليهم الزول ده كدي خلّوهو يا جماعة يقعد معانا شويّة، الشويتين القعدهم الشاعر بالله شاف فيهم العجب، لقي ليك نفسو في بساتين مخضرة ومزهرة، وجكس وحواري تدي فيهن ربك العجب، طالعات نازلات. قام مرّة شاف ليهو بالصدفة جارية شديدة شدة السنين، حايمة بين الرياض المخملية والبساتين تتهادى بين الشجر، يا زول قلبو وقع عديل، قام طوّالي فكّر يغازلها، البنيّة ما كضبت، هددتو بي خنجر كانت شايلاهو معاه، قام مسك يدها وقال ليها:

قمر تكامل في نهاية حسنه  
مثل القضيب على رشاقة قده  
فالبدر يطلع من ضياء جبينه  
والشمس تغرب في شقائق خده  
ملك الجمال بأسره فكأنما  
حسن البرية كلها من عنده  
يا من حوى ورد الرياض بخده  
وحكى قضيب الخيزران بقده  
دع عنك ذا السيف الذي جرّدتَه  
عيناك أمضى من مضارب حدّه  
كل السيوف قواطع إن جرّدت  
وحسام لحظك قاطع في غمده  
إن شئت تقتلني فأنت محكم  
من ذا يطالب سيد في عبده

بالله ده ما جن بجنن الجن ذاتو؟ شوفوا الفرق في التشبيه، زول قبل شويّة كان بشبّه بالدلو والكلب، فجأة قلب بقى يقول رياض وبساتين ولحظك وخذك وقمر وبتاع!.

\*\*\*

واحدة من الحاجات الكانوا بحذروني منها من زمان، هي السياسة في الجامعة، ولحدّي اللحظة دي، كل ما يلاقيني زول من الأهل أو القرايب يقول لي نصيحتي ليك تخلي بالك من قرايتك بس أحسن ليك، يعني بإختصار تبقى ضب قراية، وتمشي جنب الحيط لحدّي ما تنتهي من جامعتك وتشيل شهاداتك وتتخرج.

الحركة الجبانة دي طبعاً ما كانت بتشبهني، وغير إنها جبانة بشوف إنو فيها إجحاف شديد جداً في حق أي طالب جامعة، وفي الجامعات في حق طالب جامعة الخرطوم على وجه الخصوص، لسبب بسيط، لأنو الجامعة دي عندها تاريخ نضالي طويل وعريض إبتداءً من المستعمر البناها بإعتبار إنها كُلية تذكارية حب يخلّد بيها القائد المستعمر غردون باشا، ومرورا بكل أنواع الحكم المدني أو العسكري المرّ على البلاد، عشان كده كنت بشوف إنو أي طالب ماشي جنب الحيط على قولهم ده لو قرا حاجة تانية غير جامعة الخرطوم أفضل ليهو وأفضل ليها، قصدي الجامعة ذاتها، لأنو الجامعة دي عندها عشق وغرام مع كل الناس فيها والعندها تطلعات كبيرة، ويمكن تأهلم قادة للبلد زي ما بتأهلم يتخرجوا علماً ونوابغ.

خلال السنتين الفاتو كنت برفض أي دعوة من الأصحاب والأصدقاء والفرد يا قول الفرد للانضمام لأي حزب أو حركة أو تيار سياسي، كنت بتفق تماماً مع النظرية البتقول إنو الشباب آمالهم وطموحاتهم لا يحدها حدود، ودي حقيقة يستشعرها حتى في نفسي، الزول بكون شايل هم البلد وهم إنها تتقدّم وتتطور وتنافس باقي الدول، ياخي الزول لمن يسرح يلقي نفسو بقى رئيس جمهورية عديل، ويقعد يفكر في إنو حيعمل شنو ويسوي شنو، يقعد يعالج في خياله كل الإنتكاسات والخيبات المحبطة الحاصلة في البلد، ويحارب في الجهل والتخلف، ويطور في العلم ويتقدّم الأمم كمان.

كنت بتناقش مع مها كتير في مواضيع كتيرة منها السياسة والدين، كانت بتشوف إنو الطالب الجامعي مفترض يكون زول واعى ومثقف، كانت بتفق معاي

إنو من الأفضل ما ينغلق على نفسو أو يقفلها بالإنتماء المبكر، وإن كانت في نماذج لتغيرات فكرية في بعض الشباب البيتنقلا من حزب لحزب مثلاً على حسب قناعاتو في رحلة بحثو عن حاجات معينة مثالية كانت أو واقعية حسب نظرتو.

هي عن نفسها ما كانت شاغلة بالها وتفكيرها بالصراعات والتجاذبات البتحصل داخل الجامعة، عكسي تماماً، وعكس خالي برضو الكان عندو ولاء لحزب كبير من أحزاب البلد زي حال معظم ناس الحلة عندنا، كنت بناقشو كتير بإعتبار إنو زول فاهم ومتعلم على عكس ناس الحلة البتكون شايلاهم الهاشمية ساي نتيجة طبيتهم ويساطتهم، تلقاهم جارفهم تيار عاطفي ديني صر.

أركان النقاش كانت شكل ناضج للحوار ومقارعة الخطوب بالحجة، بجانب دور محوري أساسي وهو التثقيف. ناس كتيرة إستفادت من أركان النقاش الكانت بتقام في أماكن متفرقة هنا وهناك، وأهمها شارع المين، في التثقيف والوعي والإدراك، ومالو؟ طريقة النقاش نفسها بتكون ممتعة، وأحياناً بتظهر ملكات وأساليب أدبية رفيعة، كل الكوادر اللاقتني كانت ناس مثقفة و واعية، ناس كنت بحرص إنني ألاقهم تاني وأتعرف بيهم، ما ممكن تمل من الونسه معاهم، وهم ذاتهم غير الهم اللي هم فيهو و اللي ما عندهم غيرو، كنت مرات بتخيل إنهم ما ممكن يرجعوا زينا طلبة عاديين يتفاعلوا معانا ويخستكو زينا واحد، يخيل لي بلبسوا شكل النضال على الدوام.

يمكن الشكل النضالي البشوفو عند الكوادر سببو الإنجراف الدائم للعنف والمواجهة، يعني ما معقولة المنتمين للحزب الحاكم يكونوا على الدوام في حالة رفض للأخر وإقصاء دائم! والأعجب من كده هي مسألة إعلان الجهاد ضد طالب آخر معاك في الجامعة، فرقهم من بعض شنو؟ تلاقيهم بقروا في نفس الكلية، ويقعدوا في نفس المدرجات، ويدرسوا نفس المقررات، طيب إشمعنا برّة القاعات جهاد وجوة القاعت أكاديميات؟.

\*\*\*

كل إجازات الجامعة كنت بستغلها أرجع فيها البلد، إلا إجازة أو إجازتين تمنعني منها ظروف، كنت بحتاج للمشيات دي شديد، بحتاج أطلع من زخم الخرطوم ولخمتها عشان أعيش بساطة الحلة وهدوئها، أرجع زول بسيط تاني،

أفتش العرّاقى وين وأخش فيهو، وأبقى داقش على الزراعة والجروف، بلقى فيها السكينة وهداوة البال.

صحي كنت بشتاق للخرطوم وناس عمّي وبالذات مها، لكن التلفون بقى ما مقصّر، كان سادّي لي فرقة كبيرة، لكن ما كان في شي بحلّني من التفكير المتواصل، كنا واصلنا لحدّي سنتنا الخامسة بنجاح أنا وزولتي سوا، وكان عهد أخذناهو على نفسنا مع بعض. إنو مافي شي يقيف قدّام نجاحنا وتفوقنا، والحمدلله حصل، لكن السؤال الملح كان، بعدّاك شنو؟ علاقتنا ما كانت في الظلام، أبوها وأمها وأخوها كانوا عارفين، ومباركين، بالذات بعد ما بقيت أمشي عليهم مرّة مرّة مع مها، أو يدعوني عندهم في البيت بمناسبة أو من غير مناسبة، كنت بحس براحة أمها وإستلطفها لي، وأنا ذاتي بقيت أستكين ليها ويعاملها زي خالتي.

لما إرتبطت بيها، ما كنت بفكر في اللي بعدو، أصلا الحب ده ما فهبو تفكير، ولا بدّي معاهو فرقة للعقل، لكن مصيرو العقل يجيك لافي حتى لو كبر لفتو، بجيك صادّي بجيك صادّي، نحنا بقينا على أعتاب تخرّج، وإرتباطي بمها ما كان إرتباط إعتباطي ولا ملي فراغ، دي زولتي وأنا متأكد تماما من الحاجة دي، بس لما إخترتها، ما كنت وصلت لقناعات وأجابات على أسئلتي المشتتة، الفرق بقى بدل ما كنت بفكرّ براي بقت تفكر هي معاي، وكل ما تضلّم الدنيا قدّامي، هي الوحيدة الكان عندها المقدرة تنوّر لي الطريق، وتحسّسني إنو الدنيا لسّة وردية، ولسّة في أمل، وأي خطوة عايز أعملها حنعملها سوا، كلامها ده كان ينزل على قلبي زي العسل، كان بكفّي إني أعاين في عيونها وتحتويني، أقوم أحس بالأمان.

لكن حصل موقف، كان مؤثر رغم إنو شديد البياخة، كنت وصلت مرحلة حتى أنا ما ملاحظ ليها على نفسي، وأنا الكنت فاكّر نفسي مالك زمام أموري، لكن يبدو إنو الأمور في لحظة غفلة ما فلتت مني، الحاجة الحصلت كان عندها وجهين، الإيتين صبوّا في حتة واحدة.

الوجه الأول، ربما كان حاجة طبيعية إلي حد ما، إنو أعتبر مها زولتي، حقّتي براي، ملكي بشكل أو بآخر ما بنافسني عليها زول، بالتالي أدبت نفسي حقوق عليها، ربما كتمت على أنفاسها، حاصرتها باسم هذا الحق، وباسم هذا الحب. تدخلّاتي الزمان الكانت وكنت بعترها عادية في حاجاتها، حتى البسيط منها زي لبسها، بقى فيها نوع من التسلط مع الحدة، وبقيت ما بقدر أتمالك نفسي ربما

بسبب الغيرة، حتى لأتفه الأسباب. بقيت ألقى نفسي بنتقد في بعض تصرفاتها، كانت في فترة سبقت ما بتشغل بالي أو حتى ما بتلفت إنتباهي. مثلاً اليوم داك كان جاها قريبها زيارة في الجامعة، قريبها ده راجل أكبر مننا بي أربعة أو خمسة سنوات، راجل مغترب وناجح في الغربية، كانت متحمسة تعرفني بيهو، شكرتو لي شديد، إحتمال ده السبب الخلائي أحس بالغيرة حتى قبل ما أشوفو، ولّٰن شفقتو كانت الغيرة خلاص ركبتني من راسي لحدّي ساسي، ومعاها زي مية شيطان وألف جنّي وأربعين من المردة الفجرة.

حتى أنا لاحظت لنفسي، كانت تصرفاتي بايخة والضيق ظاهر في وشي ما قادر أدسو، وبعد ما الراجل فات، قعدت أحاسب فيها بشكل عقيم على كل لفنة وحركة وكلمة إتقالت منها في وجودو، ورغم إنها كانت صابرة على بياخاتي، إلا إنو ده ما شفع ليها عندي أرحمها ولو بالسكات.

رغم إنها برضو كانت بتغير علي، لكن المدهش إنها كانت قادرة تتحكم في غيرتها، نادرة هي اللحظات البغلها وتعبر عنها بشكل أو بآخر، وكتها قلبي برقص بالطرب، لكن في العادة كنت بحس بيهو أكثر مما تقولها، مثلاً ألمح في وشها الضيق، أو التقطيب، طبعاً كنت بسعد جداً لما تغير، أحياناً بتعمد أثير غيرتها لأنها ما كانت عارفة الحاجة دي بتحسسنني بالزهو والفرح قدر شنوا! ما كان في شي أسعد بالنسبة لي من إني أشوف غيرتها علي.

الوجه الثاني، كان حجم ومقدار التوتر الدخلت فيهو بسبب التفكير الكثير في المستقبل، أسئلة الضياع الأولي بقت ماشة في تضخم، زاد عليها وضع البلد المأزوم والمافهوم إتجاهو، كنت قادر أستبصر حالة ما بعد التخرج، كانت تتراءى لي زي أشباح كئيبة، وما حيليلها ويتبعها من رهق وعنت، وفوق على ديل كلهم، إنضاف لي مشروع زواج، وضع بقى أشبه بالمستحيل بالإضافة لضغوط الجامعة والأكاديميات، وزى كائنو ديل كلهم ما كفاية، قوم يا خال مها، الزول الشخصيتو قوية وكلمتو مسموعة في العائلة، إعترض على علاقتي ببت أختك، هي كانت ناقصة يعني؟.

إحتل موضوع خالها ده مساحة كبيرة من جلساتنا ولقاءاتنا، والمشكلة الكبيرة إنو قدر يألّب بقية العائلة على أسرتها الصغيرة، وخلاهم شبه معزولين في مساندتهم لي وتكاتفهم العميق معاي، الأم والأبو متفهمين، لكن لوحدهم ضعيفين لما يبقى الموضوع موضوع أسرة كبيرة وعائلة، ياهو وضع كل العوائل السودانية وشكل ترابطها وعلاقتها ببعض، نسيج واحد بكافح ويعض على التماسك، لو

إستمر الوضع بالصورة دي مؤكد حتفشل علاقتنا، لكننا كنا متّحدين ومصرّين  
نقاوم سوا ونقنع الجميع، رغم إنو تبعات أو إرهابات المشكلة دي كانت واضحة،  
أولها بقيت ما قادر أمشي عليهم تاني في البيت.

ولكن للأسف أول هزيمة جات مني، يا ريتها لو كان جات منها، لأنها كانت  
حتكون أرحم من الحسيت بيهو بعد داك، كنت في لحظة ضعف وإنهزام، زعلتها  
وزعلتني، خسرتها وخسرتني، والمؤسف أكثر إني عاندت في الخطأ وركبت  
راسي، والأسوأ، كان الكلام ده نهاية يوم وتاني يوم مسافر البلد.

\*\*\*

ما ضقت لسفرتي أي طعم غير طعم الحنضل، ومرارة الهجران، والخذلان.  
ساهم واجم وما مركز نهائي، كنت مصاب بشتّى علل المشاعر المركّبة والمتراذفة  
والتناقضة، غضبان وحزين ومكدر ومنكسر وإحساس بغیض بالعجز والإنهزام.

أمّي إفتكرتني عيان، أرقد ليها من سرير لسرير، لكزتني كم مرة نقوم نمشي  
للشيخ، مسكينة أمّي دي وطيبانة شديد، لحدّي هسي بتفتكر زيها وزى باقي  
النساوين في الحلة إنو الشيخ ممكن يحل ليك كل مشاكلك حتى لو كان مكتوب  
في جبهتو بماء الذهب دجال، الحاجات دي ما ممكن تقنعهم إنها ما صحيحة  
بسهولة، لسة مهياين يسمعو قصص عن الكرامات والشيخو البطيروا والبمشوا  
في الموية والبيحوا الموتى!.

أبوي كانت نظرتو ثاقبة، فهم طوالي الشي الفيني ده ما شيتن أصاب بدني،  
بس ما حب يضغط على وخلاّتي على راحتني، وإتعامل معاي عادي، شكرتها ليهو  
في نفسي، وأنا كمان ما مرقت على أي زول في الحلة، سلّمت على اللاقيتهم في  
طريقي، والجوني لحدّي عندي وبس، إكتفيت بكده وخلاص.

إستمرت بالحالة دي إسبوع، إتعوّدت على برنامجي الجديد، كيّفت نفسي  
عليهو، كنت بصحى الفجر أصلي حاضر، أقعد أذكر في الزاوية لحدّي ما  
الشمس تشرق، أجي راجع البيت، ألقى أمي صحت قاعدة جنب المنقذ، تقول لي  
الشاي جاهز، نقعد أنا وهي وأبوي نتونس حولين الشاي لحدّي ما أبوي يطلع، لو  
في حاجة أساعدو فيها بمشي أساعدو، لو مافي بمشي أشوف لي كتاب وأقعد  
أقرا.

زي الساعة تمانية ونص بكون رجعت تاني لأمي في الراكوبة جنب التكل،  
بلقى متعة وأنا بقلّي ليها حبات البنّ، وأدقوا ليها بالفندق لحدّي ما أسحنو ناعم،

بعداك أدق بعدو الجنزِيل مع شويّة هبهان. لقيت نفسي سريع إتعلمت أظبط الجبنة وأتقنها، وبقيت ماسك برنامجها رسمي. بعداك أرجع أقرأ ثاني، لمن أبوي يجي للفطور ويطلع ثاني، ما بلاقيهو بعدها لحدّي صلاة الضهر، بعد ننتهي نرجع سوا ننخمد نلوم لحدّي أذان العصر، نصلي العصر ونرجع نتغدى، حدي في الحوامة صلاة العشا، أول ما صليت جيت طوالي شفت سريري بي وين، لي زمن من نوم بدري، لكن خلاص إندمجت في برنامجي الجديد بالكامل.

كانت مها شاغلة تفكيري غصبا عنّي، صورتها ما بتفارقني لحظة، بحس بالأم الفراق زي الوخر جوّة قلبي، لكن كل ما أسترجع الحاصل، يرجع أغضب، وأزعل، ما كنت زعلان منها، كنت زعلان من نفسي، وبحقرها، كنت بحس إنني ما بستها لها، مرات أقول أحسن ليها كده، أحسن أبعد منها، أنا حوليني شنو غير وعود فاشلة؟ المستقبل قدّامي ما فيهو أي بوراق أمل، كان عبارة عن نفق طويل مظلم، مافي أي بصيص ضوء في نهايتو. كنت بحس إنو كلامي ده صاح، ولو ما صاح ياهو كلام العقل، عرس شنو اللينا؟ وحب شنو اللينا؟ حنغش على نفسنا مثلاً؟ خلينا نكون واقعيين أحسن، الموضوع من الأول كان غلط في غلط، وخالها عندو حق وألف حق لمن يقول أنا حاكّون نفسي متين؟ وحأعيشها وين؟ مستقبل بتهم مهم، وأنا بأمن عليهو وببصم عليهو كمان، مش بإيهامي، لأ، أبصم عليهو في خيالي بالدم.

كنت كرهت التلفون، أول حاجة إتخلصت منو، رميتو مع شنطتي بدون شحن عشان حتى ما أفكر أمشي عليهو نهائي لو سمعت صوتو، أمّي وأبوي عندهم تلفونات، لو في شي مهم بصلني عن طريقهم، لكن الواضح إنو المقصودة هي مها، إتمنيت حتى لو رجع بينا الزمن ورا شويّة لأيام زمان، أيام مافي كهرباء في الحلة، ولا في تلفونات، وكانت الحلة في براءتها وعذريتها وبكريتها، بكية الطبيعة الأم المنسجمة بين البنّى آدم والحيوان والنبات، مافي تعدي تكنولوجياي مخيف، إلا ياهو الحاجات البسيطة الما بتحتج عليهو الطبيعة، أو ترفضو أو تلفظو متذمّرة، لا في أمواج كهرومغناطيسية تأثر على المخ، إلا أمواج الراديو اللا بتتش ولا بتتشف، ولا بتعرفها حتى أو تحس بيها لحدّي ما يستقبلها راديو عتيق في طرف كنتين أو من داخل حوش ناس فلان و علان، يا عند أبوي!.

هسي ما بقدر أقول عن نفسي والفت خلاص أو لقيت طريقة أنسى أو أغشها وأقول إتعودت خلاص وبقي برنامجي عادي، على الأقل لاقى لي براح كويس مع نفسي أفكر بإرتياح لحدّي ما أحسم أموري وأرجع الخرطوم على بيته، وأكون

عارف ومحدد سلفا أنا ماشي أعمل شنو، وخطوتي الجاية شكلها كيف، وأواجه مصيري بشجاعة وأولهم شكل نهاية علاقتي بها.

سابع يوم في الحِلَّة، ونفس برنامجي الروتيني زي ما هو، ما إتغير فيهو شئ يذكر لحدِّي المساء، كنت صليت العشا ورقدت طوالي، لَمَّ عاينت للساعة قبل ما أدقس كانت عاملة تسعة تقريبا، لَمَّ صحتني أمي زي الساعة عشرة ونص بالله قمت مخلوع خلعة، أول مرة يصحوني زي المواعيد دي، بقت لي غريبة وإحساسي بيها كأنها الساعة إثنين ونص صباحا، قبل ما أعرف القصة عقلي كان بيستفسر وبسأل، من متين ناس الحِلَّة بكونوا صاحين لحدِّي المواعيد الغريبة دي؟ لَمَّ شفت الساعة في الموبايل عشرة ونص، بديت إسترجع وسط نعاسي شريط منسي، حتى أنا زمان كنت بكون راجع زي المواعيد دي من النادي، يعني الدنيا من حولي زي ما هي ما إتغيرت، إلا ياني أنا الإتغيرت وبقيت أنوم مبكر:

- ألو..

- حسو..

- إزيك يا عبدو..

- يا زول صوتك مالو ثقيل كده، كنت نايم ولا شنو؟..

- أي والله يا عبدو كنت نايم..

- ياخ معقولة؟، بقيت تنوم من بدري؟..

- تصدق بقيت أنوم بدري؟..

- وقمت ضحكت قبل ما أوصل:

- بالله أخباركم شنو؟ وعاملين شنو يا كرور، وكيف سوما وعمي وعمتي،

كوييسين؟..

- والله كوييسين الحمد لله، عاين، أسمعني، عندي ليك خبر غريب يا معلم..

- وأنا بتتأب بيدي الثانية وعيوني رجعت تطفني براها من جديد:

- قول..

- ما حتصدق!..

- ياخ ما تقول ما تعلقني، أنا نعسان ياخ قربت أنوم ليك هسي..

- مها جاياكم بكرة!..

\*\*\*



أصلو ما إتخيلت عبدو جادّي، قايلو بهظّر أو بيتعابط بهظار سمج، يصحيني نص الليل عشان يقول لي نكتة بايخة زي دي، لكن لقيت الزول جادي! قعدت أحلفو أربعة خمسة مرات يقول الحقيقة وكان بحلف لي جادّي بربو إنو والله ما قاعد يهظّر!.

من لقيت الكلام جد، طبعاً أوّل شي طار مني النوم، كيف يعني تجينا؟ سألتو أسئلة منكر ونكير، جاية كيف؟ وجاية ليه؟ والورهاا الدرب منو؟ نص إجاباتو سمعتها والنص الثاني سرحت منها، في النهاية قفلت التلفون وفضلت قاعد قبلي في السرير مدلدل كرعي!.

عقلي بدا يتنكر لي، بدا يعيّنني في عالم ثاني من الوهم، وإنو الحاجة السمعتها دي ما حقيقة، وما ممكن تكون حاصلة أو حتحصل، ما ممكن تكون مها جاية في الطريق، ثاني أقوم أرجع أصحصح وأنفض حالة التغيب، لأ جاية وصحصح أحسن ليك وإتعامل مع الموقف، مها في السكة، ويقوم قلبي يضرب من جديد.

طيبّ والعمل يا حسين؟ إيه الموقف الغريب ده؟ قدر ما إتصورت زمان مها دي تجي الحلة لكن تصوراتي ليها كلها كانت لما تبقى عروستي مش حبيبتي، حلّتنا ما بتفهم في العلاقات الزبي دي وهي فاهمة الحنة دي كويس، المشكلة الثانية والأكبر مافي زول ولا حتى أمي أو أبوي عارفين قصة حبي دي، اللهم إلا خالي، وخالي أنا بعرفو كويس زول سر ما بتمرق منو كلمة ما عايزو يمرقها، طيب أنا حأتصرف كيف؟ أضرب لخالي هسي؟ حسيت بيها بايخة، الوكت ما مناسب، ناس البلد ديل كلهم بنوموا بدري! فكّرت شويّة في الموضوع ورجعت رقدت بعد ما وصلت لحل شكلو معقول، وإن كانت نتايجو غير مضمونة، المهم هسي حأخت تلفون أمي تحت المرتبة لحدّي الصباح والصباح رباح.

صحيت الصباح مغلغل بعد ما تورتنني الشمس، نومتي كانت متقطعة ومليانة كوايبس، قمت بتأقل، مشيت إستحميت وإتسوكت وجيت صليت الصباح بعد ما الشمس مرقت، لقيت أمي وأبوي قاعدين كالعادة جمب المنقذ يشربوا في الشاي، سلمت عليهم وقعدت جمبهم أكب من ثيرموس الشاي ببطء، أول زول إتكلّم معاي كنت أمّي:

- مالك الليلة النعلك ما عيّن؟..

كانت دايماً مهجّسة بي، إسبور بالتمام وهي لسة ما مقتنعة.

- أنا كويس يا أمّي ما عندي أي عوجة..

أبوي رمانى بطرف عينو، كالعادة ما علّق.

- أمي، أبوي، عايزكم في موضوع ضروري..

أبوي خت الكباية بصوت عالي، شكلها فلتت منو، أظنو حَسَّ يادوب إنتظارو المصنّي جايب همو وحيعرف الحاصل على ولدو شنو بالضبط، سأل على طول:

- خير يا ولدي؟..

إتلككت في الكلام في الأول، صراحة الموضوع كان صعب وأنا عارفو صعب، لكن كان لأبد من المواجهة، كنت بعتبر نفسي زول مواجهة، شريط طويل من حياتي بحكي عن الحاجة دي أو زي ما أنا كنت بتخيل، فهل أقوم أتخاذل هسي؟ ما إتعودت على كده وما ظنيتني أقدر، في النهاية ختيت نفسي أمام الأمر الواقع وحكيت، حكيت كل تفاصيل علاقتي بمها، كل الأحداث المرت معاي ولحدّي الحالة الجيت بيهما البلد، وأخيرا، المفاجأة الغريبة، الزولة البحبها والخاصمتها، جايانا البلاد!

حسيت بأمي ذهلت وغلبتها الكلام، أخذت ليها كم شهقة خلعة، أبوي الوحيد الكان مركز معاي كويس، ما كنت عارف بالضبط رد فعلو حيكون شنو لحدّي ما رد سريع بدون أي تردد:

- ومالو يا حسين، حبابها والله في أي لحظة البلد ترحب بيهما.

ردّوا نزل علي بردا وسلاما، أكبرتو أضعاف مضاعفة في نفسي، عيوني رقرقت وفلتت مني دمة، دنقرت خجلان أدسها، لكن كان أبوي قبل مني غادي اللحظات ديك عشان ما يحرّجنّي.

أمّي كانت بتحاول تكون متماسكة، لكن غلبها، كانت زي البتفكر بصوت مسموع، شكلو عندها رأي تاني، "سجمي سجمي"، تسكت شويّة، "الليلة حاجة سكيّنة بت ضيف الله حتشيل حسنا وتاكل لحما!"، "ناس الحلة حيقلوا علينا شنو؟".

قعدت أتخيل حاجة سكيّنة، شايلة حسنا في كنتينها الضارب، وسالّة لسانها علينا وعلي بت الناس، غضبت في نفسي، إلا مها، كنت لسّة ما برضى فيها، مستحيل أرضى فيها، فجأة جاتني صورة التريالي في وشي بشنبو الغليد، حسيت بالإمتعاض، دي صورة زول هسي يزاحمني في مها؟ أو لازم يكون في واحدة زي حجة سيكيّنة دي تعكر صفو الناس؟.

كنت بعرف حلتنا كويس، فاهمها وشاربها شراب، وعارف مخاوف أمي وقلقها نابع من وين، أول شي حيعتبروا جيّة مها فيها جرأة ما مقبولة، تمرّد على قيود

مجتمع الحلة البسيط، أي نعم مافي زول حيحي يدق لنا الباب يقول لنا الكلام ده في وشنا، لكن حتلوكونا الألسن، في الحالة دي كبارهم على صغارهم، نساءهم على رجالهم، وحنسمعها همس وحنشوفها في حركات وشوشهم، وتقلبات عيونهم، عشان كده كنت مقدر قلق أمي.

في اللحظات ديك خطرت لي فكرة عجيبة في راسي عشان أمرق أمي من الحرج، قمت شرحتها ليها سريع قدام أبوي ومشيت أفتش تلفوني وين عشان أنفذها.

\*\*\*

الفكرة كانت بسيطة ومريحة، خالي متعود كثير يجيب غربا للحلة، زملاء وزميلات ومرات خبرا زراعيين أجانب يقعدوا معاها بالأيام، بمشي يستلمهم من الموقف وكثير يمر بيهم على بيتنا في الأول قبل ما يمشي على مزرعتو، الحلة كلها إتعودت على كده، يبقى مافي أي شي حيكون مستغرب لما يحصل نفس الشيء مع مها، الحل ده ريحني كثير، والأهم ريح أمي لحدّي ما أساريرها إنفجرت وإرتاحت ورجعت عادي وبقت تستعد للضيافة الجاية تنزل عندنا بعد ما رفع منها الكثير من الحرج.

لن حكيت لخالي الموقف قعد يضحك، قال لي عايز تحب وتزوغ يا فردة ولا كيف؟ قال لي زولة زي دي متمسكة بيك شديد ما تفرط فيها لأي سبب من الأسباب، ما سألني نهائي عن أي تفاصيل بيناتنا، إكتفى بموافقتي على فكرتي و وعدني حيكون معاي في الموعد.

فعلا في المواعيد البخش فيها بص الجكو، كنا منتظرين أنا وخالي جوة عربيتو، أول ما البص وصل طوالي نزلت من العربية وبقيت منتظر، ونزلت مها بعد راكبين، منظرها وهي نازلة كان زي لوحة سريالية، أو حاجة من الخيال وقفت الزمن قبلو، كل الصور من حولي إختفت إلا من مها وشعراتها الطيارة بنفور شايلها الهواء، أول مرة أشوفها بنطلون من زمن، من زمن إحتجيت عليها مرة في شكل تعليق إنو البنطلون بخصم من البت جزو من أنوثتها، ونسيت الملاحظة دي، ونسيت بالمرّة إنها تاني ما لبست بنطلون لحدّي اللحظة دي، والغريبة نهائي ما حاسي هسي بالممانعة من الملاحظة القلتها ليها زمانك ديك.

كانت لابسة بنطلون جينز كحلي على بلوزة بيضا موردة باللبن، راسمة قوامها الرهيب، ومطقمة سير الساعة الأسود مع جزمة سودا لامعة قدرت تقاوم

كتاحة الطريق، وكالعادة، أسورة خفيفة بدون تكلف زي عوايدها، وأجمل ما فيها كانت عيونها، وإبتسامتها الساحرة اليمتني بيها أول ما وقعت عيونها علي.

حسيت بنفسني منهار، من أول نظرة بس من عيونها الساحرة كسرت كل مجاديفي، إستسلمت ليها، طفا حبها زي المارد الكان محبوبس في عمق أعماقي السحيقة، مسح كل الأفكار الكانت في راسي كل الإسبوع الماضي في لحظة خاطفة، وحسيت برغبة شديدة إنني أجرى عليها أضمتها وأحضنها، لكن إتمالكت نفسي، ومشيت عليها بخطاوي هادئة، ولستة المشهد بيني وبينها بس، والعالم كلو كان لسة مختفي من حولي ومن حدقات عيوني، كل شي غيرها عدم، ختيت ليها أعذب إبتسامة ممكن أبتسمها، إبتسامة طلعت عفوية، وعيوني رقرقت بعفوية برضو، لكن غالبت دمعي ما يتساقط ويفضحني، لأنني لستة في الحلة، ودي زولتي الما حاقبل فيها كلمة من أي زول حولي حتى لو من ناس حلتني.

سلمت عليها وأنا كابت إشتياقي، كان ماليني شوق الدنيا كلو في اللحظات ديك، لكن يا دابي كنت إنتبهت لهاني، لو ما هو القال لي السلام عليكم ما كنت أحجيب خبرو، ما كان قلعت عيوني من عيونها، رحبت بيهم شديد وأنا شاكر ليهم جيتهم حلتنا المتواضعة، هاني كان بيتلفت يتفرج في الحلة، بعين في بيوت الطين المبنية بإخلاص وبعضها ملون بألوان زاهية، والرمال النضيفة تحت الكرعين كأنها سجاد مفروش، أما مها فكانت عادية، أنا بعرفها لمن تكون عادية، ممكن بتكون بترصد كل صغيرة وكبيرة بدون ما تلفت نظر أي إنسان، عرفتهم بخالي وركبنا طوالي بعد ما رفعا شنطهم الصغيرة.

\*\*\*

كانوا مقررين يرجعوا ثاني يوم الصباح طوالي، وما كان في طريقة أقنعهم يقعدوا يوم زيادة، عشان كده ما ضيعت زمن، خالي كان ساق هاني بعد الغدا مرقوا سوا على مزرعتو، وأنا قلبي كان بضرب وأنا مارق مع مها لأفي بيها حولين حلتنا الصغيرة، كأني أحب لأول مرة في حياتي، مها كانت حلوة في بساطتها، في إبتسامتها الما بتفارق شفائيفها، كنت لأفي معاها لكن هي السايقاني، هي الكانت بتسمع لي تفاصيل حلتنا وتأشر عليها، داك نخيل ناس فلان وفلان الحدتتني عنهم، ومفترض يكون النادي من الناحية ديك عكسو.. أهو.. أيوه، هداك!، وأنا أبتسم بسعادة، فرحان زي طفل.

وترجع تواصل، مفترض داك يكون بيت ناس سعاد بت ود الحسين محل النيم الكثير داك، وأنا أهز ليها راسي للتأكيد، ولو عكسنا إتجاهنا ودخلنا بالزقاق داك مفترض والله أعلم يكون كنتين حجة سكيّنة، قمت قاطعتها "أطرينا بالخير"، وضحكنا سوا، أخيرا قلت ليها لازم تمشي تشوفي النيل قبل ما الواطة تضلّم، فعلا إتجهنا وسط المزارع على النيل في صمت، كنت سعيد، مبسوط، ماشي على أطراف أقدامي، ما حاسي بمقاومة الرمال تحتي، حاسي بإنسجام خطواتي في الرمل مع خطواتها، كانت بتتعثّر مرّة مرّة، تتكّي على حافة يدّي، أساعدها بحبور، أترفّق بيها في مشيتها، لحدّي ما وصلنا النيل.

منظر النيل كان رهيب عند الأصيل، مما جيت الحلة ما جيت عليهو، بكل بساطة قعدنا جنب بعض مقابلنو، بدت تلقط في حصاحص وترميهو في الموية، مرق صوتها زي نقع الحجار البترميها في النيل:

- كنت متخيّل إني حاتخلي عنك مثلا؟..

كنت عارف الكلام مصيرو حيّجي، لكن كنت مستسلم بشكل غريب، وما عندي أدنى رغبة في المقاومة:

- مها..أنا..

- ما تقول حاجة يا حسين، يكفي تعرف أنا سعيدة ومبسوطة قدر شنو معاك..

- والله يا مها إمكن ما أكثر مني..

- كان في راسي كلام كثير عايز أقولو، لكن أفكر خلاص، الفّي راسي كلو وصلك..

- وصلني وبالزيادة كمان، ومتأكد برضو عرفتي ردي عليهو..

عاينت ليها وأنا مبتسم، ردّت على إبتسامتي بإبتسامة أجمل منّها وهي بترميني بحنان دافق ما طيبعي من عيونها، كان ده أقصر عتاب لأفطع أزمة حب بيناتنا، كنّا حلّينا كل مشاكلنا في لحظة إنسجام واحدة، جلسة واحدة قدّام النيل الخالد. ما أظن ممكن يكون في أي تفاهم أكثر من كده، وده براهو دليل على عمق إرتباطنا ببعض وكفى، أخيرا همست لي بصوت واطي وفي همستها جدّية وصرامة رغم رقّتها:

- ثاني أوعك تكرّرها!..

صمت، ما رديت، ما محتاج أرد لأنها عارفة الإجابة سلفا، ربما عارفة دي برضو لكن قلت أقولها للضمان:

- أنا من هنا وماشي الأقي خالك، وأعرفي إني حأنتصر يعني حأنتصر، زي ما عارفة إنها مقابلة ما بتقبل المساومة أو الإنسحاب أو الخسارة..  
ضحكت ضحكة حلوة رنانة، ضحكة هادئة وظريفة، كانت بتدل على ثقتها، ختمنا بيها جلستنا وبقينا راجعين على البيت، لأنها كانت بدت تمغرب!.

\*\*\*

بعد يومين دقشت براي على البحر، قعدت في نفس الحطة القعدنا فيها أنا ومها، بقيت أعاين للنيل الخالد، رغم كل المحن وعوامل الزمن بظل صامد، ما غير يوم إتجاهو ولا إنحنى قدام المحن ولا هادن، كيف يهب الحياة لمئات السنين؟  
أنا بالنسبة ليهو مجرد عابر طريق، مهما وقفت قدامو مصيري أمشي أخليهو، وحتى لو جيتو راجع باكر أكيد حألقاهو، زي ما هو، لا إتغير ولا فكر يساوم، أخ لو بس أقدر أسمع نصيحتو، وأستقي من حكمتو، وأحسم معاهو باقي أموري وخياراتي التايهة، ما هي بالششي المختلف عن باقي خيارات الشباب عادة، البختلف إنها خطاوي حأمشيها مع زولة في حياتي، والزولة دي من دون كل ناس الدنيا إسمها مها، بقى دربي فيهو أترين، أترى وأترها معاي جمبي.  
يا إما أرجع وأستقر في البلد، لأنو خالي عبدالقادر كان مصرّ إني أرجع أشغل معاهو، وسّع مزرعتو وبقى ينتج كثير، وإنتاجو بقى يصل لحدي الخرطوم، فبقى محتاج ليهو شريك، لازم، فعازيني أكون أنا الشريك ده، والنص بالنص، خاصة مع مشاكل العطالة الحاصلة في البلد، لو بقيت على الخيار ده، فأكيد إستقراري حيكون سريع، وحأزوج مها في أقرب فرصة، وحتكون معاي رفيقة عمر في البلد، ربما إلي الأبد.

يا إما في أقرب فرصة، أهج من البلد كلها ويكل ما فيها، حتى إنت يا نيل حأفارقك، وألحق ركب المهاجرين، وفي السفر طبعا تجارب وخبرات وفوائد، لكن كده بكون دخلت مغامرة ما عارفها حتطول قدر شنو، وأنا وراي زولة راجياني، وحتهااتي بي ليل نهار لحدي ما أقدر أكوّن نفسي وأعزها بعرس يليق بيها.

أما الخيار الثالث والأخير، هي إنو أستقر في الخرطوم، أستفيد من علاقات خالي وعمي وكمان علاقات أبوها، ممكن الإتنين نبدا رحلة كفاح، عارفين حتكون صعبة جدا، لكن ما ناقصنا الدافع، وعندنا المقدرة على التحمل، الواسطة حاجة

بكرها جدا جدا، لكن لو بقيت على الخيار ده فلا بد من صنعاء، وإن طال السفر، مها زولة واعية، وبتفكر بإتزان، لكن كانت دايمًا بتقول لي إنت إنسان قلق، ولو ما حدّدت خياراتك براك، حتتعب وتتعبني معاك، لكن أي حل تبقى عليه، أنا معاك فيهو قلبا وقلبا، ويساعدك بأي حاجة بقدر عليها، بس إنت حدّدا.

باقي علينا ثلاثة شهور بس ونبقى على وش التخرّج، لما أسترجع شريط ذكرياتي وأتأملو، مرّات بفكرّ كان حيحصل شنو لو عمّي ما أصرّ علي أو اصل قراية؟ شكلي كان حاكّون مزارع بسيط في حلّتنا، حاكّون مع أبوي في الزراعة، ومرة مرة مع خالي بهناك، ويوميا في النادي بالمسا مع حقة تمباك كاربة ما تديك الدرب، نلعب كشتينتنا ونتشمشر في الحلة وخباراتها، ننافس فيها كنتين حجة سكنينة ذاتو، لا في مها لا في أتييم ولا في عبو، إحتمال كبير ناس عمّي ذاتهم أتعرفّ بيهم ورا بعد أبدا أسافر براي أو مع خالي للخرطوم نشوف إحتياجات الحلة ومزرعتو.

هو الإختلاف الوحيد الشايفو هسي بعد رحلة السنين الطويلة دي، وأنا بعين للنيل قبل ما يختفي ويتبلع تحت جناح الظلام، إنو برغم التغيرات الكثيرة الحصلت معاي، الحصل إنو أنا طلعت من حلة صغيرة لحلة أكبر، وإذا محتاجين دليل أهو النيل قدّامكم حتى أسألوه، مش ياهو النيل الهنا نفس النيل هناك؟ رغم الحجم المهول للخرطوم وشرتها على نطاق دائرة واسعة نصف قطرها تقريبا خمسة وأربعين كيلومتر في كل إتجاه، في كل إتجاه شنو ياخ. أمدرمان دي هسي براها بتكون عملت ليها ستين كيلومتر، المهم إنها لسة عبارة عن قرية، بس قرية كبيرة جدا، والقرية الكبيرة دي، وبحكم حجمها، ترهّلت فيها حاجات كتيرة. من ضمن الحاجات دي عادتنا وتقاليدنا وموروثاتنا الثقافية والإجتماعية الكانت صغيرة وضيقّة علي قدر حالنا في الحلة، مش ياهو ذات نفسها بصمة خشمها هناك؟ لكن بس بشكل أوسع شويّة. أمسكوا حتى الشمار ياهو نفس الشمار، الإجتماعيات ياهو نفس الإجتماعيات، بما فيها القطاعات والقوالات، لا فايثانا هنا لا فايثانا هناك، حتى نوم الحيشان، طيب المافي شنو؟ ممكن تزيدو عليها كوز كوزين من التعب والرهق، ومساسكة المواصلات في الخرطوم، وطول المسافات وتشتت الناس في أصقاع بعيدة ومتفرّقة!.

والما بنرضاهو هنا، ياهو الما بنرضاهو هناك، لو كانت الخرطوم غير، أو غير ذات القرية، مؤكّد نصّها حتصيبو صدمة حضارية، ونص النص الثاني حيكون

في التجاني المّاحي، والباقي أهو، حيكون عايش، والسبب، لأننا ما بنقدر نعيش  
خارج نطاق مفهوم القرية، وياني لّمن جيتها، كل الحصل إنو الخرطوم زادت نفرا!.

\*\*\*

## النهاية



## هوامش على جنب /

- (1) الحِلَّة: تعني القرية الصغيرة، وأحياناً تطلق على الحي من المدينة.
- (2) حَلَّة: بفتح الحاء، وتعني الوعاء أو الماعون الذي يستخدم للطبخ.
- (3) العراقي: جلاب منزلتي أخفّ من الجلاب السوداني الشهير.
- (4) الكوز: يطلق على كوب معدني له مقيض يستخدم لشرب الماء، وتطلق نفس التسمية على علب الصلصة الفارغة التي تجعل خلف مروحة ماكينة الشاحنة لإصدار نغمات بترددات مختلفة حسب سرعتها.
- (5) المعصصر: الشديد النحافة.
- (6) ظاهرة النوم في الحيشان ظاهرة صحية منتشرة في ريف ومدن السودان.
- (7) التكل: يطلق علي المطبخ في الريف شمالي السودان.
- (8) الصعوط أو التّمباك نوع من التبغ، يزرع محلياً بغرب السودان يحتوي على النيكوتين، يستخدم في شكل عجينة توضع في الفم بين اللثة وصف الأسنان.
- (9) السليسيون: مادة تستخدم في ترقيع إطارات الدراجات، لها تأثير على العقل إذا إستنشقت بتركيز.
- (10) قطاطي جمع قِطِيّة وهي غرف دائرية الشكل تبنى من القش ولها سقف مخروطي حاد.
- (11) نار التّقَابَة نار تشعل بالحطب يقرأ على ضوءها طلاب العلم في خلاوى القرآن.
- (12) المضبقة، حافظة نفوذ نسائية قديمة شبه مندثرة، تصنع من الجلد الطبيعي تشتهر بحملها الجذات قديماً، تتدلى تحت مستوى الصدر تربطها سيور طويلة تلتف حول الرقبة تصنع من الجلد أيضاً.
- (13) الشربوت مشروب بلديّ هاضم يدخل في مكوناته التمر والعديد من البهارات. يصنع أيام عيد الأضحى المبارك.
- (14) يطلق البحر على النيل.
- (15) ميطي: عاري الجسم بدون أي قطعة ملابس.
- (16) الدّابي تطلق على الثعبان.
- (17) محرّقة من الكلمة الإنجليزية Preliminary، وتعني الطالب الجديد بالجامعة في مرحلته التمهيدية.
- (18) شارع المين، محرّف من الإنجليزية الـ Main Road، وهو الشارع الرئيس بمباني الجامعة الرئيسة.
- (19) من ضمن أشجار عديدة أسترزعت بواسطة المستعمر الإنجليزي بالجامعة، وشارع النيل، ووسط الخرطوم.

## الفهرست

الجزء الأول .....	5
الجزء الثاني .....	63
الجزء الثالث .....	107
/هوامش على جنب .....	168



# Khartoum Nafar

## Sami Hegazi

مركز دراسات السودان  
الخرطوم نافر  
سامي حجازي



Mawqaf Significance Limited  
Email: info@mawqafsignificance.com  
Tel: 011707617705

Printed by: Mawqaf Significance